المائة الأوائل

من

صحابيات الرسول ﷺ

إعداد

محمود طعمة حلبي

دار المعرفة
بيروت ـ لبنان

مكتبة أسامة بن زيد
حلب ـ اقيول ـ سوريا
هاتف: 3639140 - 21 - 00963

المائة الأوائل من صحابيات الرسول

إعداد

محمود طعمة حلبي

دار المعرفة
بيروت - لبنان

ISBN 9953-429-86-3

الطبعة الثانية

1427هـ 2006 م



DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

جسر المطار - شارع البرجاوي - ص.ب: ٧٨٧٦ - هاتف: ٨٣٩٧٠٧ - ٨٥٨٨٣٠ - فاكس: ٨٣٥٦١٤ بيروت - لبنان
Airport Bridge, P.O.Box: 7876, Tel: 834301, 859707, Fax: 835614, Beirut-Lebanon
http//:www. marefah.com
E.mail: info@marefah.com

المائة الأوائل

من

صحابيات الرسول

1 - السيدة أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق

نسبها

اسمها أسماء، والدها أبو بكر الصِّدِّيق، ثاني اثنين إذ هما في الغار، ورفيق النبي ﷺ على طريق الهجرة؛ والدتها قُتَيْلَةُ بنت عبد العُزَّى؛ وزوجها الصحابي الجليل الزبير بن العَوَّام، الفارس المقدام، ومن السابقين الأوائل للإسلام؛ وأختها لأبيها أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها؛ وأما ابنها فهو عبد الله بن الزبير أول مولود للمهاجرين إلى المدينة المنورة.

طلَّق والدها أبو بكر أمها قتيلة في الجاهلية، ولما أسلم الصِّدِّيق رضي الله عنه دعا زوجه أم رومان وأولاده منها إلى الإسلام، فأسلمت هي وابنتها عائشة، وأبى ولدها عبد الرحمن أن يسلم ثم أسلم متأخراً؛ وأسلمت أسماء وشقيقها عبد الله رضي الله عنهما.

دورها في هجرة النبي ﷺ

برز دور أسماء منذ أشرقت شمس الدعوة إلى الإسلام، وقد روي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إلا يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيْ النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرُعْنَا إلا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلا لأَمْرٍ حَدَثَ.

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ: **«أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»** قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، يَعْنِي: عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ.

قَالَ: **«أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ؟»**، قَالَ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُول

اللهِ؟ قَالَ: **الصُحْبَةَ يَا أَبَا بَكْرٍ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ فَخُذْ إِحْدَاهُمَا قَالَ: «**قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ**»[1].

تقول السيدة عائشة ﵂: فوالله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذٍ!.

ولما غطى الظلام أحياء مكة، أمر رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب ﵁ أن ينام في فراشه، وسلَّمه ما لديه من الأمانات ليردها إلى أصحابها، ثم انطلق بصحبة أبي بكر إلى غارٍ بجبل ثور فدخلاه، وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي رسول الله ﷺ بأخبار قريش وتحركاتها، أما أسماء فكانت تأتي إلى الغار بالطعام والشراب، حتى خرجا إلى يثرب.

وها هي أَسْمَاءُ ﵂ تروي لنا قصة خروج رسول الله ﷺ، قَالَتْ: صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَتْ: فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ وَلا لِسِقَائِهِ مَا نَرْبِطُهُمَا بِهِ فَقُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: وَاللهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُ بِهِ إِلا نِطَاقِي[2] قَالَ: فَشُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ فَارْبِطِيهِ بِوَاحِدٍ السِّقَاءَ وَبِالآخَرِ السُّفْرَةَ، فَفَعَلْتُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ «ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «**أَبْدَلَكِ اللهُ بِنِطَاقِكِ هَذَا نِطَاقَيْنِ فِي الجَنَّةِ**».

وصحت قريش فلم تجد لرسول الله ﷺ أثراً ولا لصاحبه أبي بكر الصِّدِّيق ﵁ أثراً، تقول أسماء: لما خرج رسول الله ﷺ أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فقالت أسماء: والله، لا أدري أين أبي قالت: فرفع أبو جهلٍ يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمة خرَّ منها قِرطي،

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: البيوت/ باب: إذا اشترى متاعاً أو دابة فوضعه عند البائع/ برقم: (1994)، والحديث عند البخاري في أكثر من موضع بروايات متعددة.

(2) **النِّطاق**: الحِزام.

(3) رواه: الإمام البخاري/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: حمل الزاد في الغزو/ برقم: (2757).

قالت: ثم انصرفوا، فمضى ثلاث ليالٍ، ما ندري أين توجَّه رسول الله ﷺ، ثم علمنا أنه قصد المدينة ومعه أبي وعامر بن أبي فهيرة مولى أبي وعبد الله بن أُريقط دليلهم.

ذكاء فريد!

روى الإمام أحمد قال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ جَدَّتِهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: «لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ – خَمْسَةَ آلافِ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةَ آلافِ دِرْهَمٍ – قَالَتْ: وَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ.

قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ! قَالَتْ: قُلْتُ: كَلا يَا أَبَتِ، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيراً!

قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَتَرَكْتُهَا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةِ الْبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ... قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لا بَأْسَ، إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلاغٌ.

قَالَتْ: لا وَاللهِ، مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ»[1].

رابطة الإسلام تعلو

وكانت أسماء معتزة بدينها، وملتزمة بأحكامه، وقد دفعها ورعها إلى

---

(1) رواه: الإمام أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أسماء بنت أبي بكر/ برقم: (25719).

سؤال رسول الله ﷺ عما إذا كان يجوز لها أن تستقبل أمها وهي على شركها، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَوْ رَاهِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟، قَالَ: «**نَعَمْ**»[1].

و في رواية أخرى قال: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**»[2]. وكانت أسماء رضي الله عنها قد امتنعت عن إدخالها بيتها، فلما سمعت قول رسول الله ﷺ أذنت لها بالدخول وقبلت هديتها.

لله درُّكِ يا أسماء! لقد آثرْتِ شرع الله ولم تدع عاطفتها والرابطة التي تربطها بأمها تحكم تصرفاتها، بل حكَّمت الإسلام، وألزمت نفسها بحكمه، ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج: 31، 32].

وإن تقوى أسماء بادية بغير خفاء، جليَّة أيَّما جلاء، لا يَعْروها شكٌّ ولا ارتياب.

أم أول مولود

وبعد أن أدَّى عليُّ بن أبي طالب أمانات رسول الله ﷺ إلى أهلها، خرج بآل النبي ﷺ، وخرج عبد الله بن أبي بكر بزوج أبيه أم رومان وأختيه عائشة وأسماء مهاجرين إلى المدينة، وكانت أسماء تحمل في بطنها مهاجراً صغيراً.

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الزكاة/ باب: فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد/ برقم: (1670).

(2) رواه: مسلم/ كتاب: الزكاة/ باب: فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد/ برقم: (1671).

وما كاد يستقر مقامها في المدينة حتى وضعت مولودها، فحملته أختها عائشة رضي الله عنها وانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فحنَّكه وسمّاه عبد الله.

الزوجة الصابرة

عاشت أسماء مع الزبير عيشة فَقْرٍ وكَفَافٍ، وأرهقتها أعمال البيت وسياسة فرس زوجها الزبير، وفوق ذلك كان زوجها يشتد في معاملته، ولما شكت ذلك إلى أبيها الصِّدِّيق رضي الله عنه أوصاها بالصبر.

ثم ما لبث وضع الزبير أن تحسَّن، وفاض المال بين يديه، ولكن هل غيَّر المال طبع ذات النطاقين؟ لا، إن أسماء كانت غنية النفس، ولن يؤثِّر عَرَضُ الدنيا فيما جُبلت عليه؛ لقد كانت كريمة كثيرة الصدقة، وإذا نزل بها المرض ثم شفيت كانت تبادر إلى إعتاق مواليها وعبيدها شكراً لله، واعترافاً له بالفضل، وكانت توصي أولادها بالبذل والإنفاق، وتقول لهم: «أنفقوا، وتصدقوا، ولا تنتظروا الفضل».

ولقَّنت نصيحة أبيها لها بالصبر إلى أولادها، وزرعت في نفس ولدها عبد الله مكارم الأخلاق، كان الزبير يردفه خلفه حين يخرج للقاء المشركين حتى يتعلَّم فنون القتال، ويحذق الفروسية، وكان يتلقَّى من أبيه أبلغ دروس الكرم، ويشهد معه أساليب المناجزة والنزال؛ وأما أسماء فكانت تُذكي في ابنها روح الحماسة لنصرة دين الله، والوقوف مع الحق في كل آن.

وذات يوم اختلفت أسماء والزبير فضربها، فاستغاثت بابنها عبد الله، ولما أراد الدخولَ عليهما قال له أبوه: إن دخلت فأمك طالق، ودخل عبد الله لينجدها، فبانت وتمَّ الفراق.

وأقامت أسماء مع ابنها عبد الله، وكان النبي ﷺ يرعاها ويُغدق عليها من علمه وهديه ودعائه، وأصابها ورمٌ في عنقها ذات مرة، فمسح رسول الله ﷺ بيده الشريفة عليه فشفاها الله، وكانت الصدمة الكبرى لأسماء يوم انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وقد حزنت عليه أشد الحزن لرحمته بها،

وعطفه عليها، وانهدَّ برحيله ركنٌ شديد كانت تستند إليه، ثم لم تلبث أن فقدت ركنها القوي الثاني يوم رحل والدها الصِّدِّيق ﷺ.

شجاعة وثبات نادرين

وأخذت أسماء تقطع أيامها مع ولدها عبد الله الرجل الذي صنعته على عينها، وغذَّته بالشمائل المحمدية، وتوالت الأيام، وكبر الفارس المقدام، وأصبح عبد الله رجلاً ذا رأي حازم، وسيف صارم.

وحين آل الأمر إلى يزيد بعد وفاة والده معاوية بن أبي سفيان، حاول يزيد استمالة عبد الله إليه، فلم يجد لرغبته أذناً صاغية عنده، فهدَّده وتوعَّده، ولكن الموت عاجله، وحال دون الوصول إلى مبتغاه.

ولم يستطع مروان بن الحكم إخضاع عبد الله إليه، ولما خلفه ولده عبد الملك بن مروان اتَّفق مع واليه على العراق الحجَّاج بن يوسف الثقفي بالتوجُّه إلى مكة والقضاء على ابن الزبير بالقوة.

وجاء الحجَّاج بجيشه، ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس، وراح يرشق المسجد الحرام والكعبة المشرفة، لأن عبد الله وأعوانه قد لجؤوا إلى داخله، وشدَّد الحجَّاج الحصار على ابن الزبير وصحبه، ولما اشتدت وطأة الحصار أخذوا يتخلون عنه وينحازون إلى خصمه.

واغتنم عبد الله فرصة وأقبل على أمه يلتمس نصحها، ويستأنس برأيها الرشيد، وشرح لها تخلي أصحابه عنه، واشتداد الحصار عليه، فقالت: يا بنيَّ، إياك أن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل.

فقال: أخشى إذا أنا قُتلت أن يُمثِّلوا بي.

فقالت: إن الشاة يا بني لا يهمها سلخها بعد ذبحها فامضِ على بصيرتك واستعن بالله.

وخرج عبد الله وراح يقاتل بشجاعة ويقول:

أَسْمَاءُ إِنْ قُتِلْتُ لا تَبْكِيني لَمْ يَبْقَ إلاَّ حَسَبِي وَدِينِي

وَصَارِمٌ لانَتْ بِهِ يَمِينِي

ولكن أنَّى له أن يصمد أمام حشود البغي؟ وفيما كان يقاتل سقطت إحدى شرفات المسجد عليه فصرعته، وقد روى الإمام مسلم حديث مقتله في صحيحه فقال: حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ - يَعْنِي: ابْنَ إِسْحَقَ الْحَضْرَمِيَّ - أَخْبَرَنَا الأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَانَ، عَنْ أَبِي نَوْفَلٍ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ قَالَ: فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ، حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ؛ أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا؛ أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتَ - مَا عَلِمْتُ - صَوَّامًا قَوَّامًا وَصُولاً لِلرَّحِمِ؛ أَمَا وَاللهِ لأُمَّةٌ أَنْتَ أَشَرُّهَا لأُمَّةٌ خَيْرٌ» ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ اللهِ وَقَوْلُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ، فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ.

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ: لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ قَالَ: فَأَبَتْ، وَقَالَتْ: وَاللهِ لا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي.

قَالَ: فَقَالَ: أَرُونِي سِبْتَيَّ فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللهِ؟

قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ؛ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ؟! أَنَا وَاللهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الآخَرُ: فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لا تَسْتَغْنِي عَنْهُ؛ أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلا إِخَالُكَ إِلا إِيَّاهُ» قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا بِشَيْءٍ[1].

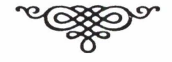
---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: ذكر كذاب ثقيف ومبيرها/ برقم: (4617).

وبعد أن صُلب عبد الله دخل ابن عمر رضي الله عنهما المسجد فقيل له: «إن أسماء أم عبد الله في ناحية المسجد»، فذهب إليها وقال: «إن هذه الجثث ليست بشيء، وأما الأرواح فعند الله، فاتَّقي الله، وعليكِ بالصبر» فقالت: «وما يمنعني وقد أُهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل؟».

وفاتها

وبعد أيامٍ اشتاقت أسماء إلى ولدها عبد الله فشدت إليه الرحال، رحمهما الله وجمعهما في جنة الخلد ورضي عنهما.



2 - السيدة أسماء بنت عميس

نسبها

اسمها أسماء، والدها عُميس بن سعد[1]، والدتها هند بنت عوف، أختها أم المؤمنين ميمونة زوج النبي ﷺ، وأختها لبابة أم الفضل زوج العباس رضي الله عنهم وأختها سلمى زوج حمزة رضي الله عنهم.

تزوجت أسماء رضي الله عنها جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين، وهاجرا معاً إلى الحبشة فراراً بدينهما من قريش وإيذائها للمسلمين، وفي الحبشة أنجبت له ثلاثة أولادٍ هم: محمد، وعبد الله، وعون.

ولما رجع المهاجرون من الحبشة كان رسول الله ﷺ قد توجَّه لفتح خيبر، وبعد أن فتحها الله عليه أُخبر بعودة المهاجرين من الحبشة، فلما رأى رسول الله ﷺ جعفرَ قبَّل بين عينيه، والتزمه[2]، وقال: **«مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أُسَرُّ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ؟»**.

كان رَسُولُ اللهِ ﷺ شديد الحب والتقدير لِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وكَانَ دَائِماً يَقُولُ لَهُ: **«أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»**[3].

الأخوات المؤمنات

وشهد رسول الله ﷺ لأسماء وأخواتها بالإيمان حين سمَّاهنَّ

---

(1) في الاستيعاب: «عميس بن مالك بن النعمان»، وفي سيرة ابن هشام: «عميس بن سعد بن الحارث».

(2) التزمه: ضمه إليه ولصق به.

(3) رواه: أحمد/كتاب: أول مسند الكوفيين/باب: حديث عبد الله بن أسلم مولى النبي ﷺ/ برقم: (18238).

«**الأخوات المؤمنات**»، وهل هناك أرفع من وسام الإيمان يسمو إليه عاقلٌ في هذه الحياة؟.

لقد روي عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الأَخَوَاتِ لَمُؤْمِنَاتٌ**»، وفي لفظٍ: «**الأَخَوَاتُ الأَرْبَعُ المُؤْمِنَاتُ ميمونة وأم الفضل ابنتا الحارث؛ وسلمى وأسماء ابنتا عُمَيْسٍ**».

دورها في الدعوة والجهاد

وكان لها ولأخواتها أثرٌ كبيرٌ في الدعوة إلى الله قولاً وعملاً وسلوكاً، ونشر دينه في أوساط النساء، وقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ: بِضْعٌ؛ وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِي؛ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ.

وَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا، يَعْنِي لأَهْلِ السَّفِينَةِ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ - وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا - عَلَى حَفْصَةَ زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ، الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلا وَاللهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ؛ وَكُنَّا فِي دَارِ - أَوْ فِي أَرْضِ - الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ، بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ وَايْمُ اللهِ لا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ

لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ؛ وَاللهِ، لا أَكْذِبُ، وَلا أَزِيغُ، وَلا أَزِيدُ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: **«فَمَا قُلْتِ لَهُ؟»** قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا قَالَ: **«لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ – أَهْلَ السَّفِينَةِ – هِجْرَتَانِ»**.

قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالاً يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي[1].

زوجة الشهيد جعفر الطيار

ولما استقر مقام أسماء بنت عميس وزوجها جعفر بن أبي طالب في المدينة المنورة – حرسها الله تعالى – بات جعفر لا يتخلف عن مشهدٍ أو غزوة مع رسول الله ﷺ حتى اختاره رسول الله ﷺ أحد ثلاثة أمراء للجيش الذي جهّزه للقاء الروم في مؤتة.

روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ خَالِدِ بْنِ سُمَيْرٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَبَاحٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الأُمَرَاءِ، وَقَالَ: **«عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ»**.

فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَأُمِّي، مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا!! قَالَ: **«امْضُوا فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ؟»**.

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المغازي/ باب: غزوة خيبر/ برقم: (3905).

قَالَ: فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: «الصَّلاةُ جَامِعَةٌ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَابَ خَيْرٌ - أَوْ ثَابَ خَيْرٌ، شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ»**، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ **«ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ، حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ»**، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ **«ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ، فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ، حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ»**، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ»** - وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الأُمَرَاءِ، هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ - فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: **«اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ، فَانْصُرْهُ»**، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي رِوَايَةٍ: **«فَانْتَصِرْ بِهِ»**، فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللهِ.

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ، وَلا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ»** فَنَفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاةً وَرُكْبَانًا(1).

ولكن كيف علمت أسماء باستشهاد جعفر رضي الله عنه؟ ها هي ذي أسماء تروي لنا قصة ذلك فيما رواه الإمام أحمد عَنْ أُمِّ عِيسَى الْجَزَّارِ، عَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ جَدَّتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ دَبَغْتُ أَرْبَعِينَ مَنِيئَةً(2)، وَعَجَنْتُ عَجِينِي، وَغَسَّلْتُ بَنِيَّ وَدَهَنْتُهُمْ وَنَظَّفْتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«ائْتِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ»**، قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَشَمَّهُمْ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ،

---

(1) رواه: الإمام أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه / برقم: (12509).

(2) في رواية: أربعين إهاباً - جلداً - من أُدُم - جمع أديم، وهو الجلد.

فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي، مَا يُبْكِيكَ؟ أَبَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ**» قَالَتْ: فَقُمْتُ أَصِيحُ وَاجْتَمَعَ إِلَيَّ النِّسَاءُ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: «**لا تُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا، فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ**»[1].

واجتمع النساء إلى أسماء يهدئن من روعها وجزعها على خبر نعي زوجها، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**يَا أَسْمَاءُ، لاَ تَقُولِي هُجْراً، وَلاَ تَضْرِبِي صَدْراً**»، ثم قال: «**تَسَلَّبِي ثَلاثاً، ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ**».

ودخل رسول الله ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء وهي تندب جعفرَ وتقول: واعَمَّاه!! فقال رسول الله ﷺ: «**عَلَى مِثْلِ جَعْفَرَ فَلْتَبْكِ الْبَاكِيَةُ**»، ثم قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ**»[2].

زوجة الصديق وخليفة رسول الله

ولما كان يوم حنين ذهبت أم رومان زوج الصِّدِّيق رضي الله عنها إلى لقاء ربها، فجاء الصِّدِّيق إلى أسماء يخطبها، ومثل أبي بكرٍ لا يُردُّ، فمكارمه أكثر من أن تُعدَّ.

ودخلت أسماء بيت أول من اكتحلت عيناه بنور الإيمان، فمنحها وأولادها كل ما لديه من الحب والحنان، وأثمر زواجهما عن ولادة مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أثناء طريقهما لحجة الوداع، روى النسائي عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ أَنَّهَا وَلَدَتْ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِالْبَيْدَاءِ فَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مُرْهَا فَلْتَغْتَسِلْ ثُمَّ لِتُهِلَّ**»[3].

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها / برقم: (25839).

(2) رواه: أبو داود/ كتاب: الجنائز/ باب: صنعة الطعام لأهل الميت/ برقم: (2725).

(3) رواه: النسائي/ كتاب: مناسك الحج/ باب: الغسل للإهلال/ برقم: (2615).

وكانت أسماء شريكة الصِّدِّيق في أفراحه وأتراحه، وكان أقسى ما تعرَّض له الزوجان الوفيان انتقالَ الحبيب الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وانقطاع الوحي.

وكانت أول أزمة صادفها الصِّدِّيق بعد اختياره خليفة للمسلمين إتمام بعث أسامة بن زيد، فقد طلب بعض الصحابة أن يكون أمير الجيش من هو أَسَنُّ من أسامة، ولكن ما كان الصِّدِّيق رضي الله عنه لينقض ما أمر به رسول الله ﷺ، وخرج بنفسه يُشيِّعُ جيش أسامة رضي الله عنه.

ثم انفجرت أزمة أخرى افتعلها المرتدون حين امتنعوا عن أداء الزكاة، لكن الجيوش التي جيَّشها الصِّدِّيق لمحاربتهم، والعزيمة الراسخة التي واجههم بها، قوَّضت أحلامهم، وقضت على آمالهم وأوهامهم بتقويض البنيان الذي أرسى دعائمه رسول الله ﷺ وثبت قواعده، وما كان الباطل ليصمد أمام الحق الذي رفع الصِّدِّيق لواءه، واستؤصلت شأفة المرتدين، وقُطع دابر الكافرين، وأُرسل كذَّاب اليمامة إلى سَقَرَ ليلقى فيها أسوأ مستقر.

ويبدو أن شيخ الإسلام قد فاض شوقه إلى لقاء الحبيب الأعظم ﷺ، وأصبح فراقه أثقل من أن يحتمل، فنزل به المرض.

ولما شعر بدنوِّ أجله أوصى أسماء التي لم تكن تفارق فراشه أن تغسله بنفسها، وأقسم عليها أن تفطر إذا حضرته الوفاة لأن الإفطار أقوى لها.

وحين أزف الرحيل، بدا وجه الصِّدِّيق كأنه شعلة من نور، فضمته أسماء إلى صدرها برقةٍ وحنان، وراحت تتلو على مسامعه بعض آيات القرآن لتمنحه السكينة والاطمئنان، ولم يلبث أن فارق الحياة، رحمه الله تعالى، وأحسن إليه، ورضي عنه.

وكانت أسماء صائمة فأفطرت لتبر بقسم بعلها الحبيب، وغسلته كما أوصاها، فكانت نِعْمَتِ الزوجة له في حياته وبعد مماته.

زوجة أمير المؤمنين علي

واعتدت أسماء، واستمر عراكها مع الحياة من أجل تنشئة بنيها الثلاثة

من جعفر ووحيدها من أبي بكر، ولكن ربيب رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أراد أن يخرجها من وحدتها، والأحزان التي انتابتها من جراء قتل الراشدَيْنِ عمر وعثمان فتقدم لخطبتها، وتزوجا.

وانتقلت أسماء مع بنيها إلى دار أبي الحسن أمير المؤمنين، فكانت له سنداً وعوناً تضيف حكمتها إلى حكمته، وثاقب فكرها إلى ثاقب فكره، وتشاطره الأفراح وتقاسمه الأحزان.

وأنجبت أسماء لعلي ولداً يسمى يحيى، وثمة خلاف على ولد آخر يقال له: عون، والله أعلم.

ذكاء رشيد!

كانت أسماء شديدة الذكاء، إذا وجدت نفسها في مأزق أو معضلة فما أسرع ما تهتدي إلى المخرج الموصل إلى الراحة والأمان، ولنصغِ إلى هذه الحادثة الصغيرة التي عرضت لها في بيت زوجها أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رأى عليٌّ أحد أولاد أخيه جعفر الطيار - زوجها الأول - يتشاجر مع محمد بن أبي بكر - زوجها الثاني -، وكان كلٌّ منهما يفاخر الآخر ويباهيه، ويقول: «أنا أكرم منك، وأبي خيرٌ من أبيك».

ووقف أمير المؤمنين، وحاكم المسلمين حائراً لا يدري ما يقول لهما، فالأول ابن أخيه ذي الجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، والثاني ابن الصِّدِّيق رفيق الغار، فما أصعب الاختيار!.

وبدا لأبي الحسن أن أسماء قادرة بما أُوتيت من ذكاء على حسم الأمر، فهي أمهم وتعرف كيف تُوفِّق بينهم، ونادى عليها، فلما سمعت مقالتهم قالت: «ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفرَ، ولا رأيت فيهم كهلاً خيراً من أبي بكرٍ!» وتوقَّف الشجار بين الأخوين، فتعانقا وعادا إلى اللعب كأنهما حميمان قديمان.

ووقف أمير المؤمنين مبهوراً أمام حسن قضائها، ونظر إلى فرحة

النصر على وجهها، ثم قال: ما تركتِ لنا شيئاً يا أسماء!، ولكن الذكاء الذي أسعفها هناك لم يخنها هنا، فقد استجمعت شجاعتها وقالت له بأدبٍ جَمٍّ: «يا أمير المؤمنين، إن ثلاثةً أنت أَخسُّهم لَخِيَارٌ» وغمرت أبا الحسن الفرحة، فقد كانت أسماء جديرة أن تكون زوج خليفة المسلمين، ووزير صدق لأمير المؤمنين.

وفاتها

وذات صباحٍ توجَّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأداء صلاة الفجر في المسجدَ فبرز له عدو الله عبد الرحمن بن مُلْجَم وضربه بسيفه المسموم، فأورده حتفه، واستبدَّ الحزن بأسماء، ثم قهرها المرض، ولم يطل بها حتى فارقت الحياة، رحمها الله وأحسن نزلها ورضي عنها.



3 - السيدة أم رومان زوجة أبي بكر الصديق

نسبها وأزواجها

اسمها زينب، وقيل دعد، ولكن غلب عليها لقب أم رومان فاشتهرت به، والدها عامر بن عويمر.

تزوجت أم رومان في الجاهلية من الحارث بن سخبرة الأزدي، وكانت له مكانة مرموقة في قومه، فأنجبت له مولوداً اسمه الطفيل بن الحارث، وكان مقر الأسرة في السداة بجزيرة العرب.

ثم بدا للحارث أن يخرج بأهله إلى مكة ويتَّخذ بها سكناً، ولكن من يريد العيش في مكة كان عليه أن يحالف أحد زعمائها ليدخل في جواره، ولييسر له شؤون معيشته.

ووجد الحارث في أبي بكر الصِّدِّيق ﵁ ضالته، وكان ذلك قبل مبعث النبي ﷺ، غير أنه لم يطل مقام أسرة الحارث في مكة حتى فقدت مُعيلها الذي كانت تعتمد عليه، وبمقتضى العُرف السائد في جزيرة العرب، كانوا إذا مات الرجل فيهم بادروا إلى الزواج من أرملته تكريماً له وصوناً لأسرته، ولتأمين الحياة الكريمة لها.

ولهذا خطب الصِّدِّيق أم رومان، وتزوجها، وكان من ثمرة هذا الزواج أن ولدت له عبد الرحمن والسيدة عائشة التي أصبحت فيما بعد أم المؤمنين ﵄.

إسلامها

وعاشت أم رومان وابنها في بيت أبي بكر في سعادة، وهناء، وكرم، وسخاء حتى أصاب قلبها سهم من نور السماء، حين دخل عليها أبو بكر يخبرها بإسلامه، وأن عليه مساعدة رسول الله ﷺ في نشر دعوته، ونقل

رسالته إلى الناس، وشرح أحكام الدين الجديد؛ وأدرك الصِّدِّيق ﷺ أن البداية يجب أن تكون من الأقارب لأنه محل ثقتهم، وموضع اطمئنانهم، وما إن دعا أم رومان لمتابعته حتى سارعت إلى إعلان إسلامها، ولكنه طلب منها أن تكتم الأمر حتى يشاء الله رب العالمين.

وأخبر الصِّدِّيق رضي الله عنه رسول الله ﷺ بإسلام أم رومان فسرَّه ذلك، وأخذ يتردد كثيراً إلى بيت أبي بكر لأنه أكثر أماناً من أي مكان آخر، ناهيك عن الترحيب الكبير الذي كان الزوجان الكريمان يلقيانه به.

وصار منزل أم رومان أول منزلٍ يتلى فيه كلام الله، وتخفق راية الإسلام فيه، بل تحوَّل إلى مدرسة تنتشر من كُواها أنوار الدعوة إلى الله.

مسؤولية مزدوجة

كانت أم رومان لزوجها نعم العون والنصير، وكان أبو بكر لها نعم العشير، ومن أسعد منهما حين يدخل منزلهما خير رسول، ويأتيه بالوحي خير سفير؟.

ولم تكن أم رومان لتتأخر عن بذل أي جهدٍ أو مال من أجل إعلاء كلمة الله، بل راحت تشجع أبا بكر على شراء المستضعفين من موالي قريش حتى يتخلصوا من العذاب الذي يسامونه بسبب إسلامهم، ومن ثم تحثُّهُ على إعتاقهم ومنحهم حرياتهم، وكان سرور الصِّدِّيق بتشجيع امرأته له ومساعدتها إياه في إعلاء كلمة الله فوق كل وصفٍ أو تصور.

لقد وعت أم رومان أن الإسلام حمَّلها مسؤولية مزدوجة داخل المنزل وخارجه، ففي الداخل ينبغي لها أن ترعى زوجها وأطفالها، ولم يكن عجيباً أن تنمو في بيتها زهرة نضرة تُدعى عائشة، فتصبح أماً للمؤمنين، وتملأ الدنيا بعبيرها الفوَّاح!!.

وفي الخارج كان على أم رومان أن تشارك رسول الله ﷺ وزوجها أبا بكر ما يلقيان من أعداء الله، وتواسيهما، وتشد من عزيمتيهما ما تمادى أهل البغي في شرورهم وطغيانهم، ولجُّوا في أذاهم ونكالهم.

مصاهرة الحبيب ﷺ لها

وما أعظم فرحة أم رومان حين علمت أن رسول الله ﷺ يرغب في مصاهرتها، والزواج بوحيدتها عائشة رضي الله عنها! فأي خيرٍ نزل بكم يا آل أبي بكرٍ! وأي فضلٍ أصبتم! وأي تكريم نلتم؟!! وأي شرف يضاهي هذا الشرف ويدانيه؟ وقد أمر رب العزة من فوق سبع سموات، وأرسل سفيره جبريل عليه السلام ليخبر رسوله ﷺ بهذا الزواج الميمون، أي تكريم لك ولزوجكِ يا أم رومان أعظم من أن يختار لكما رب العرش العظيم ذلك الصهر الكريم الذي لم يخلق له نظير؟ حُقَّ لك أن تكوني أسعد حماة، وأن تكون ابنتك أسعد الزوجات، وأعظمهن فخراً ومباهاة!

لقد جاءت الأخبار المتواترة الصحيحة أن العقد تمَّ في مكة قبل الهجرة، وأنه ﷺ بنى بعائشة في شهر شوال بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، ولكن كيف تمت الهجرة المباركة؟ ومتى؟.

الهجرة إلى المدينة

بعد أن أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، جاء إلى بيت صاحبه الصِّدِّيق ليعلمه، فسأله الصحبة، وكان قد أعدَّ راحلتين لهذا الغرض.

وأمر رسول الله ﷺ ربيبه عليَّ بن أبي طالب أن ينام في فراشه ليلة الهجرة، وأن يسلِّم ما لديه من أمانات وودائع إلى أصحابه، ثم يلحق به إلى المدينة المنورة بعد ذلك بصحبة زوجه السيدة سودة بنت زمعة أم المؤمنين، وابنتيه السيدة أم كلثوم والسيدة فاطمة الزهراء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ - وأما آل أبي بكر - السيدة أم رومان والسيدة عائشة - فسيرافقهما عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما، وتمَّت الهجرة بسلام، وتحققت على خير ما يرام، وفق مشيئة العليم العلاَّم.

وفي المدينة أمر رسول الله ﷺ ببناء المسجد النبوي الشريف وإلحاق بعض الحجرات به لتكون سكناً لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهنَّ

أجمعين، وأخذت أم رومان بعد أن استقر بها المقام في المدينة تستعرض شريط ذكرياتها منذ زواجها الأول وانتقالها إلى مكة، ووفاة زوجها الأول، وزواجها بأبي بكر، ثم إرادة الله الخير بها بدخولها في دين الإسلام، ثم مشيئة الله تعالى باختيار أشرف المرسلين ليكون صهراً لها، فعلمت أي فضل وعناية خصَّها بهما رب العالمين!.

محنة الإفك

لكنَّ سحابة سوداء، وغيمة داكنة، عكَّرت صفو أم رومان، وأصابت حياتها بالرنق والتكدير، حين أقدم رأس المنافقين عبد الله بن أُبي ابن سلول على اختراع حادثة الإفك والترويج لها والإسهام في نشرها، فقد اتَّهم أم المؤمنين في شرفها، وأراد النيل من طُهرها والإساءة إلى عفَّتها، متغافلاً عن أنَّ أم رومان والصِّدِّيق، قد ربَّيا ابنتهما السيدة عائشة أحسن تربية، وغرسا في نفسها من مكارم الأخلاق والفضائل ما يجعلها في منأى من التُّهم والظُّنون والشبهات، ناسياً أن أم المؤمنين خيرة الله من النساء، وصفوة الطهر التي خصَّ بها رسوله ﷺ، ولكن نفس هذا الخبيث نضحت بأسوأ أحقادها، وأبدت عن شر شرورها، بعد أن حطَّم ظهور النبي ﷺ التاج الذي أوشك زعماء يثرب أن يضعوه على رأس ابن أُبيٍّ القذر، ويتوِّجوه ملكاً عليهم، ولكن خاب وخسر المبطلون، وقتل الخراصون والمفترون! ويلٌ لك يا ابن أُبي! بل ألف ويل!! لئن جعلت أطهر النساء وأعفهن عرضة لباطلك وتخرصاتك، فماذا أبقيت لغيرها من نساء المؤمنين؟.

أشهد أن حياءك لمعدوم، وأن حظك من الوقاحة لوفير! لقد ارتقيت مسلكاً وعراً، وخضت بحراً عاتي الموج، وما أظنك إلا من الهالكين، وتلك نهاية جديرة بعدو الله والدين، فتجهَّز لمجلس القضاء، يوم يقضي بين الناس رب السماء.

بأبي أنت وأمي أيتها الأم الرؤوم، كم أدخل عليك ابن أُبيٍّ من الألم والبكاء والمعاناة بغير ذنب قارفت، أو إثم اجترحت! ولكن الله لا يغفل عما

يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم لا ريب فيه، وأنت يا أمَّ المتهمة البريئة، رمز الطهر، ومَثَل العفاف، لقد طعن الأفَّاك الأثيم بتربيتك المثلى، وعرَّضك لشقاء ما كنت له تستحقين، ولكن يا أم رومان! إن الله ورسوله ﷺ وأبا بكر والمؤمنين ليعرفون فضلك وقدرك، وكفى بذلك عزاءً لك ولابنتك، والله لن يسلمكما لحاقدٍ لئيم، وأفَّاك ذميم، فقد حرَّم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227]!!.

وكانت أم رومان حين سمعت بما يخوض الناس فيه قد خَرَّت مغشياً عليها من هول الضربة وشدة وطأتها، غير أن ثقتها وإيمانها بالله عز وجل جعلاها تعتصم بالصبر وتستمسك بحبل الله المتين، وراحت تضرع إلى الله أن يكشف عن آل بيت أبي بكر تلك الغمة، فهو وحده القادر، وهو المستعان.

وقد كتمت أم رومان الأمر عن ابنتها السيدة عائشة رضي الله عنها رحمة بها، وشفقة عليها، ودفعاً لآلام قد لا تحتملها، ولكن إذا أراد الله أمراً فلن يمنع شيءٌ من حدوثه.

لم يلبث الحديث أن انتشر، ووصل إلى مسامع السيدة عائشة الخبر عن طريق أم مسطح بن أُثاثة التي كانت تتردد عليها، فوقعت السيدة عائشة في غَمٍّ شديد، وأدركت سر فتور رسول الله ﷺ عنها لعدة أيام خلت، فسألته أن يأذن لها في الذهاب إلى أهلها، فأذن، ولما دخلت عليهما وجدتهما صريعيْ هَمٍّ، غريقيْ حزنٍ شديدٍ، فراحت تبكي وتنتحب، وتسكب الدمع الغزير، ثم أقبلت على أمها معاتبة لها كتمانها لأمرٍ يخصها أكثر من غيرها، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ رُومَانَ: «يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إلا كَثَّرْنَ، وَكَثَّرَ النَّاسُ عَلَيْهَا».

بيد أن القلوب المتعلقة بربها لا يتخلى عنها الله عز وجل عنها، ولا يدعها في محنتها، وما أحسب أن بيتاً من بيوت المسلمين كان الإيمان يعمر قلوب أهله كبيت آل أبي بكر! لأن شعاعات الهداية خرجت إلى بيوتهم من بيته، وغمرت قلوبهم من قلبه.

ولما أذن الله تعالى بكشف هذه المحنة القاسية بعث سفيره جبريل عليه السلام إلى رسوله ﷺ يبشره ببراءة أهله ويفضح فرية المفترين، بقرآن يتلى إلى أبد الآبدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: 11 – 20].

ولما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ قام يزفُّ البشرى إلى السيدة عائشة، وغمرت الفرحة البيت النبوي المطهر، وبيت أبي بكر، وبيوت المسلمين، وباء المفترون بالخزي المهين.

وفاتها

وفي غزوة حنين آن لأم رومان أن ترتاح فأدركتها الوفاة، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها وقال: **«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا لَقِيَتْ أُمُّ رُومَانَ فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ»**، وقال: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الحُورِ العِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ»**، واستغفر لها، رحمها الله تعالى، وأنزلها دار المتقين، ورضي عنها وأرضاها.



4 - السيدة أم الفضل لبابة الهلالية

نسبها

اسمها لبابة، والدها الحارث بن حَزْن، والدتها هند بنت عوف أكرم عجوز في الدنيا أصهاراً، فقد تزوَّج رسول الله ﷺ ابنتها ميمونة، وتزوج العباس عم النبي ﷺ ابنتها أم الفضل، وتزوج حمزة عم رسول الله ﷺ ابنتها سَلْمى، وتزوَّج جعفر بن أبي طالب ابنتها أسماء، فلما استشهد في معركة مؤتة خلفه عليها أبو بكر الصديق، فلما مات خلفه عليها علي بن أبي طالب، فهل كان لحماة مثل هؤلاء الأصهار الأخيار؟!!.

وقد أنجبت لبابة للعباس ستة من الأفذاذ؛ أولهم: الفضل، وبه كانت تُكنى، وعبد الله حبر الأمة وترجمان القرآن، وعبيد الله الفقيه، ومعبد، وقثم، وعبد الرحمن.

إسلامها وآل بيتها

أسلمت أم الفضل في مكة قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وقيل: إنها ثانية النساء إسلاماً بعد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ولقيت في سبيل إسلامها العَنَتَ، والأذى الشديد، وكانت رضي الله عنها من علية قومها وسيدة نسائهم كما هو حال زوجها العباس في قومه، لكنها بعد إعلان إسلامها هي وابنها عبد الله باتا من المُستضعفين، وقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عُبَيْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: «كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ»(1).

(1) رواه: البخاري/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾/ برقم: (4221).

وأخرج البخاري أيضاً عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ تَلا: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: 75]، قَالَ: «كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ»[1].

وكان رسول الله ﷺ يُوادُّها ويكرمها، ويتردد إلى بيتها ليزورها، وربما كان يقيل عندها أحياناً، وقد حباها الله شجاعة وقوة فجعلت ذلك في سبيل الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرة دينه والقضاء على واحدٍ من ألدِّ أعداء النبي ﷺ، وأشدهم إيذاء له، وهو عمه أبو لهب زوج أم جميل حمَّالة الحطب، فقد روى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: كُنْتُ غُلامًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الإِسْلامُ قَدْ دَخَلَنَا فَأَسْلَمْتُ، وَأَسْلَمَتْ أُمُّ الْفَضْلِ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ قَدْ أَسْلَمَ وَلَكِنَّهُ كَانَ يَهَابُ قَوْمَهُ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلامَهُ.

وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ - عَدُوُّ اللهِ - قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، وَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصَ ابْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَكَذَلِكَ كَانُوا يصَنْعُونَ: لَمْ يَتَخَلَّفْ رَجُلٌ إِلا بَعَثَ مَكَانَهُ رَجُلاً، فَلَمَّا جَاءَنَا الْخَبَرُ كَبَتَهُ اللهُ وَأَخْزَاهُ، وَوَجَدْنَا أَنْفُسَنَا قُوَّةً[2] وعزةً.

قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، أعمل الأقداح، أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالسٌ وعندي أم الفضل جالسةٌ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر، حتى جلس، فبينما هو جالسٌ، إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم، قال: فقال أبو لهب: هلمَّ إليَّ

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾/ برقم: (4222).

(2) إلى هنا رواه: الإمام أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أبي رافع/ برقم: (22744)، وما تبقَّى من رواية ابن إسحاق في سيرة ابن هشام.

فعندك - لعمري - الخبر، قال: فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ فقال أبو سفيان: والله، ما هو إلا أن لقينا القوم حتى منحناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاؤوا! ويأسروننا كيف شاؤوا! وأيْمُ الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلْقٍ بين الناس والأرض، والله لا يقوم لها شيْءٌ.

قال أبو رافع: فرفعت طُنُبَ الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة!

فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، فثاورته، فاحتملني، وضرب بي الأرض، ثم برك عليَّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمودٍ من عُمُدِ الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة فلعت في رأسه شجة منكرة، وقالت: استضعفته أن غاب سيده؟ فقام أبو لهب مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة، فقتله.

وتركه بنوه بعد وفاته ثلاثة أيام لا يدفنونه حتى أنتن، فجاءهم رجل من قريش وقال لهم: ويحكم يا أبناء أبي لهب! ألا تستحيون أن أباكم قد أنتن في بيته لا تدفنونه؟! فقالوا: إنا نخشى على أنفسنا عدوى هذه العدسة! فقال لهم: انطلقوا فأنا أُعينكم عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء ما يدنون منه، ثم حفروا له حفرة ودفعوه بعودٍ في حفرته، ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه!!.

فما أبشعها من نهاية! تليق بمن كان يمشي خلف رسول الله ﷺ وهو يدعو الناس إلى الله فيقول لهم أبو لهب من ورائه: لا تصدقوه، لا تصدقوه، قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 85].

أدلة إسلام العباس رضي الله عنه

وبقدر ما كان أبو لهب يُناصِبُ ابن أخيه العداء، ويُظهر له البغضاء، فقد كان العباس عمه الآخر محباً له، حفياً به، مناصراً له في دعوته، وقد

سارع إلى الدخول في الإسلام قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، واتَّفق مع ابن أخيه على كتمان إسلامه حتى يكون له عيناً في مكة، وينقل إليه أخبار قريش وما تحيكه ضده وضد المسلمين من المؤامرات، وثمَّة أدلة عديدة على إسلام العباس رضي الله عنه قبل الهجرة، منها:

1- حضوره مع رسول الله ﷺ العقبة الثانية ليستوثق لابن أخيه من تأييد الأنصار له، ومناصرتهم له حين يهاجر إليهم، وكان اللقاء في العقبة سرياً، وفي سواد الليل، بعيداً عن رقباء قريش وعيونها، ولو كان العباس مقيماً على الشرك لما دعاه رسول الله ﷺ لمرافقته، وكيف يثق بمشركٍ، والمشركون لا عهد لهم؟.

2 - إرسال العباس إلى رسول الله ﷺ بعد استقراره في المدينة برسالة مع رجل يثق به، يبلغه فيها بما أعدت قريش من عدة وعدد وعتاد للقائه في بدر، حتى يأخذ أُهبته، لقد كان هدف قريش من الخروج إلى بدر استئصال المسلمين، والقضاء على رسولهم الأمين، فكيف يحذره العباس مما يصنع المشركون إذا كان واحداً منهم، ولم يك من المسلمين؟.

3 - أمر النبي ﷺ أصحابه بعدم قتل العباس يوم بدر، وأخبرهم أنه إنما خرج مستكرهاً، ولو أن العباس لم يخرج مع قريش إلى ساحة القتال لتحول شكها فيه إلى يقينٍ، فقد كانت في ريبٍ من أمره.

4 - حديث أبي رافع المتقدم آنفاً، والدال على إسلام العباس سراً، وأم الفضل، وإسلامه في وقت مبكر.

لقد قدَّم العباس رضي الله عنه بكتمان إسلامه للمسلمين ولرسولهم ﷺ خدمة لم يكن قادراً على تقديمها في حال العلن، لأن قريشاً لم تكن لتدعه حر التحرك كيف يشاء، يروج ويغدو، ويحضر مجالسها، ويسمع آراءها وقراراتها، ثم يخبر أعداءها بها بين الحين والحين، فجزى الله العباس عن المسلمين ورسولهم ﷺ كل خير يوم يقوم الناس لرب العالمين، لتجزى كل نفس بما كسبت، بالخير خيراً، وبالشر شراً.

رؤيا مباركة

وذات ليلة رأت أم الفضل فيما يرى النائم رؤيا غريبة، استيقظت على أثرها فزعة مذعورة، لها صلة برسول الله ﷺ، فترددت في إخباره بها، غير أن ترددها جعل القلق يستبدُّ بها، ومنعها راحة الفكر والبال، ولما جاوز قلقها حدَّ الاحتمال ذهبت إلى النبي ﷺ وعزمت أن تقص عليه رؤياها، وها هي تحدثنا عن ذلك فيما روى أحمد عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ قَابُوسَ بْنِ أَبِي الْمُخَارِقِ، عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ قَالَتْ: رَأَيْتُ كَأَنَّ فِي بَيْتِي عُضْوًا مِنْ أَعْضَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: فَجَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: **«خيرًا، تَلِدُ فَاطِمَةُ غُلامًا، فَتَكْفُلِينَهُ بِلَبَنِ ابْنِكِ قُثَم»** قَالَتْ: فَوَلَدَتْ حَسَنًا، فَأُعْطِيتُهُ، فَأَرْضَعْتُهُ حَتَّى تَحَرَّكَ – أَوْ فَطَمْتُهُ – ثُمَّ جِئْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَجْلَسْتُهُ فِي حِجْرِهِ، فَبَالَ، فَضَرَبْتُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ: **«ارْفُقِي بِابْنِي، رَحِمَكِ اللهُ – أَوْ أَصْلَحَكِ اللهُ – أَوْجَعْتِ ابْنِي»** قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اخْلَعْ إِزَارَكَ وَالْبَسْ ثَوْبًا غَيْرَهُ، حَتَّى أَغْسِلَهُ قَالَ: **«إِنَّمَا يُغْسَلُ بَوْلُ الْجَارِيَةِ، وَيُنْضَحُ بَوْلُ الْغُلامِ»**[1].

وفي رواية أخرى عَنْ صَالِحٍ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنَّ فِي بَيْتِي – أَوْ حُجْرَتِي – عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ، قَالَ: **«تَلِدُ فَاطِمَةُ، إِنْ شَاءَ اللهُ، غُلامًا فَتَكْفُلِينَهُ»** فَوَلَدَتْ فَاطِمَةُ حَسَنًا، فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهَا، فَأَرْضَعَتْهُ بِلَبَنِ قُثَمَ، وَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمًا أَزُورُهُ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَبَالَ عَلَى صَدْرِهِ، فَأَصَابَ الْبَوْلُ إِزَارَهُ، فَزَخَخْتُ بِيَدِي عَلَى كَتِفَيْهِ، فَقَالَ: **«أَوْجَعْتِ**

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم الفضل وهي أخت ميمونة/ برقم: (25641).

ابْنِي أَصْلَحَكِ اللهُ - أَوْ قَالَ: رَحِمَكِ اللهُ -» فَقُلْتُ: أَعْطِنِي إِزَارَكَ أَغْسِلْهُ فَقَالَ: **«إِنَّمَا يُغْسَلُ بَوْلُ الْجَارِيَةِ، وَيُصَبُّ عَلَى بَوْلِ الْغُلامِ»**[1].

وسعدت أم الفضل بهذا التعبير لرؤياها، وندمت على إبطائها وتأخرها في إخبار النبي ﷺ بها، وقد روى أبو داود أنها جاءت برضيعها مرة إلى رسول الله ﷺ فكان في ذلك حكم فقهي عام، قال: حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ أَبُو تَوْبَةَ، الْمَعْنَى قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ قَابُوسَ، عَنْ لُبَابَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، قَالَتْ: كَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَالَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: الْبَسْ ثَوْبًا وَأَعْطِنِي إِزَارَكَ حَتَّى أَغْسِلَهُ» قَالَ ﷺ: **«إِنَّمَا يُغْسَلُ مِنْ بَوْلِ الأُنْثَى، وَيُنْضَحُ مِنْ بَوْلِ الذَّكَرِ»**[2].

راوية حديث رسول الله ﷺ

وقالت أم الفضل لرسول الله ﷺ مرة: يا رسول الله، إن الله نعاك لنا، فلو أوصيت بنا من يكون بعدك، إن كان الأمر فينا أو في غيرنا! فقال ﷺ: **«إِنَّكُمْ مَقْهُورُونَ مُسْتَضْعَفُونَ بَعْدِي»**.

وكانت أم الفضل راوية لحديث النبي ﷺ، فقد تلقَّفت من فمه الشريف قرابة ثلاثين حديثاً روتها عنه، وقد روى بعضها عنها ولدها عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، كما روى عنها أنس بن مالك رضي الله عنه، ومولاها تمام، وبعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وفاتها

كانت أم الفضل حرزاً للإسلام، ووقفت حياتها للدفاع عن المسلمين ضد من عاداهم من الكفرة والمشركين، وكانت مثلاً للأم الصالحة المؤمنة

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم الفضل وهي أخت ميمونة/ برقم: (25644).

(2) رواه: أبو داود/ كتاب: الطهارة/ باب: بول الصبي يصيب الثوب/ برقم: (320).

الشجاعة، وقد خلّفت لنا عدداً من الأفاضل، فكانت بحقٍّ أم الفضل مبنًى ومعنًى، حتى لقيت وجه ربها الكريم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وصلى عليها زوجها العباس رضي الله عنه، ثم ووريت الثرى.

وقد جاء في طبقات ابن سعد هذه الأبيات لعبد الله بن يزيد الهلالي:

مَا وَلَدَتْ نَجِيبَةٌ مِنْ فَحْلِ   بِجَبَلٍ نَعْلَمُهُ وَسَهْلِ
كَستَّةٍ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الفَضْلِ   أَكْرِمْ بِهَ مِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلِ!
عَمِّ النَّبِيِّ المُصْطَفَى ذِي الفَضْلِ   وَخَاتَمِ الرُّسْلِ وَخَيْرِ الرُّسْلِ

رحم الله أم الفضل، ورضي عنها، وجزاها جزاء المتقين الأبرار، في خير دار.



5 - السيدة هند بنت عتبة

نسبها

اسمها هند، والدها عتبة بن ربيعة، جاء إلى النبي ﷺ فتلا عليه آيات القرآن، وعاد إلى قومه ليخبرهم أن ما سمعه ليس بسحرٍ ولا شعرٍ ولا من كلام الكهان، ولكن سبق عليه القول، فقُتل مع أخيه شيبة وابنه الوليد يوم بدر مع رؤوس المشركين، والدتها صفية بنت أمية، وزوجها أبو سفيان بن حرب، وابنها معاوية بن أبي سفيان.

من صفاتها

عُرفت هند بالفصاحة والبيان، والجرأة وثبات الجَنَان، والثقة بالنفس، والاعتداد بالذات، والاعتزاز بالحسب.

كانت ذات مرة آخذة بيد ولدها الصغير معاوية، وهما يمشيان، فقيل لها: إن عاش ولدك ساد قومه، فقالت: ثَكِلْتُهُ إن لم يَسُدْ إلاَّ قومه!، ولما كبر معاوية قال عن أمه هند: إنها في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخير.

كان زوجها في الجاهلية فاكه بن المغيرة المخزومي، وكان له بيتٌ للضيافة يلجُهُ الناس دون استئذان، وذات مرة انصرف الضيوف، وانطلق زوجها لبعض حاجته، ولما خلا البيت رأت هند أن تخلد إلى الراحة، ثم غلبها النوم فنامت، وبينما هي نائمة حضر أحد الضيوف، ولما رآها نائمة ارتدَّ راجعاً على الأثر.

وصادف أن عاد زوجها ورأى الرجل يغادر بيت الضيافة وهي مستغرقة في نومها، فأقبل عليها وركلها بقدمه، فلما انتبهت سألها عن الرجل الذي

غادر البيت آنفاً، فردت بأنها لم ترَ أحداً، ولم تنتبه إلا حين نبَّهها، فسيَّرها زوجها إلى أهلها، ولما شاع الأمر بين الناس، وكثر الخوض في سيرتها، اتَّفق أبوها وزوجها على الاحتكام عند أحد الكهان اليمنيين المشهود لهم بالحكمة لكشف الحقيقة، وصحب كلٌّ منهما وفداً من قومه مع بعض النسوة الأخريات.

ولما وصلوا إلى مكان الكاهن، جلس النسوة بين يديه وهند بينهن، ونظر الكاهن إليهن ثم اقترب من هند، وقال لها: «انهضي غير رسماء ولا زانية، ولتلدن ملكاً يقال له معاوية».

وعند ذلك قام زوجها يعتذر إليها، وسألها مرافقته إلى بيته، فردت عليه هند بأنفة وكبرياء، وقالت له: إليك عني، فوالله إني لأحرص أن يكون الولد من غيرك!.

هند ومحاربتها للإسلام

ثم تزوَّجت أبا سفيان بن حرب، واتَّفقت كلمتهما على معاداة رسول الله ﷺ ومحاربة المسلمين، وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، ولم يَدُرْ في خلدِ هند أنها مقبلة على كارثة تشيب لهولها الولدان قبل أن يحين الأوان.

وجاءت معركة بدر، وعزَّزت قريش جيشها بكبار زعمائها، وخيرة قادتها، وسوَّلت لها أوهامها أن القضاء على الإسلام قد بات قاب قوسين أو أدنى، ولكن خالق الرياح أجراها خلاف ما تشتهي سفن قريش حين تعرضت لهزيمة منكرة، لم تشهد مثلها الأحلام، وسقط كبراؤها صرعى بسيوف الإيمان، المؤيَّدة بجنود الرحمن.

كانت هند أعظم قريش فجيعة، حين نعوا إليها أباها، وعمها، وأخاها، ومما زاد في أساها إخفاق العائدين إلى مكة بعار الهزيمة في حمل جثث قتلاهم التي أمر رسول الله ﷺ بإلقائها في قليب بدر، وقد أطلق المصاب لسان هند فقالت ترثي أباها وعمها وأخاها:

أُبَكِّي عَمِيْدَ الأَبْطَحَيْنِ كِلَيْهِمَا   وَحَامِيْهِمَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يُرِيْدُهَا

أَبِي عُتْبَةَ الخَيْرَاتِ وَيْحَكِ فَاعْلَمِي وَشَيْبَةَ وَالحَامِي الذِّمَارِ وَلِيْدُهَا
أُوْلَئِكَ آلُ المَجْدِ مِنْ آلِ غَالِبٍ وَفِي العِزِّ مِنْهَا حِيْنَ يَنْمِي عَدِيْدُهَا

وكانت هند بهذه الأبيات ترد على الخنساء حين رأت دموعها، وسألتها: من تبكين يا هند؟.

في غزوة أحد

وأقسمت هند على زوجها أبي سفيان ليثأرنَّ لها ولقتلى قريش جميعاً في بدر، وأخذت هند على نفسها العهد مع زوجها ألاَّ يألوا جهداً في تسعير نيران العداوة ضد المسلمين، حتى أمكن لقريش أن تحشد جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل يقودهم أبو سفيان، فيهم مئتا فارس أميرهم خالد بن الوليد، وخرجت هند مع بعض نساء المشركين إلى أُحد لتشجيع الرجال على القتال، كي لا يقعن سبايا في أيدي المسلمين، وكانت قد وعدت وحشيَّ بن حرب إن قتل لها حمزة بن عبد المطلب لَتُجْزِلَنَّ له العطاء.

وقبل أن يبدأ القتال أمر رسول الله ﷺ رماة المسلمين أن يقفوا في أعلى الجبل ويحموا ظهور إخوانهم، وألا يبرحوا مواقعهم مهما يكن سير المعركة لهم أو عليهم، وجعل أميرهم عبد الله بن جبير، وراحت هند بنت عتبة وصواحبها يضربن الدفوف ويهزجن:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ
إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ
فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

وكانت تتابع حركات وحشي، وهي تقول له: إيه أبا دَسْمَةَ! اشْفِ واشْتَفِ... وأمسك وحشي حربته، وأخذ يتحيَّن الفرصة المواتية ليسددها إلى هدفه حمزة، حتى إذا شعر أن ضربته لن تخيب، أطلق الحربة من يده، فانطلقت بسرعة البرق لتستقر في جسد أسد الله وأسد رسوله ﷺ، وتصيب منه مقتلاً، وسقط حمزة شهيداً بعد أن قضى على عدد من المشركين.

ورأت هند أملها يتحقق، وأسرعت إلى جثة حمزة وخنجرها في يدها، ثم أكبّت عليه تُمثِّل به أبشع تمثيل، فَجَدَعَتْ أنفه، وَصَلَمَتْ أُذنيه، ثم بقرت بطنه، واستخرجت كبده، وقضمت بأسنانها مضغةً منها، فلاكتها ثم لفظتها لأنها لم تُسِغْها، وملأ الدم فمها وغمر شفاهها، فبدت بأبشع مظاهر الوحشية.

وغادر وحشي أرض المعركة، ولم يعد بحاجة إلى القتال بعد أن فعل فعلته الشنعاء، وحقق لهند أعز رجاء.

وترك رماة المسلمين مواقعهم خلافاً لأوامر النبي ﷺ على الرغم من تحذير أميرهم لهم، فلما رأى خالد بن الوليد ذلك انقضَّ عليهم بجنوده من خلفهم، ورووا سيوفهم من دماء المسلمين، واستشهد مصعب بن عمير حامل اللواء، وحنظلة الغسيل، وأنس بن النضر، وسعد بن الربيع، وعبد الله ابن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح، وغيرهم.

وحلّت بالمسلمين هزيمة منكرة، وكُسرت رباعية رسول الله ﷺ، وشجَّ جبينه، وجرحت شفته، فجاء طلحة بن عبيد الله وحمله على ظهره ومضى به خلف صفوف المقاتلين حيث أحاطت به ثلة من الصحابة يحمونه من أي غدارٍ.

وحزن رسول الله ﷺ على عمه أشد الحزن، وخسر المسلمون معركة أُحد لأن رُماتهم خالفوا أوامر قائدهم وتركوا مواقعهم، فأحسن فارس قريش خالد بن الوليد استغلال الفرصة ليحقق النصر.

واعتلت هند إحدى التلال، وأخذت تنشد بأعلى صوتها:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ ... وَالحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ
مَا كَانَ مِنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ ... وَلاَ أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِي
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي ... شَفَيْتَ وَحْشِيٌّ غَلِيْلَ صَدْرِي
فَشُكْرُ وَحْشِيٌّ عَلَيَّ عُمْرِي ... حَتَّى تَرِمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي

ثم انتحت ناحية أخرى وقالت:

شَفَيْتُ مِنْ حَمْزَةَ نَفسِي بِأُحُدْ   حَتَّى بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَلَى الكَبِدْ
أَذْهَبَ عَنِّي ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدْ   مِنْ لَذْعَةِ الحُزْنِ الشَّدِيْدِ المُعْتَمِدْ

وخرج المسلمون من أُحد بدرسٍ بليغٍ، وعبرةٍ جليلةٍ، وعلموا أن طاعة القائد أول أسباب النصر، ولما كان رسول الله ﷺ هو القائد، فإن عصيانه عصيان لله، وكيف يُعْطَى النصر من عصا الله، وقد علموا أن النصر من عند الله؟.

لقد كانت جولة خسرها المسلمون، لكنهم عزموا على ألاَّ يكرِّروا ما حدث في أُحد، إن دين الإسلام لم يبتدعه أحد من الناس، ولكنه شرع الله القويم، أوحى به الله إلى رسوله ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى سواء السبيل.

إسلامها بعد فتح مكة

وخرج رسول الله ﷺ بجند الإيمان يريد فتح أم القرى وتطهيرها من أرجاسها وأوثانها، ولما بلغت الكتائب المؤمنة مشارف مكة كان أبو سفيان واقفاً مع العباس وعدد من زعماء قريش فقال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً.

فقال العباس: إنها النبوة، يا أبا سفيان.

فقال أبو سفيان: نعم، إذاً، فماذا ترى؟

قال العباس: أرى أنْ تنجو بنفسك، وتسرع إلى رسول الله ﷺ فتعلن إسلامك.

روى أبو داود عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَأَسْلَمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ.

فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرِ،

فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»(1).

وانقلب أبو سفيان إلى قومه قبل أن يدخل جند الله إلى مكة، وأخذ يناديهم: يا قوم، ألا إني قد أسلمت فأسلموا، إن محمداً آتيكم بما لا قِبَلَ لكم به!

وصعقت هند حين سمعت ما يقوله أبو سفيان زوجها، فسارعت إليه تقول له: بئس طليعة القوم أنت ! يا أهل مكة، اقتلوا هذا الهائج، قُبِّح من طليعة قومٍ!

فقال أبو سفيان: ويلكم! لا تغرنَّكم هذه بما تقول، فإنه سينزل بكم ما لا تطيقون!.

ولقد حُقَّ لأبي سفيان أن يفعل ذلك، فلقد حاول أن يصدَّ المسلمين ولكنه رأى ما لم تره هند، روى أبو داود عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ قَالَ الْعَبَّاسُ: قُلْتُ: وَاللهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ.

فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَجِدُ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي أَهْلَ مَكَّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ، فَإِنِّي لأَسِيرُ إِذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ! فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا لَكَ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ، قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبُهُ.

---

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الخراج والإمارة والفيء/ باب: ما جاء في خبر مكة/ برقم: (2626).

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ: **«نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»** قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ[1].

وأدركت هند بذكائها الفذ وبصيرتها النافذة أن باطل قريش قد آن له أن يزول، وأن الحق الذي جاء به محمد هو الأجدر بالبقاء، وجاءت إلى زوجها، وقالت له: خذني إلى صاحبك، فإني رأيت الذين يصلون معه في المسجد يعبدون إلهاً ما ينبغي لأحدٍ أن يعبد سواه، وأنا راغبة في اتِّباعه.

وكم سعد أبو سفيان بقولها! لقد همَّ بمرافقتها، ولكنه أعرض عن ذلك لأنه ذكر شناعة فعلها بعم رسول الله ﷺ حمزة يوم أحد، وأراد أن يتجنَّب الحرج الذي سيصيبه حين يعلم أن هنداً زوجه، واقترح عليها أبو سفيان أن تذهب ببعض قومها إلى رسول الله ﷺ عسى أن يصفح عنها ويعفو فهو أهلٌ لذلك.

وجمعت هند بعض النسوة ثم أتت إلى عثمان بن عفان بهنَّ، وقالت: ألا ترافقنا إلى رسول الله ﷺ، فإننا نريد أن نبايعه على الإسلام؟ قال: بلى، ودخل عثمان معهنَّ على رسول الله ﷺ وكانت هند متنقِّبة مخافة أن يعرفها، ويأخذها بما صنعت في أُحد بعمه حمزة.

ولما مَثُلت هند أمام أكرم البشر، قالت: يا رسول الله، الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره وارتضاه، لتنفعني رَحِمُكَ يا محمد، إني آمنت بالله وصدقت رسوله... ثم حسرت النقاب عن وجهها، وقالت: هأنذي هند بنت عتبة.

وسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلام هند، واهتدائها إلى طريق الحق والإيمان، فقال لها: **«مَرْحَباً بِكِ»**، ثم بايعت هند وسائر النسوة رسول الله ﷺ.

---

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الخراج والإمارة والفيء/ باب: ما جاء في خبر مكة/ برقم: (2627).

كم هو عظيم هذا الإسلام الذي جعل رسوله يصفح عن أبشع جريمة فعلتها هند بعمه، فقد حقنت دمها بكلمة التوحيد.

روت هند الحديث عن النبي ﷺ، وكانت محافظة على دينها، وكانت يوم وفاة الصِّدِّيق على موعدٍ مع الموت، وفارقت الحياة، رحمها الله، ورضي عنها.



6 - السيدة تماضر بنت عمرو (الخنساء)

نسبها

اسمها تماضر، سُميت بذلك لشدة بياضها، وينتهي نسبها إلى قبيلة مُضَر التي اعتبرها النبي ﷺ حصن القبائل العربية، والدها عمرو بن الحارث، وأخواها في الجاهلية صخر ومعاوية، وكانت تُكِنُّ لهما أعمق الحب، فلما قُتلا بكتهما بكاء مرّاً، وسكبت عليهما سخين العبرات، حتى احتلَّ رثاؤها لهما معظم ديوانها، وكشفت بذلك عن مقدرةٍ فذَّةٍ في قرض الشعر، وثراءٍ بمفردات اللغة عريض.

لقبها

وقد لُقِّبت بالخنساء، وهي صفة تعني انخفاض قصبة الأنف، أو تأخر الأنف عن الوجه، وكان رسول الله ﷺ يدعوها: «خُنَاس»، وقد غلب لقبها على اسمها، شأنها في ذلك شأن الكثيرين.

زوجها

كان زوجها يُدعى رواحة بن عبد العزيز السلمي، وقد ولدت له أربعة أشبال خرجوا جميعاً إلى القادسية لقتال الفرس، لكنهم آثروا لقاء الرحمن على العودة إليها.

كانت الخنساء تملك من المروءة، والشهامة، والبطولة، والشجاعة، والفصاحة، والوفاء، والإخلاص، والجمال الساحر، والذكاء النادر ما جعلها محط أنظار كبراء قومها، لكنها اختارت من بين خُطَّابها رواحة، كان بنوها الأربعة خيار قومهم في الجاهلية فلما اعتنقوا الإسلام أصبحوا مفخرة العرب والمسلمين.

الخنساء الشاعرة

والحق أن الخنساء كانت ذات شخصيتين تختلف كلٌ منهما عن الأخرى أيَّما اختلاف، فقد فرضت عليها الجاهلية أعرافها وتقاليدها وعاداتها، ولما قُتل أخواها صخر ومعاوية حبست نفسها على بكائهما، وفجَّرت بحار دموعها حتى كادت مدامعها تمتنع عن إسعافها بما تريد، وقد دعاها حزنها العميق على أخويها لتسخير قريحتها الشعرية لرثائهما.

ولم تكتفِ الخنساء بما ذرفته عيناها عليهما من العبرات، بل استطاعت بجدارةٍ أن تستدرَّ مدامع من سمعوا مراثيها فشاطروها بكاءها ونحيبها، وشاركوها في سكب الدموع، وهذا ما حدا بالنقاد إلى اعتبارها شاعرة الرثاء دون منازع.

وهذه نماذج من رثائها، قالت:

أَعَيْنَيَّ جُوْدَا وَلَا تَجْمُدَا ... أَلاَ تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الجَرِيْءَ الجَمِيْلَ ... أَلاَ تَبْكِيَانِ الفَتَى السَّيِّدَا
رَفِيْعَ العِمَادِ طَوِيْلَ النِّجَا ... دِ سَادَ عَشِيْرَتَهُ أَمْرَدَا
جَمُوعَ الضّيُوفِ إِلَى بَيْتِهِ ... يَرَى أَفْضَلَ الكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَإِنْ ذُكِرَ المَجْدَ أَلْفَيْتَهُ ... تَأَزَّرَ بِالمَجْدِ ثُمَّ ارْتَدَى
غِيَاثَ العَشِيْرَةِ إِنْ أَمْحَلُوا ... يُهِيْنُ التِّلاَدَ وَيُحِيْي الجَدَا

وقالت ترثيه:

قَذًى بِعَيْنِكِ أَمْ بِالعَيْنِ عُوَّارُ ... أَمْ ذَرَّفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ ... فَيْضٌ يَسِيلُ عَلَى الخَدَّيْنِ مِدْرَارُ
تَبْكِي خُنَاسُ عَلَى صَخْرٍ وَحُقَّ لَهَا ... إِذْ رَابَهَا الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ
وَإِنَّ صَخْراً لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا ... وَإِنَّ صَخْراً إِذَا نَشْتُو لَنَحَّارُ
وَإِنَّ صَخْراً لَمِقْدَامٌ إِذَا رَكِبُوا ... وَإِنَّ صَخْراً إِذَا جَاعُوا لَعَقَّارُ
وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

قَدْ كَانَ خَالِصَتِي مِنْ كُلِّ ذِي نَسَبٍ فَقَدْ أُصِيبَ فَمَا لِلْعَيْشِ أَوْطَارُ

غير أن أجمل ما قالته في رثاء صخر قولها:

يُؤَرِّقُنِي التَّذَكُّرُ حِينَ أُمْسِي فَأُصْبِحُ قَدْ بُلِيتُ بِفَرْطِ نُكْسِ
عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ فَتًى كَصَخْرٍ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَطِعَانِ خُلْسِ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ رُزْءاً لِجِنٍّ وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ رُزْءاً لإِنْسِ
أَلَا يَا صَخْرُ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى أُفَارِقَ مُهْجَتِي وَيُشَقَّ رَمْسِي
يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْراً وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكِينَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي
فَقَدْ وَدَّعْتُ يَوْمَ فِرَاقِ صَخْرٍ أَبِي حَسَّانَ لَذَّاتِي وَأُنْسِي

إن حب الخنساء لصخر لم يكن من جانبٍ واحدٍ، فقد كان صخر يبادلها الحب، ويقاسمها ماله، أفلا تكون وفيةً له! والوفاء كان إحدى شمائلها؟!.

روي أن الخنساء دخلت على السيدة عائشة رضي الله عنها وعلى جسدها صِدارٌ من شَعَرٍ، فقالت لها أم المؤمنين: ما هذا يا خنساء؟ فوالله لقد توفي رسول الله ﷺ فما لبسته قالت: إن له معنى دعاني إلى لباسه، فقد زوَّجني أبي سيد قومه، وكان رجلاً متلافاً، فأسرف في ماله، حتى أنفده، ثم رجع إلى ماله فأنفده أيضاً.

فأتينا أخي صخراً، فقسم ماله شطرين ثم خيَّرنا في أحسن الشطرين، فرجعنا من عنده على حالٍ حسنةٍ، فلم يزل زوجي حتى أذهبه جميعه، وعدنا إلى صخر، فقسم ماله شطرين، ثم خيَّرنا في أفضل الشطرين، فقالت له زوجته: أما ترضى أن تشاطرها مالك حتى تُخيِّرها بين الشطرين؟ فقال:

وَاللهِ لاَ أَمْنَحُهَا شِرَارَهَا فَلَوْ هَلَكْتُ قَدَّدَتْ خِمَارَهَا
وَاتَّخَذَتْ مِنْ شَعَرٍ صِدَارَهَا

فآليت ألاَّ يفارق الصِّدار جسدي ما بقيت! ، لقد كان مسرفاً في عطائه حين شاطرها ماله مرتين، أفلا تبادله سرفَ ماله بسرفٍ من دموعها ما دامت مآقيها تستجيب؟

وأما معاوية فقالت في رثائه:

أَلَا لَا أَرَى فِي النَّاسِ مِثْلَ مُعَاوِيَهْ ... إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِدَاهِيَهْ
بِدَاهِيَةٍ يُصْغِي الكِلَابَ حَسِيسُهَا ... وَتَخْرُجُ مِنْ سِرِّ النَّجِيِّ عَلَانِيَهْ
وَكَانَ لِزَازَ الحَرْبِ عِنْدَ شُبُوبِهَا ... إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا وَهْيَ ذَاكِيَهْ
وَقَوَّادُ خَيْلٍ نَحْوَ أُخْرَى كَأَنَّهَا ... سِعَالٍ وَعُقْبَانٍ عَلَيْهَا زَبَانِيَهْ
بُلِينَا وَمَا تَبْلَى تَعَارُ وَمَا تَرَى ... عَلَى حَدَثِ الأَيَّامِ إِلاَّ كَمَا هِيَهْ
فَأَقْسَمْتُ لَا يَنفَكُّ دَمْعِي وَعَوْلَتِي ... عَلَيْكَ بِحُزنٍ مَا دَعَا اللهَ دَاعِيَهْ

وسألها ذات يوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أقرح مآقيك؟ قالت: بكائي على السادات من مضر، فقال لها رضي الله عنه : يا خنساء، إنهم في النار فقالت: ذاك أطول لعويلي عليهم، وقالت: كنت أبكي صخراً على الحياة، فأنا اليوم أبكي له من النار.

ولما سئل جرير الشاعر: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء، قيل له: بم فضَّلتها؟ قال: بقولها:

إِنَّ الزَّمَانَ وَمَا يَفْنَى لَهُ عَجَبٌ ... أَبْقَى لَنَا ذَنْباً وَاسْتُؤْصِلَ الرَّاسُ
إِنَّ الجَدِيدَيْنِ فِي طُوْلِ اخْتِلَافِهِمَا ... لاَ يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

وقول جرير يدل على طول باعها، ورسوخ قدمها في ميدان الشعر، ولا يَعرف الدينار الزائف من الصحيح إلاَّ الصَّرَّافون!.

إسلامها

لقد كان موقف الخنساء من أخويها مطبوعاً بطابع البيئة التي تربَّت في أحضانها، غير أن تلك البيئة ما كان لها أن تستمر وتدوم، فقد بزغت شمس

الإسلام الحنيف، ووصلت بعض شعاعاتها إلى قلب خُناس فغسلته، وطهَّرته، ونقَّته من رواسب الجاهلية، وحوَّلت صاحبته خلقاً جديداً، وغدت تماضر تعتزُّ بإسلامها وتباهي به، ولكن كيف أسلمت تلك المرأة؟ وما الذي غيَّر شخصيتها؟.

لقد خرجت الخنساء مع بنيها في وفد بني سُليم للقاء رسول الله ﷺ وأعلن الجميع إسلامهم، وولاءهم لله الواحد الأحد، ولرسوله خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، ولما سمع النبي ﷺ شعرها جعل يستزيدها، ويقول: «**هِيْه يَا خُنَاسُ**»، ويومىء بيده إليها مستزيداً.

ولكن ماذا دار بين رسول الله ﷺ ووفد طيئ حين جاؤوا إليه ليدخلوا في دين الله مختارين راغبين؟ لقد قَدِمَ عديُّ بن حاتم وأخته سفَّانة بنت حاتم ووفد من طيئ، فلما أسلموا قال عدي: يا رسول الله، إن فينا أشعر الناس، وأسخى الناس، وأفرس الناس فقال له النبي ﷺ: «**سَمِّهِمْ**» فقال عدي: أما أشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر، وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد الطائي - يعني: أباه - وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب.

فقال رسول الله ﷺ: «**لَيسَ كَمَا قُلْتَ يَا عَدِيُّ، أَمَّا أَشْعَرُ النَّاسِ فَالخَنْسَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو، وَأَمَّا أَسْخَى النَّاسِ فَمُحَمَّدٌ** - يَعْنِي: نَفْسَهُ - **وَأَمَّا أَفْرَسُ النَّاسِ فَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ**»، وتلك أغلى شهادةٍ حصلت عليها الخنساء من سيد البشر، وأنبل البشر، وأكرم البشر.

الأم الشجاعة الصابرة

وجاءت القادسية، يوم امتُحنت الخنساء في إيمانها، وكان أصعب امتحانٍ، ولكن ماذا كانت نتيجته؟ وهل رسبت فيه أم كانت من المتفوقات؟ وما إخالها ترضى بغير التَّفوُّق بديلاً!.

حين سمعت الخنساء وبنوها الأربعة نداء الداعي للخروج إلى القادسية، بادر أشبالها الأربعة كلٌّ منهم إلى لأُمَته فارتداها، ووقفت اللبؤة العجوز لتشيعهم، وتملأ عيونها منهم، فلعل تلك اللحظة آخر عهدها بهم،

ثم قالت لهم: أَيْ بَنِيَّ، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو رجلٍ واحدٍ كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هَجَّنْتُ حسبكم، ولا غيَّرتُ نسبكم، وقد تعلمون ما أعدَّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران: 200]، فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله تعالى سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظَى على سياقها، وجللت ناراً على أوراقها، فتيمَّموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، والخلد في المقامة.

كانت أروع شحنة حماسٍ يمكن أن تقدمها أم مؤمنة في نفوس بنيها المؤمنين، وهم ينطلقون إلى لقاء عدوٍّ جاحد غشوم، ورأى أولئك البررة في وصية أمهم زاداً وافياً يبلغهم إلى أرض المعركة، ونوراً يضيء لهم ساحتها، حتى ينالوا من عدوهم ما يبتغون.

ثم تهيَّأ الفتية للقتال وأعطوا أمهم مواثيقهم على انتزاع النصر أو الفوز بثانية الحسنيين بإذن ربهم العزيز الحميد.

وانصرفوا عنها، ودعواتها ترنُّ في آذانهم، وتبعث فيهم القوة والنشاط، وتدفع الخوف والتردُّد والجبن الكريه، إنهم فتية آمنوا بربهم وزادهم هدًى، وكانوا بررة بأمهم، مشحونين بالحقد على عدوهم، متسلحين بقوة إيمانهم، فأي شيء يهابون؟.

وبدأ القتال، وبرز أول الأشبال، وأخذ يرتجز ويقول:

يَا إِخْوَتِي إِنَّ العَجُوزَ النَّاصِحَهْ ... قَدْ نَصَحَتْنَا إِذْ دَعَتْنَا البَارِحَهْ
بِقَوْلَةٍ ذَاتِ بَيَانٍ وَاضِحَهْ ... وَإِنَّمَا تَلْقَوْنَ عِنْدَ الصَّابِحَهْ
مِنْ آلِ سَاسَانَ كِلَاباً نَابِحَهْ ... قَدْ أَيْقَنُوا مِنْكُمْ بِوَقْعِ الجَائِحَهْ
وَأَنْتُمْ بَيْنَ حَيَاةٍ صَالِحَهْ ... أَوْ مِيتَةٍ تَوْرِثُ غُنْماً رَابِحَهْ

وظلَّ يقاتل ببسالة وشجاعة فائقة حتى فاز بالشهادة، ثم تقدَّم الثاني، وأخذ يرتجز ويقول:

إنَّ العَجُوزَ ذَاتَ حَزمٍ وَجَلَدْ وَالنَّظَرِ الأَوْفَقِ وَالرَّأيِ السَّدَدْ
قَدْ أَمَرَتْنَا بِالسَّدَادِ وَالرَّشَدْ نَصِيحَةً مِنهَا وَبِرّاً بِالوَلَدْ
فَبَادِرُوا الحَرْبَ حُمَاةً فِي العَدَدْ إمَّا لِفَقْدِ بَارِدٍ عَلَى الكَبِدْ
أَوْ مِيتَةٍ تُورِثُكُمْ عِزَّ الأَبَدْ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ وَالعَيْشِ الرَّغِدْ

وظلَّ يقاتل ببسالة وشجاعة فائقة حتى فاز بالشهادة، ثم تقدَّم الثالث، وأخذ يرتجز ويقول:

وَاللهِ لَا نَعْصِي العَجُوْزَ حَرفَا قَدْ أَمَرَتْنَا حَدَباً وَعَطْفَا
نَصْحاً وَبِرّاً صَادِقاً وَلُطْفَا فَبَادِرُوا الحَرْبَ الضَّرُوْسَ زَحْفَا
حَتَّى تَلُفُّوا آلَ كِسْرَى لَفَّا أَوْ تَكْشِفُوهُمْ عَنْ حِمَاكُمْ كَشْفَا
إنَّا نَرَى التَّقْصِيْرَ مِنكُمْ ضَعْفَا وَالقَتْلَ فِيْكُمْ نَجْدَةً وَزُلْفَا

وظلَّ يقاتل ببسالة وشجاعة فائقة حتى فاز بالشهادة، ثم تقدَّم الرابع، وأخذ يرتجز ويقول:

لَسْتُ لِخَنْسَاءَ وَلَا لِلأَخْزَمِ وَلاَ لِعَمْرٍو ذِي السَّنَاءِ الأَقْدَمِ
إنْ لَمْ أَرِدْ فِي ذَا الخَمِيْسِ الأَعْجَمِ مَاضٍ عَلَى الهَوْلِ خِضَمٍّ خَضْرَمِ
إمَّا لِفَوْزٍ عَاجِلٍ وَمَغْنَمِ أَوْ لِوَفَاةٍ فِي سَبِيْلِ الأَكْرَمِ

وظلَّ يقاتل ببسالة وشجاعة فائقة حتى فاز بالشهادة، ليجاور إخوته في الممات كما جاورهم في الحياة، رحمهم الله رحمة واسعة.

وعاد أبطال القادسية منتصرين ولم يعد أشبال الخنساء، فانطلقت إلى موقع المعركة لتسقط أخبارهم، وتتنسم عبيرهم، ورحم أحد العائدين عجزها، فاقترب منها وقال: لقد استُشهد بنوك، مقبلين غير مدبرين، وهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

وتجلَّى إيمان الخنساء بأبهى صورة، فلم تخمش وجهاً، ولم تقطع ثوباً، ولم تَحْثُ على رأسها التراب، لأن صلتها بالجاهلية قد انقطعت إلى الأبد، والإسلام الذي ارتضته ديناً يرفض ذلك، وانفرجت شفاه المؤمنة الصادقة لتقول: الحمد لله الذي شرَّفني باستشهادهم جميعاً، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

إنه عهد الإيمان لم تستطع أن تحنث به أو تخيس، وبقيت محافظة عليه حتى لقيت وجه ربها راضية مرضية في السنة الرابعة والعشرين للهجرة، رَحمها الله ورضي عنها، ورحم شهداءها، وشهداء المسلمين، لقد نجحت في امتحانها بقوة إيمانها، فجزاها الله خير الجزاء.



7 - السيدة هند بنت عمرو

نسبها

اسمها هند، والدها عمرو بن حرام، أخوها النقيب عبد الله بن عمرو بن حرام شهيد الإسلام في أُحد، وهي عمة جابر بن عبد الله راوي الحديث المشهور، وأما زوجها فهو عمرو بن الجموح أحد زعماء يثرب في الجاهلية، ومن أشراف الأنصار في المدينة.

إسلامها وإسلام زوجها

أسلمت هند بعد انتشار الإسلام في المدينة على يد مصعب بن عمير المقرئ سفير رسول الله ﷺ ليعلِّم أهلها أحكام الدين، ويقرأ فيهم القرآن.

وكان عمرو بن الجموح - زوجها - قد اتَّخذ له في الجاهلية صنماً داخل منزله - على عادة أشراف الجاهلية - يعبده من دون الله، ويذبح له في المواسم ويقرب القرابين، واستقدم عمرو من الحبشة خشباً نفيساً، وأوصى أن يُصنع له منه صنمٌ خاص، فلما انتهى سمَّاه مناة، وزيَّنه ودهنه، وضمَّخه بالعطر النادر، دون أن يدري أن جهوده كلها ستذهب سُدًى، وتضيع أدراج الرياح.

ولما علم أهل المدينة أن مصعب بن عمير نزل ضيفاً على أبي أمامة أسعد بن زرارة أَمَّ الناسُ بيتَه ليسمعوا ما جاء به، وكان أبناء هند الثلاثة معوذ، ومعاذ، وخلاد، قد سبقوا إلى الدخول في الدين الجديد دون علم أبيهم عمرو، وآمنت هند بما آمن به بنوها، وكتمت ذلك عن زوجها حتى تسنح الفرصة لهم ليجهروا بإيمانهم.

وكان أبناء عمرو مواظبين على مجالس مصعب، وكانوا يعودون إلى

منزلهم ويعلِّمون أمهم ما حفظوه من آيات القرآن الكريم، وأحكام الدين القويم في غياب أبيهم، ولما بدأت بيوت المدينة تتحدث عما يجري في مجالس مصعب، وأخذ أتباعه يكثرون، خاف عمرو أن يتأثَّر أبناؤه بقوله ويصبحوا من أتباعه فنادى زوجه هنداً، وقال لها: حذارِ يا هند من أن يلتقي بنوك بهذا الرجل الآتي من مكة لئلا يفسدهم علينا، فقالت له بهدوء: اطمئنَّ، ولا تخشَ شيئاً عليهم.

وكان معاذ بن جبل صديقاً لمعاذ بن عمرو بن الجموح وحكى ابن عمرو لصاحبه عن تمثال أبيه، فاتفقوا أن يأتي مُعَاذ بن جبل في الليل ويساعد أبناء عمرو في نقل الصنم ورميه في إحدى المزابل؛ ولما أخلد عمرو إلى النوم جاء ابن جبل لينفذ ما اتفق عليه مع أبناء عمرو، ثم حملوا الصنم وأكبوه على وجهه بين القمامة والأقذار.

وصحا عمرو بن الجموح صباحاً وذهب إلى غرفة مناة ليؤدي واجباته اليومية نحوه فلم يجده، وراح يصيح ويهدِّد ويتوعد، ثم نادى على هند وأولادها، فأنكروا علمهم بما حلَّ به، وغادر المنزل ليبحث عنه ثم عاد بعد قليل، بعد أن وجده بين أكداس القمامة، وجلس ينظفه ويدهنه ويعطره، ووعده بالانتقام له ممن عدا عليه.

وعجبت هند وبنوها مما يصنعه رجل سيد في قومه، إذ يكلِّم خشبةً صمَّاءَ، ويعتذر لها دون أن يسمع جواباً لما يقوله له، وجاء عمرو بسيفٍ وعلقه في عنق مناة حتى يدافع به عن نفسه إذا تكرَّر ما حدث له في الليلة الآنفة.

ولما نام الشيخ جاء معاذ بن جبل وتعاون مع أبناء عمرو ثم حملوا الصنم ورموه فوق المزبلة وجاؤوا بجيفة كلب وربطوها في عنقه، ثم انصرفوا عنه وكأن شيئاً لم يكن.

ولما استيقظ عمرو في اليوم التالي، فوجئ بغياب مناة فعلا صراخه وكثر تهديده، ثم انطلق خارج المنزل، فلما رآه مكباً على وجهه، وجيفة

الكلب في عنقه، والسيف معه دون أن يدافع عن نفسه علم أنه غير جدير بأن يكرم ما دام راضياً أن يهان، ثم تركه في مكانه وعاد إلى بيته بادي الأسى كاسف البال، ورأته هند وأبناؤه حزيناً فسألوه عما يحزنه، فلم يجبهم بشيء، ثم قال لهند: لعل أحداً من بنيك لم يخالف ما حذَّرتك منه! قالت: أجل! ولكن ربما يكون معاذ قد سمع شيئاً من هذا الرجل المكي، فهلاً ناديته!! ونادى عمرو ابنه، وكان في غرفة مجاورة، فقال: لبيك يا أبي، ولما مثُل بين يديه قال له: ألم تحفظ شيئاً من هذا المقرئ القادم إلينا من مكة؟ قال: بلى يا أبي! قال عمرو: هَلاً أسمعتني بعض ما حفظت، قال معاذ: أَعُوذُ بِاللهِ مِن الشَّيطَانِ الرَّجِيم ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 1 - 7] آمين، صدق الله العظيم».

فتمتم عمرو كمن يحدث نفسه، وراح يقول: ما أجمل هذا الكلام! ثم قال لابنه: هل كلُّ كلامه بهذا البيان والجمال؟ وسُرَّ معاذ وقال: نعم يا أبي، كلُّ كلامه حلو وجميل، فهلاً ذهبت إليه، وسمعت منه، وبايعته، فإن أشراف القوم كأسعد بن زرارة، وأُسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وعبد الله بن رواحة، وهم سادة الأوس والخزرج قد سبقوك إليه، وآمنوا بما جاء به.

وتحمَّست هند وقالت: لو سمعت كلام الفتى، وذهبت إليه، وبايعته فقال: سأشاور آلهتي، فقال معاذ: وهل تنتظر الجواب من خشبة صماء خرساء، فقال عمرو: ما هذا الذي تقوله؟ قال: لا شيء يا أبي، لا شيء.

ثم قال عمرو لنفسه: نعم إنها خشبة صماء خرساء لا تدرك ولا تحس ولا تعي، والتفت إليهم وقال: ألستم على ما أنا عليه؟ فردت هند وبنوها بفتور: بلى، أنت سيدنا، فقال عمرو: إذاً اشهدوا أنني آمنت، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

واكتملت فرحة الأسرة، وغمرتهم سعادة لم يعرفوها من قبل، وأرسل عمرو يدعو مصعباً لزيارة بيته، ولبّى مصعب الدعوة فطهَّر بيتهم من رجس الأوثان، وعطَّره ببعض آيات القرآن، وكانت ليلة بهيجة قضاها مصعب عندهم ضنَّ بمثلها الزمان.

خروج أبنائها إلى الجهاد

ولما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة كانت أسرة عمرو بن الجموح على رأس مستقبليه، وكانت بيوت المدينة قد أصبحت خالية حيث خرج أهلها للترحيب بأعظم الضيوف وأشرف الكائنات.

وكان عمرو بن الجموح يشكو من العرج في ساقه، وحين سمع أن رسول الله ﷺ سيخرج إلى قتال المشركين في بدر، أسرع إلى داره يجهِّز نفسه للخروج، إلاَّ أن هنداً وأبناءها أبدوا اعتراضهم على خروجه لما يعانيه، وأنه معذور بسبب عرجه، وأمام إصرار عمرو ذهب أولاده إلى رسول الله ﷺ ورجوه أن يأمر أباهم بالبقاء، واستجاب النبي ﷺ لرغبتهم، وبقي عمرو، وخرج بنوه، ولم تلبث أنباء القتال في بدر ونجاح المسلمين في القضاء على كبار زعماء المشركين تصل إلى المدينة شيئاً فشيئاً، وكان سرور عمرو بعودة أولاده بالنصر المبين كبيراً، ولكن كان يتمنى أن يشهد المعركة بنفسه لعل الله يرزقه الشهادة!.

وأما قريش فقد بهظتها الهزيمة وأفقدتها هيبتها، ونالت من كبريائها نيلاً عظيماً، لذلك عقدت العزم على الثأر، وأخذت تعد العدة للقاء المسلمين في معركة أُحد.

خروج زوجها إلى الجهاد

وكما اعتاد رسول الله ﷺ فقد شاور أصحابه في الانطلاق إلى أُحد، فأيَّد ذلك بعضهم وعارضه المنافقون، وعلى رأسهم عبد الله بن أُبي ابن سلول، وكان أصحاب النبي ﷺ الذين لم يحضروا بدراً متحمسين إلى لقاء

المشركين في أُحد حتى يعوضوا ما فاتهم من خير، ومن بينهم كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه.

وفوجئت هند وأبناؤها بدخول عمرو إلى المنزل وقد غمرته نشوة وسرور لم يشهدوهما من قبل، وحين رأوه يحمل سلاحه، قالوا: إلى أين يا أبا معاذ؟ قال: سأحقق حلمي، وأخرج مع رسول الله ﷺ إلى أُحد، قالت هند: يا أبا معاذ، أنت غير قادر على الجهاد، وقد عذرك الله حيث قال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: 61] فلا ترهق نفسك، فقال عمرو: والله يا هند لأمشينَّ عليها في الجنة.

ووقف أبناؤه الثلاثة ليمنعوه من الخروج وهم يقولون: لقد عذرك الله يا أبانا... لكن الإيمان إذا رسخ في القلب أظهر صاحبه العجب، وهذه المرة ذهب عمرو يشكو أهله إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن زوجي وأولادي يريدون منعي من الخروج معك إلى القتال، وأنا أريد أن أطأ بعرجتي في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللهُ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ»**، والتفت إلى عمرو وقال له: **«أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ»**.

وحمل عمرو سلاحه، وخرج مع أولاده كأنه أسد يحيط به أشباله، وأي شرفٍ أعظم من أن يشاركوا رسول الله ﷺ في قتال أعداء الله والدين؟!.

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ، قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ، أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟ وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَعَمْ»** فَقُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ»** فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمَا وَبِمَوْلاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ[1].

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أبي قتادة الأنصاري/ برقم: (12511).

استشهاد عمرو بن الجموح

وبلغ عمرو مناه فقد استُشهد في أُحد، وكان شريكه في الشهادة أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو هند، ووقفت بنت عمرو تبكي أباها، وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جِيءَ بِأَبِي مُسَجًّى وَقَدْ مُثِلَ بِهِ قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ فَنَهَانِي قَوْمِي، فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِيَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ، فَقَالَ: **«مَنْ هَذِهِ؟»** فَقَالُوا: بِنْتُ عَمْرٍو، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو فَقَالَ: **«وَلِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتِ الْمَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ»**[1].

والتقت هند ببعض نساء ينظرن أقارب لهنَّ بين الشهداء، وقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا صبيحة يوم أحد عند السحر، فإذا امرأة أقبلت بين عِدْلَيْنِ[2] فقلت لها: ما الخبر؟ قالت: خيراً، دفع الله عن رسوله ﷺ وعن المؤمنين، واتَّخذ الله من المؤمنين شهداء، ثم بكت، قال تعالى: **﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾** [الأحزاب: 25].

وكانت هند بنت عمرو رضي الله عنها قد رغبت في نقل جثتي زوجها عمرو وأخيها أبي جابر إلى المدينة لدفنهما هناك، فلما أُخبرت أن رسول الله ﷺ أمر أن يدفن الشهداء حيث صرعوا تركتهما، وقال رسول الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ،**

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل عبد الله بن حرام والد جابر/ برقم: (4517).

(2) العِدْلَيْنِ: الحِمْلَيْنِ.

رَأَيْتُهُ يَطَأُ الجَنَّةَ بِعَرْجَتِهِ»، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يُدفنا في قبر واحد لأنهما كانا متحابين في الدنيا متصافيين.

وعادت هند الصابرة المحتسبة إلى المدينة مخلِّفةً وراءها أعزَّ شهيدين، وظلت على عهدها لله ورسوله، صوَّامة قوَّامة حتى وافاها أجلها، رحمها الله تعالى ورضي عنها.



8 - السيدة أم أيوب الأنصارية

نسبها

اسمها أم أيوب، والدها قيس بن سعد، وقد تزوجت خالد بن زيد ويُكنى بأبي أيوب الأنصاري، وهو من أشراف الأنصار، وهما من الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: 100].

خبر إسلامها وزوجها

استيقظت أم أيوب ذات صباح، فوجدت زوجها أبا أيوب يجهّز نفسه للسفر، وقد تقلّد سيفه، وامتطى صهوة فرسه الشهباء، ولما سألته عن وجهته أخبرها أنه قاصدٌ مكة ليرى النبي الذي ظهر فيها، وأتى الناس بدين جديد يدعوهم إلى ترك عبادة الأصنام، والإيمان بالله الواحد الأحد.

ودَّعت أم أيوب زوجها وراحت تحدث نفسها، وتتمنّى لو استطاع هذا الرجل بحكمته، وبالذي جاء به أن يطفئ نار الحرب القائمة بين الأوس والخزرج، ويكون سفير خيرٍ، ووسيط إصلاحٍ، فينزع الأحقاد من صدورهم، ويضع نهاية لجرائم اليهود وشرورهم، لأنهم هم الذين يغذون الفتنة بينهم، ويسعِّرون جذوتها، وتمنت لزوجها من كل قلبها العودة سالماً غانماً محملاً بكل خير.

وبقيت أم أيوب في انتظار زوجها، وقد تزاحمت في رأسها الأفكار، وانتابتها الوساوس والقلق الشديد من جرَّاء طول غيابه، وباتت تتساءل عما تمَّ خلال سفره، وما إذا كان التوفيق قد حالفه.

ومضت عدة أيام فإذا هي تسمع طرقاتٍ على بابها، إنها طرقات أبي أيوب التي تميزها عن كل ما سواها، وهي الدليل على عودته إليها بسلام، وأدهشتها الابتسامة العريضة المرسومة على شفتيه، والإشراقة البهية التي تغطي وجهه، وخمَّنت أنَّ وراءها أخباراً طيبة وخيراً كثيراً، وتريثت قليلاً حتى يستريح من عناء الطريق، ولكن أبا أيوب كان أكثر رغبةً منها في التَّحدُّث لأن الأنباء السارة التي جاء بها ما يجدر به أن يؤخرها عن أحب الناس إليه، وأشدهم قلقاً عليه طيلة غيابه.

وروى لها أبو أيوب كيف التقى وأصحابه برسول الله ﷺ، وسمعوا كلامه العذب الجميل، وكيف أسر قلوبهم بحديثه، ومنح نفوسهم ثقة وأماناً ما سمعوا بهما قبلئذٍ فآمنوا بما جاء به، وصدَّقوه، وبايعوه على طاعة الله ونصرة رسوله، ولم يكد أبو أيوب يتم حديثه حتى أشرق وجه امرأته واخترق كلامه قلبها فقالت: وأنا أسلمت وجهي لله، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله!

لقد عاشت أروع أيام حياتها مع أبي أيوب وهي تثق برأيه، ورجاحة عقله، وإرادة الخير لها، فكيف لا تتابعه في الدين الذي اعتنقه وقد جاء ليصلح أحوال الناس جميعاً، ويفيض عليهم بالخير العميم؟

وأحست أم أيوب بعد نطقها بشهادة الحق بسعادة غامرة واطمئنان لم تكن تعرفه من قبل، ولم يسبق لها أن ذاقت طعمه.

ولما نزل مصعب بن عمير ضيفاً على أسعد بن زرارة، وأصبح يقرأ على الناس القرآن، ويفقههم في دين الله، كان أبو أيوب واحداً من المثابرين على حضور مجالس مصعب ليحفظ ما يتلى من آيات القرآن، ويدخر ما يسمع من أحاديث النبي ﷺ، أو أحكام الفقه، وكان أبو أيوب يعي دوره، ويدرك أن عليه أن ينقل كل ما يسمعه إلى زوجه وأقاربه وسائر الأصحاب.

هجرة النبي ﷺ إلى المدينة

واستيقظت يثرب ذات صباحٍ على أسعد خبر يمكن لها أن تسمعه،

ذلك أن سيد البشر في طريقه إليها، فلتفتح ذراعيها، وليخرج رجالها ونساؤها وأطفالها للترحيب به واستقباله أحسن استقبال، وها هو ذا الموكب النبوي يقترب شيئاً فشيئاً، وقد أبى بعض الناس انتظار وصوله إليهم، بل بادروا بالسير إليه حتى يكون لهم شرف مرافقته حين دخوله المدينة، ولما أطلَّ رسول الله ﷺ بطلعته البهية، واكتحلت أعينهم برؤيته، انطلقت الزغاريد والأهازيج، وهتفت الحناجر بأعذب نشيد:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلّهِ دَاعْ
أَيُّهَا المَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالأَمْرِ المُطَاعْ
جِئْتَ شَرَّفْتَ المَدِينَةَ مرحَباً يَا خَيْرَ دَاعْ

كان ترحيب الأنصار برسول الله ﷺ أعظم ترحيب شهدته المدينة، وامتدت الأيدي، يريد كل واحد أن يمسك بخطام ناقة رسول الله ﷺ القصواء وجرها إلى منزله، لينزل صاحبها ضيفاً عليه، بل أعزّ الضيوف، ومن ذا الذي لا يريد أن يحصل على مثل هذا الشرف العظيم؟ وما الذي حدث يومئذٍ؟.

حلول سيد الخلق ﷺ ضيفاً عندهم

حين قرأ رسول الله ﷺ الفرحة في عيون القوم، ولمس الصدق في وجوههم قال لهم ﷺ: **«خَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ»**! وظلت القصواء تسير على هَوْنٍ، وكأنها تحاول اختيار المكان الذي ستتوقف فيه، ثم توقفت فجأة أمام دار أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري.

وكانت أم أيوب واقفة أمام دارها تراقب خطوات الناقة، وتنتظر أين يقف بها المسير، ولم تستطع أن تمنع انسكاب دموعها، عندما رأتها تتوقف أمام دارها، إنها دموع الفرح بأعظم ضيف يلجها، منذ اكتمل بنيانها!.

وأسرعت أم أيوب بالدخول لتهيئ لضيفها مجلسه، والمرقد الذي

سيأوي إليه، ولتجهز أحسن ما تحسن من طعامها الشهي، والحق أنها في تلك الساعة قد بلغت قمة السعادة، وأدركت أقصى غايتها.

وبادر أبو أيوب إلى حمل متاع ضيفه الكبير ليدخله داره، بينما وقف رسول الله ﷺ ليرد على تحيات مستقبليه، وترحيبهم بمقدمه، وقال أبو أيوب: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أي شرفٍ أصبنا اليوم بدخولك بيتنا؟!.

كان منزل أبي أيوب يتألف من طبقتين: عِلْوٌ، وسِفْلٌ، وقامت أم أيوب بترتيب الطبقة العليا لرسول الله ﷺ، ولما أعلمه أبو أيوب بذلك آثر رسول الله ﷺ المُقام في الطبقة السفلى لأنها أرفق به وأيسر له ولزواره، ولم يجد أصحاب الدار بُدّاً من النزول عند رغبة الضيف الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36].

وفي الليلة الأولى بقي رسول الله ﷺ في الطبقة السفلى، وصعد أبو أيوب وامرأته إلى الطبقة العليا، وحاولا النوم فاستعصى عليهما، وباتا في أرقٍ مستمر حتى مطلع الفجر، حيث نزلا وألقيا التحية على رسول الله ﷺ، ثم أخبره أبو أيوب أنهما لم يتمكنا من النوم طوال الليلة الماضية مخافة أن يزعجاه بأية حركة منهما، وخشية أن يكونا بينه وبين الوحي حين ينزل عليه، وأخذ أبو أيوب يرجو رسول الله ﷺ يلح عليه حتى أقنعه بالصعود إلى الطبقة العليا ونزل هو وزوجه إلى الطبقة السفلى، وما كان أشد تفاني الزوجين الكريمين في خدمة ضيفهما! وما كان أحرصهما على تأمين الراحة والهدوء له!.

وامتدت إقامة رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حين انتهاء تشييد المسجد النبوي الشريف والحجرات الملحقة به، والمعدة لسكنى أزواجه أمهات المؤمنين - رَضِيَ الله عَنْهُنَّ - فهنيئاً لأبي أيوب وامرأته استضافة من تتمنى العيون والقلوب أن يسكنها إلى الأبد.

ولما عزم رسول الله ﷺ على الانتقال عن دار أبي أيوب تأثّر هو

وزوجته أشد التأثر لمفارقته منزلهما، ولكنهما وجدا عزاءً حين علما أن سكنه من سكنهما جِدُّ قريب، بل إن حجرات أمهات المؤمنين تقع في مواجهة دار أبي أيوب رضي الله عنه.

كرم آل أبي أيوب

وكان من شِيم أبي أيوب وامرأته الكرم فقد رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**» فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلانٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي! قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ[1] فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**» فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**»[2] وكان المضيف أبا أيوب الأنصاري وزوجه أم أيوب رضي الله عنهما أوليس عجيباً أن يُخْرِجَ الجوعُ خيرَ ثلاثةٍ من بيوتهم، وقد خلا منها الطعام، أي طعامٍ يمكن أن يسدَّ الجوع، وبعض الناس يقتلهم الشبع والتخمة، وينفقون المالَ من أجل بطونهم وشهواتهم بغير حساب؟.

---

(1) العِذْقُ: العنقود.

(2) رواه: مسلم/ كتاب: الأشربة/ باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك/ برقم: (3799).

اجتهادها وزوجها في العبادة

كانت أم أيوب وزوجها من أكثر أهل المدينة سعادة بمجاورتهما للمسجد النبوي الشريف، وكان صوت بلال الشجي يملؤهما حبوراً حين يدعو المسلمين لأداء الفريضة خلف النبي ﷺ، وكانا يشكران الله على تلك النعمة غِبَّ كل أذان، ويحمدانه على هدايته لهما إلى دين الإسلام، لكن الشكر والحمد لا يكفي أن يصدرا عن اللسان، لأن الإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، وليس القول وحده بكافٍ، ولهذا راحت أم أيوب تتنافس مع زوجها في العبادة، تصلي الفرائض، وتتقرب بالنوافل، ولا تنام الليل إلاَّ قليلا، ولا تكتفي بصيام شهر رمضان، بل تصوم في أيام أُخَر لأنها علمت أن الصوم لله وهو يجزي به.

وأما القرآن فقد أصبح لها خير جليس، فهي تقرأ أحياناً، وتحفظ حيناً آخر ما تسمعه من زوجها أبي أيوب ما يأخذه من فِي رسول الله ﷺ، وقد دفعها تدبُّر آيات القرآن إلى حب الخير للناس كافة، والإحسان إلى الفقراء والمساكين، ودفع الأذى عن جميع المسلمين، وقد أفضى اجتهاد أم أيوب وزوجها في العبادة إلى اتِّخاذ مقعدين لهما بين من نالوا شرف رواية الحديث، وقد ذكرت كتب السيرة لهما بعض ما روياه عن رسول الله ﷺ، وهذا يؤكد حسن إسلامهما، وصدقهما، والثقة فيما يرويان.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى قَالا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ أَكَلَ مِنْهُ وَبَعَثَ بِفَضْلِهِ إِلَيَّ، وَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيَّ يَوْمًا بِفَضْلَةٍ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّ فِيهَا ثُومًا، فَسَأَلْتُهُ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: **«لا، وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ»** قال: فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا كَرِهْتَ[1].

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الأشربة/ باب: إباحة أكل الثوم/ برقم: (3728).

لقد بايع أبو أيوب وأم أيوب رسول الله ﷺ على طاعة الله ورسوله فحافظا على هذا العهد حتى وافتهما المنية، رحمهما الله ورضي عنهما، وأحسن نزلهما مثلما أحسنا نزل رسوله لديهما، وجزاهما خير الجزاء.



9 - السيدة أم كجَّة الأنصارية

الزوجة المسلمة

أم كجَّة امرأة فاضلة من فواضل نساء الأنصار، تزوجت من أوس بن ثابت الأنصاري، وهو من بني عدي بن عمرو بن مالك، ينتهي نسبه إلى بني النجار في المدينة.

كان أوس بن ثابت أحد الذين حضروا بيعة العقبة الثانية مع أشراف قومه، وشهد استقبال أهل المدينة لرسول الله ﷺ حين هاجر إليها، وشارك في بناء المسجد النبوي الشريف.

وكانت أم كجَّة وزوجها أوس على وفاق تام، وأتم انسجام، وتمسكٍ بالإسلام، فالمرأة مطيعة لزوجها ترعى حقه وتحفظه في ماله ونفسها، والزوج يعرف حقوق زوجته، ويقدرها حق قدرها، حتى كانا نعم الشريكين أحدهما للآخر، وتمكَّنا من بناء بيت متين أقاماه على دعائم الإسلام، وحصَّناه بنور الإيمان.

وكانت أم كجَّة تحضر مع النساء مجالس رسول الله ﷺ لينهلن من حديثه من وراء حجاب، وكان أوس لا يتخلف عن مجالس الرجال، والصلاة خلف رسول الله ﷺ.

وكانا قد رُزقا بطفلةٍ أيام الجاهلية، فاتفق أوس مع زوجه أم كجة على الإبقاء على حياتها، ولم يعمدا إلى وأدها كما كان قومهما يفعلون.

وكانت أم كجَّة رضي الله عنها إذا فرغت من صلاتها وأدَّت واجباتها تجاه زوجها وصغيرتها تعكف على رقاعٍ من الجلد، أو سعف النخل لتقرأ ما كتبه عليها زوجها من آيات القرآن، لتَحفظ منها ما استطاعت.

أمنية الجهاد في بدر

وذات يوم دخل أوس على زوجه مسرعاً، فأخذ سلاحه ولبس لباس الحرب، وأخبرها أنه ماضٍ مع رسول الله ﷺ إلى بدرٍ لقتال المشركين من قريش، وإعلاء كلمة الله، فلم يجد منها توهيناً لعزيمته، ولا تثبيطاً لهمته، ولم تقل له: إلى من تكلني؟ لأنها تعي أن الله ولي المؤمنين ومولاهم، وأن الكافرين لا مولى لهم، لقد دعت له وللمسلمين بالنصر والعودة سالمين غانمين منصورين لأعدائهم داحرين.

ولكن كان في فمها كلامٌ ترددت في قوله أولاً، ثم أطلقته من محبسه، وقالت: «وددت لو أني خرجت معكم لمجاهدة المشركين، حتى أفوز بثواب المجاهدين مثلك لنكون متعادلين» ولم يجد أوس بدّاً من أن يبتسم، ثم قال لها: «يا أم كجّة، أنسيت أنك حامل في شهرك الأخير، ولا يصلح لك أن ترافقينا إلى ساحات القتال؟ ومن الذي يرعى طفلتنا في غيابك؟ ثم إذا كان جهادي لا يكفيك، فإني معاهدك على أن أقاتل بجهدٍ مضاعفٍ ليكون الأجر ضعفين لي ولك، فماذا تقولين؟».

أي رجلٍ طيبٍ أنت يا أوس حتى في ساعة الجد تريد أن تكون مرحاً مع زوجتك وأم طفلتك لتدخل السرور على نفسها، ولا تدع للحزن سبيلاً إليها!! ولم تجد أم كجّة إلا أن تبتسم، ثم ودعت زوجها ببعض الدعوات الطيبة له وللمسلمين.

انتصار الحق على الباطل

وكانت ملحمة بدر أروع الملاحم في تاريخ الإسلام، فقد قضت على رؤوس المشركين، وزلزلت الأرض من تحتهم، ومنحت الثقة للمسلمين بنصر الله، وإن كانوا قلة أمام عدو كثير.

وعلى أرض بدر كان أوس بن ثابت يجاهد الكفرة أعداء الدين، بينما كانت أم كجّة تكابد آلام المخاض، وما هي إلا سويعات حتى وضعت طفلتها الثانية، فتقبلتها بفرحة وسرور.

كانت المعركة ضارية بين الكفر والإيمان، وكانت الهزيمة لأعداء الله والإنسان، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، وتهاوت الرؤوس الجاحدة، وسقط الذين كادوا للإنسان، وأنزلوا بأتباعه صنوف العذاب، وبات أبو جهلٍ، وعتبةَ وشيبةَ ابنا ربيعة، والوليد بن عتبةَ، وأُميَّة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وسائر السفهاء والضَّلاَّل صرعى على أرض بدر ثم استقروا في قعر بئرها.

ومنح الله لرسوله وللمؤمنين ما وعدهم من النصر، وطارت أنباؤه إلى المدينة التي خرج أهلها لاستقبال جند الله المنتصرين، وخرجت النساء، هذه تريد أن ترى أباها، وتلك تودُّ معرفة ما حلَّ بأخيها، وأخرى تتطلع إلى عودة ابنها.

عودة المجاهد البطل

وأما أم كجَّة فقد كانت ترغب في عودة زوجها أوس ليرى طفلته الجميلة التي وضعتها خلال غيابه، ولكن هل يتحقق ذلك؟ وها هم أبطال النصر يتبادرون في الوصول إلى المدينة زرافات ووحداناً، وتتفرس أم كجَّة في وجوههم فلا ترى فارسها، ويساورها القلق، وتنتابها الوساوس، وتعتريها المخاوف حول مستقبل طفلتيها إذا غاب أبوهما عن مسرح الحياة، أفكار سود، وأوهام داكنة أحدقت بأم كجَّة لم تستغرق إلا دقائق معدودات ثم لم تلبث أن تبددت سريعاً كما تتبدد سحب الصيف.

ها هو ذا أوس يحثُّ خطاه إلى زوجه أم كجَّة، لقد عاد البطل إلى طفلتيه وامرأته ليغمرهن بعطفه وحنانه، كان أوس يتمنى أن يرزقه الله ذكراً، ولكن الله يهب لمن يشاء إناثاً، ويمنح لمن يشاء الذكور، وما دام الأمر عطية من الله فكل ما يعطيه ينبغي للإنسان أن يتقبله بنفس راضية، فهو العزيز الوهاب الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

والتأم شمل أوس بأسرته، وضّم طفلتيه إلى صدره، وراح يغدق

عليهما من قبلاته، وراحت أم كجّة تطلق الدعوات إلى الله، وتلهج بالشكر والثناء لما امتنَّ به على المسلمين من الفضل وعودة زوجها سالماً منصوراً.

وبعد أن نال أوس حظه من الراحة، أخذ يحدث زوجه أم كجّة عن مشاهد البطولة التي أبداها أصحابه، وعن المصير المخزي الذي لقيه صناديد الكفر وأعوان الضلال بيد إخوانه المؤمنين.

في غزوة أحد

لكن قريشاً حين رأت فداحة خسارتها وعظيم مصابها لمَّت شتاتها، وأخذت تؤلِّب القبائل العربية ضد الإسلام حتى لا تذوق المرارة التي ذاقتها، واستطاعت أن تحشد قرابة ثلاثة آلاف مقاتلٍ بينهم مئتا فارسٍ بإمرة فارسها المقدام خالد بن الوليد.

ولما وصل الخبر إلى المسلمين في المدينة صار الصحابة في هرج ومرج، أما رسول الله ﷺ فقد روى الدارمي عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا يُنْحَرُ؛ فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الْمَدِينَةُ، وَأَنَّ الْبَقَرَ نَفَرٌ؛ وَاللهِ خَيْرٌ، وَلَوْ أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ فَإِذَا دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ»** فَقَالُوا: وَاللهِ، مَا دُخِلَتْ عَلَيْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَفَتُدْخَلُ عَلَيْنَا فِي الإِسْلَامِ؟ قَالَ: **«فَشَأْنَكُمْ إِذًا»** وَقَالَتْ الأَنْصَارُ لِبَعْضٍ: رَدَدْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَأْيَهُ، فَجَاؤُوا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، شَأْنُكَ، فَقَالَ: **«الآنَ؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهُ حَتَّى يُقَاتِلَ»**[1].

وجهَّز رسول الله ﷺ إلى أُحد ألف مقاتل، ولكن المنافق الأكبر ابن أُبي انسحب مع ثلاثمائة من أهل الريب والنفاق، فبقي مع رسول الله ﷺ سبعمائة مقاتل فقط، حدَّث شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ

---

(1) رواه: الدارمي/ كتاب: الرؤيا/ باب: في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر/ برقم: (2065).

يَزِيدَ، يُحدِّثُ عَنْ زَيدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةٌ تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: لا نُقَاتِلُهُمْ فَنَزَلَتْ الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)﴾ [النساء: 88 - 89] وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ**»[1].

ولم يستطع أوس في هذه المرة منع أم كجَّة من الخروج إلى أُحد، لقد تركت ابنتيها عند أمها، وهي وإن لم تكن متمرسة على القتال، لكنها قادرة على معالجة الجرحى، وتهيئة الضمادات، وسقي العطاش من المجاهدين، لقد كانت أم كجَّة توَّاقة إلى الجهاد، وها هي ذي تحقق حلمها في أُحُدٍ بصحبة زوجها أوس.

ولما انسحب المنافقون بناءً على أمر زعيمهم ابن أُبي، لحق بهم أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام وقال لهم: أُذكِّركم الله، لا تخذلوا قومكم ونبيكم قالوا له: لو نعلم أنكم تقاتلون ما تركناكم، ولكن لا نرى أن يكون قتال، ولما يئس أبو جابر من إقناعهم قال لهم: أبعدكم الله، يا أعداء الله والدين، فسوف يغني الله عنكم ورسوله ومن اتَّبعه من المؤمنين الصادقين.

وسجَّل القرآن الكريم تخاذل المنافقين وجدالهم ونفاقهم ومخادعتهم في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المغازي/ باب: غزوة أحد/ برقم: (3744).

أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ [آل عمران: 167، 168].

وعلى الرغم من أن عدد المسلمين كان سبعمائة، والمشركين ثلاثة آلاف فإن بداية المعركة رجحت كفة المسلمين، لكن ترك رماة المسلمين مواقعهم التي أمرهم رسول الله ﷺ ألا يبرحوها مهما كانت نتيجة المعركة غيَّر نتيجة المعركة، إلا أن الرماة تركوها حتى لا تفوتهم الغنائم التي خلَّفها المشركون على أرض المعركة، حيث انقضَّ خالد بن الوليد - وكان مشركاً يومئذٍ - على رماة المسلمين من خلفهم، وأعمل فيهم القتل، وهُزم المسلمون هزيمة قاسية بعصيان الرماة أوامر قائدهم الأعظم ﷺ.

وفاة زوجها شهيداً

وسقط العديد من الشهداء، كان منهم حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وحنظلة الغسيل، وعمرو بن الجموح، وأنس بن النضر.

ورأت أم كجَّة ما أبداه زوجها أوس من الشجاعة في مناجزة المشركين، غير أنه اخترق صفوف العدو، وغاب عن عينيها وسط الزحام فلم تعد تراه.

ولما توقف هدير المعركة أخذ نساء الأنصار ينظرن القتلى، ولمحت أم كجَّة فارسها راقداً بلا حراكٍ وقد غرق جسده الطاهر بدمه، فراحت تسترجع وتستغفر، وتنازعها حزن وسرور في وقت معاً، فالحزن لأنها وابنتيها أصبحتا دون معيل، والسرور لأن زوجها فاز بالشهادة.

وتنزل الآيات بسببها

وفيما كانت أم كجَّة تكابد آلام فراق شهيدها الغالي جاء ابن عمِّ أوس وسلب كل ما خلَّفه من مال دون أن يترك لها ولابنتيها أي شيء تستعين به في تدبير معاشها وفقاً لتقاليد الجاهلية الظالمة.

وذهبت أم كجّة إلى رسول الله ﷺ لتخبره بما كان، فاستدعى النبي ﷺ ابن عم أوس وسأله عن المال فقال: يا رسول الله، ليس لها ولد يركب فرساً، ولا يحمل كلاً، ولا يقتل عدوّاً، ونظام الجاهلية لا يورِّث النساء ولا الصغار إذا مات الزوج فقال رسول الله ﷺ: «**اِنْصَرِفُوا، حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يُحْدِثُ اللهُ لِي فِيهِنَّ**».

وقعدت أم كجّة مع ابنتيها ينتظران أمر الله تعالى في أمرهن، وقد استقر في روعها أن الله يأبى الظلم لأن العدْل واحد من أسمائه الحسنى.

ونزل قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: 7 - 11].

ودعا رسول الله ﷺ أم كجّة وابنتيها وابن عم أبيهما، وقال للرجل: «**أَعْطِ البِنْتَيْنِ الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ**»، فهل بعد عدالة السماء مطلبٌ لأحدٍ أو رجاء؟ رحم الله أم كجّة وجزاها عنا خير الجزاء ورضي عنها وأرضاها.

10 - السيدة عاتكة بنت زيد

نسبها

اسمها عاتكة، والدها زيد بن عمرو بن نُفيل، والدتها أم كريز بنت الحضرمي، وأخوها سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وعمر بن الخطاب ابن عم أبيها.

تزوجت عاتكة رضي الله عنها أربع مرات، الأولى من عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما ثم خلفه عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم خلفه عليها الزبير بن العوام رضي الله عنه، ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فردَّته، ثم خطبها ابنه الحسين بن علي رضي الله عنه فتزوجته.

المهاجرة الشاعرة

كانت عاتكة بارعة الجمال، حسنة الخَلْق والخُلُق، أسلمت في مكة، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مبايعة النساء له.

وهاجرت عاتكة إلى المدينة المنورة – حرسها الله تعالى – بعد أن أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة لتكون بقربه وتنهل من نبع هدايته، وكانت رضي الله عنها بليغة فصيحة شاعرة، بل واحدة من أجود شواعر العرب، وقد برعت في الرثاء كثيراً، حيث تجلَّى ذلك في مرثياتها التي رثت بها أزواجها الواحد تلو الآخر، وحين وصفها العلاَّمة ابن كثير قال: «كانت من حِسان النساء وعُبَّادهنَّ».

حب عبد الله لها

رآها عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما فهام بها هياماً شديداً، وتعلَّق بها قلبه، فخطبها، وتزوَّجها.

حتى إذا دخلت بيته وجد أنه لا يطيق البعد عنها مهما قلَّ الوقت أو كثر، وقد تجاوز عبد الله في حبِّ عاتكة كلَّ حدٍّ، حتى باتت تشغله عن عبادته، وتلهيه عن مواقيت الصلاة، كما جعله حبها يتخلَّف عن أغلب الغزوات والمشاهد مع رسول الله ﷺ ووالده الصِّدِّيق رضي الله عنه.

ولما علم الصِّدِّيق أن سبب تقصير ولده عبد الله في عبادته حبه لعاتكة، خشي عليه من سوء العاقبة، ورأى أن ينقذه من أسرها، ويخلصه من ذلك الحب الطاغي، فأمره بطلاقها حتى يثوب إلى دينه، ويعود إلى مغازيه التي كان يحرص عليها.

كان قراراً عسيراً على عبد الله اتخاذه، غير أن بِرَّه، وحبَّه لأبيه الصِّدِّيق رضي الله عنه وطاعته، واحترامه له كان أحقَّ بالاتِّباع، وأولى من إيثار ذلك الحب الجامح المدمِّر.

ولم يجد عبد الله مفرّاً من تنفيذ رغبة والده مكرهاً، فطلَّقها، وابتعد كلٌّ منهما عن الآخر بجسده، لكن نيران الهوى في صدر عبد الله لم تنطفئ، بل زاد سعيرها اتِّقاداً، وها هو ذا يقول:

يَقُولُونَ: طَلِّقْهَا وَخَيِّمْ مَكَانَهَا ... مُقِيماً تُمَنِّي النَّفْسَ أَحْلامَ نَائِمِ
وَإِنَّ فِرَاقِي أَهْلَ بَيْتٍ جَمَعْتُهُمْ ... عَلَى كَثْرَةٍ مِنِّي لإِحْدَى العَظَائِمِ

وذات ليلةٍ وقد أرخى الليل سدوله، كان عبد الله مسهَّداً لا يفارقه طيف عاتكة الحبيبة، فأخذ ينشد بصوتٍ حزينٍ، مُفعمٍ بالأسى والألم، مُثقلٍ بتباريح النَّوى[1]، مُوقرٍ[2] بأنواع الهموم:

أَعَاتِكُ لَا أَنْسَاكِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ ... وَمَا نَاحَ قُمْرِيُّ الحَمَامِ المُطَوَّقِ
أَعَاتِكُ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... إِلَيْكِ بِمَا تُخْفِي النُّفُوسُ مُعَلَّقُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلِي طَلَّقَ اليَوْمَ مِثْلَهَا ... وَلاَ مِثْلُهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تُطَلَّقِ

(1) النَّوى: البُعْد.
(2) مُوقر: ممتلىء.

لَهَا خُلُقٌ جَزْلٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخَلْقٌ سَوِيٌّ فِي الحَيَاءِ وَمُصْدِقُ

وكان الصِّدِّيق رضي الله عنه قد صَعِدَ سطح داره في هدأة الليل ليتهجَّد، فلما سمع قول عبد الله تأثَّر كثيراً، ورقَّ له، وأشفق على ابنه، فأشرف عليه، وأمره بمراجعتها، فلما سمع عبد الله قول أبيه، صاح من فوره: أشهدك أني قد راجعتها، ومن فرط فرحته نادى غلامه أيمن وقال له: اذهب فأنت حر.

ثم إنه انطلق على جناح الشوق إلى عاتكة بالبشرى، وأخبرها بمراجعته لها، ثم أنشدها:

أَعَاتِكُ قَدْ طُلِّقْتِ فِي غَيْرِ رِيْبَةٍ وَرُوْجِعْتِ لِلأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
كَـذِلِكَ أَمْـرُ اللهِ غَـادٍ وَرَائِحٌ عَلَى النَّاسِ فِيْهِ أُلْفَةٌ وَتَبَايُنُ
وَمَـا زَالَ قَـلْبِي لِلتَّـفَرُّقِ طَـائِراً وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللهُ سَاكِنُ
لِيَهْنِكِ أَنِّي لَا أَرَى فِيْهِ سَخْطَةً وَأَنَّكِ قَدْ تَمَّتْ عَلَيْكِ المَحَاسِنُ
وَأَنَّـكِ مِـمَّـنْ زَيَّـنَ اللهُ وَجْـهَـهُ وَلَـيْـسَ لِـوَجْـهٍ زَانَـهُ اللهُ شَـائِـنُ

ونظراً لحب عبد الله الشديد لها أهداها حديقة يملكها، بعد أن أعطته عهداً ألَّا تتزوَّج بعده، وعاش الزوجان في سعادةٍ ووئام، يتبادلان من كؤوس الحب أعذبها، ومن كلمات السعادة أجملها.

استشهاد زوجها الأول

ولكن صفاء الحياة لا يُرجى له دوام، فقد خرج عبد الله إلى غزوة الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأُصيب بسهمٍ، فمات شهيداً رحمه الله تعالى، وجعل منزله مع الشهداء البررة.

ولما جاء نعيه إلى عاتكة بكته بحرقةٍ ولوعةٍ، وأخذت ترثيه بقولها:

رُزِئْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِيْ بَكْرٍ وَمَا كَانَ قَصَّرَا
فَآلَيْتُ لَا تَنفَكُّ عَيْنِي حَزِيْنَةً عَلَيْكَ وَلاَ يَنفَكُّ جِلْدِيَ أَغْبَرَا
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ المُنَوَّرَا

فَلِلَّهِ عَيْناً مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى كَرِيماً وَأَحْمَى فِي الهِيَاجِ وَأَصْبَرَا
إِذَا شُرِّعَتْ فِيْهِ الأَسِنَّةُ خَاضَهَا إِلَى المَوْتِ حَتَّى يَتْرُكَ الرُّمْحَ أَحْمَرَا

زواجها بعمر بن الخطاب رضي الله عنه

وما زالت تبكيه إبَّان عدَّتها، فلما حلَّت بعث إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطبها، فأخبرته بعهدها لعبد الله وما أعطاها مقابل ذلك، فقال لها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ألا تستفتين؟ فإنك تحرِّمين ما أحلَّ الله لكِ، فسألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذا الشأن فقال: رُدِّي ما أعطاك إلى أهله وتزوَّجي من شئت.

فنفَّذت فتوى علي رضي الله عنه وتزوَّجت عمر رضي الله عنه وعاشت في كنفه، فاقتبست من علمه، وتعلَّمت من زهده.

وكان عمر سعيداً بها، وكانت تستأذنه إذا أراد الخروج إلى الصلاة لتحضر صلاة الجماعة معه في المسجد، فكان يقول لها: قد عرفت هواي في الجلوس... فتردُّ بقولها: لا أدع استئذانك، ولم يكن يمنعها ما دامت تستأذنه.

ولما طعنه أبو لؤلؤة المجوسيُّ بخنجره المسموم طعنةً أفضت إلى وفاته، راحت ترثيه بما يستدرُّ الدمع من المآقي المتحجرة، فقالت:

عَيْنُ جُوْدِي بِعَبْرَةٍ وَنَحِيْبِ لاَ تَمَلِّي عَلَى الإِمَامِ النَّجِيْبِ
فَجَعَتْنِي المَنُونُ بِالفَارِسِ المُعْـ ـلَمِ يَوْمَ الهَيَجِ وَالتَّلْبِيْبِ
عِصْمَةُ النَّاسِ وَالمُعِيْنُ عَلَى الدَّهْـ ـرِ وَغَيْثُ المَحْرُوْمِ وَالمَحْرُوْبِ
قُلْ لأَهْلِ الضَّرَّاءِ وَالبُؤْسِ مُوْتُوا قَدْ سَقَتْهُ المَنُونُ كَأْسَ شَعُوبِ[1]

وقالت من مرثية أخرى تبكيه:

مَنْ لِنَفْسٍ عَادَهَا أَحْزَانُهَا وَلِعَيْنٍ شَفَّهَا طُوْلُ السَّهَدْ؟

---

(1) شَعُوب: اسم المنية.

جَسَدٌ لُفِّفَ فِي أَكْفَانِهِ ... رَحْمَةُ اللهِ عَلَى ذَاكَ الجَسَدْ
فِيهِ تَفْجِيعٌ لِمَوْلَى غَارِمٍ ... لَمْ يَدَعْهُ اللهُ يَمْشِي بِسَبَدْ[1]

وقالت ترثيه:

وَفَجَّعَنِي فَيْرُوزُ لَا دَرَّ دَرُّهُ ... بِأَبْيَضَ تَالٍ لِلْكِتَابِ مُنِيبِ
رَؤُوفٍ عَلَى الأَدْنَى غَلِيظٍ عَلَى العِدَى ... أَخِي ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ مُجِيبِ
مَتَى مَا يَقُلْ لَا يَكْذِبُ القَوْلَ فِعْلُهُ ... سَرِيعٍ إِلَى الخَيْرَاتِ غَيْرِ قَطُوبِ

ومما رثته به هذه الأبيات التي تقول فيها:

مُنِعَ الرُّقَادُ فَعَادَ عَيْنِي عِيدُ ... مِمَّا تَضَمَّنَ قَلْبِيَ المَعْمُودُ
يَا لَيْلَةً حُبِسَتْ عَلَيَّ نُجُومُهَا ... فَسَهِرْتُهَا وَالشَّامِتُونَ هُجُودُ
قَدْ كَانَ يُسْهِرُنِي حِذَارُكَ مَرَّةً ... فَاليَوْمَ حُقَّ لِعَيْنِيَ التَّسْهِيدُ
أَبْكِي أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ ... لِلزَّائِرِينَ صَفَائِحٌ وَصَعِيدُ

زواجها من الزبير

وتَسَلَّبَتْ بالسواد إلى أن انقضت عدَّتها، ولما علم الزبير بن العوَّام رضي الله عنه أنها حلَّت طلب أن يتزوجها، فوافقت عليه وتزوَّجته.

وكان الزبير رضي الله عنه شديد الغيرة، وكانت عاتكة بادنة[2] فأمرها ألاَّ تخرج إلى المسجد، فقالت له: ألأجل غيرتك أهجر المصلَّى الذي صلَّيت فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ وعمر؟!! قال: لا أمنعك إذاً!، وتوضَّأ رضي الله عنه ثم خرج قبلها إلى صلاة الفجر، وتوارى عن طريقها بحيث يراها دون أن تراه، وكان الظلام مستحكماً فلما مرَّت ضرب قفاها بيده، ثم تابع طريقه إلى المسجد، وعادت عاتكة إلى منزلها وهي تسترجع، فلما فرغ من صلاته، رجع إلى منزله فقال لها: ما شهدتك في المسجد، فما بالك؟، قالت: لقد

---

(1) السَّبَدُ: القليل من الشعر، وتقصد أنه ذهب فقيراً لا شيء له.
(2) بادنة: شديدة السُّمنة.

ظهر الفساد في الناس، ثم روت له ما حصل معها، وأخبرته أن صلاتها في بيتها خير لها، فسُرَّ بما سمع، وبَلَغَ رغبته دون كبير عناء!

ثم خرج الزبير يوم الجمل في صف معاوية ضدَّ علي رضي الله عنهما فلما ذكَّره علي بقول النبي ﷺ إنه سيقاتله وهو له ظالم، اعتزل القتال، وخرج من ساحته، ووقف يصلي، فرآه ابن جرموز فقتله وهو في صلاته، ثم ذهب إلى علي مستبشراً ليخبره ظاناً أنه سيثيبه على فعلته، فلما اسْتَأْذَنَ ابْنُ جُرْمُوزٍ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»**[1].

وفي رواية أخرى عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ أَنَّ عَلِيًّا قِيلَ لَهُ: إِنَّ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: لِيَدْخُلْ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةَ النَّارَ، ثم قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ الزُّبَيْرَ حَوَارِيِّي»**[2].

وفي رواية أخرى عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه قِيلَ لَهُ: إِنَّ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: لَيَدْخُلَنَّ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةَ النَّارَ، ثُمَّ قَالَ: أما وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَإِنَّ حَوَارِيِّي الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ»**[3].

فلما سمع ابن جرموز ما سمع من عليٍّ رضي الله عنه قتل نفسه، وعادت عاتكة إلى الحِداد من جديد، وقالت ترثي الزبير:

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: مسند العشرة المبشرين بالجنة/ باب: ومن مسند علي بن أبي طالب/ برقم: (643).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: مسند العشرة المبشرين بالجنة/ باب: ومن مسند علي بن أبي طالب/ برقم: (760).

(3) رواه: أحمد/ كتاب: مسند العشرة المبشرين بالجنة/ باب: ومن مسند علي بن أبي طالب/ برقم: (760).

غَدَرَ ابْنُ جَرْمُوزٍ بَفَارِسِ بُهْمَةٍ[1] يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرَّدِ[2]
يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لاَ طَائِشاً رَعْشَ الجَنَانِ وَلاَ اليَدِ
شُلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المُتَعَمِّدِ
إِنَّ الزُّبَيْرَ لَذُو بَلاءٍ صَادِقٍ سَمْحٌ سَجِيَّتُهُ كَرِيْمُ المَشْهَدِ
كَمْ غَمْرَةٍ قَدْ خَاضَهَا لَمْ يَثْنِهِ عَنْهَا طِرَادُكَ يَا ابْنَ فَقْعٍ[3] القِرْدَدِ[4]
فَاذْهَبْ فَمَا ظَفِرَتْ يَدَاكَ بِمِثْلِهِ فِيْمَنْ مَضَى مِمَّنْ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي

زواجها من الحسين رضي الله عنه

ولما انقضت عدة عاتكة، جاءها علي بن أبي طالب خاطباً، فقالت له عاتكة: يا أمير المؤمنين! أنت بقية الناس، وسيد المسلمين، وإني أَنفُس بك عن الموت، فتركها علي وأعرض عن الزواج منها، وقد رُوي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة، وشاعت هذه المقولة بين الناس، ولكنَّ الحسين بن علي لم يأبه لهذه الإشاعة، فتقدَّم لخطبتها، وتمَّ الزواج.

ولعل الإشاعة كانت حقيقة مؤكَّدة، لأن الحسين رضي الله عنه استُشهد في كربلاء يوم تعرَّض آل بيت النبي ﷺ لأشنع مذبحة عرفها الناس.

وقد شهدت عاتكة مصرعه بأم عينها، ومما قالته في رثاء الحسين رضي الله عنه:

وَاحُسَيْناً وَلَا نَسِيتُ حُسَيْناً أَقْصَدَتْهُ[5] أَسِنَّةُ[6] الأَعْدَاءِ

---

(1) البُهْمَةُ: الأمر المعضل.
(2) المُعَرَّد: من التعريد، وهو الهرب.
(3) الفَقْعُ: الكمأة البيضاء الرخوة.
(4) القِرْدَدُ: ما غُلظ وارتفع من الأرض.
(5) أقصدته: أصابته.
(6) الأسنة: جمع السِّنان، وهو الرمح.

غَـادَرُوهُ بِـكَـرْبَـلَاءَ صَـرِيْـعـاً   جَادَتِ المُزْنُ[1] فِي ذُرَا كَرْبَلاءِ

وكانت عاتكة هي التي رفعت خدَّه عن الثرى الذي رواه بدمائه الطاهرة، وضمَّته إلى صدرها ضمَّة الوداع الأخير.

ولما أمضت عدتها، أعرضت عن الزواج نهائياً، وجاءها مروان بن الحكم خاطباً فأبت، وقالت: لستُ بمتَّخذةٍ حَماً[2] بعد رسول الله ﷺ، وظلَّت محافظة على هذا العهد حتى حضرها الموت في السنة الأربعين للهجرة.

زوج الشهداء

رحم الله تعالى عاتكة بنت زيد زوج الشهداء الأربعة عبد الله بن أبي بكرٍ، وعمر بن الخطاب، والزبير بن العوَّام، والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ورحمهم أجمعين، وأحسن نزلها ونزلهم يوم الدين.

لقد عاشت حياة ظاهرها السرور، وباطنها الأسى والآلام، وكم لقيت من العذاب إثر نعي أزواجها إليها الواحد بعد الآخر! ولكن تلك مشيئة الله، وقضاؤه الذي ليس له رادٌّ، وما ينبغي لأحدٍ إزاءه إلاَّ الرضا بمشيئته، والتسليم بقضائه المحتوم، فهو الآمر الناهي وحده في هذا الكون، لامبدل لأمره، وهو الحاكم الذي لا معقِّب لحكمه، والقائل في كتابه المبين: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: 29]، فالأمر كله إليه ونواصي الخلق بين يديه، لا يملكون من الأمر شيئاً، له الحكم وعليهم التسليم لحكم حكيم عليم، فسبحانه من إلهٍ عظيم، ومدبِّرٍ كريم!!.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد زواجه بعاتكة، دعا إليه عدداً من الصحابة رضي الله عنهم وفيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فقال له علي: إن لي إلى عاتكة حاجة، أريد أن أُذكِّرَها إياها، فقل

---

(1) المُزْنُ: جمع المُزْنَة، وهي السحابة التي تحمل الماء.

(2) الحمو: أبو الزوج.

تستتر حتى أُكلِّمها، فقال لها عمر: استتري يا عاتكة، فإن ابن أبي طالبٍ يريد أن يكلمك، فأخذت عليها مِرْطَهَا[1] فلم يظهر منها إلاَّ ما بدا من براجمها[2]، فقال علي: يا عاتكة أتعرفين من القائل:

فَآلَيْتُ لَا تَنفَكُّ عَيْنِي حَزِيْنَةً ... عَلَيْكَ وَلاَ يَنفَكُّ جِلْدِيَ أَغْبَرَا

مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ ... وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ المُنَوَّرَا

فقال له عمر رضي الله عنه: ويحك يا ابن أبي طالب!! ما أردتَ إلى هذا؟ فقال علي رضي الله عنه: وما أرادت أن تقول ما لا تفعل، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾[3] [الصف: 2، 3]، وهذا شيءٌ كان في نفسي، فلم أرى أن أدعه، وأحببت والله أن يخرج.. فقال عمر رضي الله عنه: يا ابن أبي طالب، أما علمت أن ما حسَّن الله فهو حَسَنٌ؟! (يعني الزواج).

وقد عاشت عاتكة بعد الحسين رضي الله عنه عابدة زاهدة، كانت لا تغادر بيتها إلا في الضرورة القصوى، وعكفت على عبادتها رافضة كل من تقدَّم لخطبتها، عازفة عن الدنيا وما فيها.

ولما دعاها الأجل لبَّت نداءه، وذهبت إلى لقاء ربها، رحمها الله تعالى، ورضي عنها.



(1) المِرْطُ: غطاء من صوف.

(2) البراجم: مفاصل الأصابع.

(3) المَقْتُ: البغض والكراهية.

11 - السيدة رفيدة الأنصارية

المبايعة الأنصارية

اسمها رفيدة الأنصارية، ويقال لها رفيدة الأسلمية، وقد ورد اسمها على لسان رسول الله ﷺ يوم الخندق.

كانت واحدة من فواضل نساء الأنصار الذين قال عنهم رسول الله ﷺ فيما حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَالنَّاسُ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»**[1].

أسلمت رفيدة رضي الله عنها في مسجد رسول الله ﷺ وبين يديه وكانت بين النسوة اللاتي بايعن رسول الله ﷺ على طاعة الله وطاعته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: 12]، وشرط رسول الله ﷺ عليهن فقال: **«وَلا تَغْشُشْنَ أَزْوَاجَكُنَّ»**، فبايعنه على ذلك ثم انصرفن.

وروى الإمام أحمد قال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلِيطُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ سَلْمَى بِنْتِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ إِحْدَى خَالاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ - قَدْ صَلَّتْ مَعَهُ

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المناقب/ باب: قول النبي ﷺ: «اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»/ برقم: (3517).

الْقِبْلَتَيْنِ، وَكَانَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، قَالَتْ: جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَبَايَعْتُهُ، فِي نِسْوَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا شَرَطَ عَلَيْنَا أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا نَسْرِقَ وَلا نَزْنِيَ وَلا نَقْتُلَ أَوْلادَنَا وَلا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، قَالَ: «**وَلا تَغْشُشْنَ أَزْوَاجَكُنَّ**».

قَالَتْ: فَبَايَعْنَاهُ ثُمَّ انْصَرَفْنَا، فَقُلْتُ لامْرَأَةٍ مِنْهُنَّ: ارْجِعِي، فَاسْأَلِي رَسُولَ اللهِ ﷺ: مَا غِشُّ أَزْوَاجِنَا؟«قَالَتْ: فَسَأَلَتْهُ، فَقَالَ: «**تَأْخُذُ مَالَهُ فَتُحَابِي بِهِ غَيْرَهُ**[1]»[2].

الممرّضة المجاهدة

ولما انتهت رفيدة رضي الله عنها من بيعتها لرسول الله ﷺ وإعلان إسلامها اختارت لها عملاً خيِّراً نبيلاً، حين وقفت نفسها على خدمة جرحى المسلمين وتمريضهم، وهل هناك أسمى من تقديم يد العون والمساعدة إلى مريض عاجز عن تدبير شؤون نفسه، أو جريح بذل دمه في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا؟.

إن ما يريده الجريح وهو يكابد الألم والأنين، وربما كان يقترب من عالم الأموات، أن يسمع كلمة مواساة طيبة، تخفف آلامه، وتبعث في نفسه الأمل في الشفاء، ليعود إلى ممارسة حياته السالفة بهمة ونشاط، وليتابع رسالته في خدمة أهله وذويه، وقيامه بواجبه تجاه دينه.

كانت رفيدة تمثل دور الملاك الوديع الذي يحمل الرحمة والعطف والحنان، إلى كل جريح اضطرته جراحه أن يلازم الفراش.

غزوة الخندق

وكان لها يوم الخندق ذلك الدور الإنساني، لقد حزَّبت قريش

(1) تحابي به غيره: أي تهادي بماله غيره.

(2) رواه: أحمد/كتاب باقي مسند الأنصار:/باب: حديث سلمى بنت قيس/برقم: (25882).

الأحزاب، وجيَّشت الجيوش في ذلك اليوم، تريد بذلك النيل من المسلمين، ولكن الله وعد رسوله ﷺ والمؤمنين بنصره، وأمدَّهم بجنده، وما يعلم جنود ربك إلا هو، وقد سجَّل القرآن الكريم ما جرى يوم الخندق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: 9 - 11].

إن الريح بعض جند الله، فأرسلها إلى المشركين من قريش ومن والاهم، وأغراها بهم في ذلك اليوم المشهود فكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، وهدمت بنيانهم، ورأوا أنهم قد أُسقط في أيديهم، وأُحيط بهم، حتى لم يعودوا يدرون ما يفعلون، لقد قدَّروا أنهم قادرون على مناجزة جنود من أهل الأرض، ولكن لا قِبَلَ لهم بالصمود أمام جند السماء.

وها هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يحدثنا عن ذلك اليوم فيما رواه الإمام أحمد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: قَالَ فَتًى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَحِبْتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا ابْنَ أَخِي قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ قَالَ: وَاللهِ، لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ، وَلَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا.

قَالَ: فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ وَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: **«مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ؟** يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ، **أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ»**، فَمَا قَامَ رَجُلٌ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: **«مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ؟** يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ

اللهِ ﷺ الرَّجْعَةَ، **أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ**»، فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ.

فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: «**يَا حُذَيْفَةُ، فَاذْهَبْ، فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ، فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ، وَلا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا**». قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ لا تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرٌ وَلا نَارٌ وَلا بِنَاءٌ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا فُلانُ ابْنُ فُلانٍ».

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، بَلَغَنَا مِنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ... ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ، فَوَثَبَ عَلَى ثَلاثٍ، فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلا عَهْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**لا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي**» وَلَوْ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ.

قَالَ حُذَيْفَةُ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مُرَحَّلٍ، فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ. وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ، وَانْشَمَرُوا إِلَى بِلادِهِمْ(1).

وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ/ برقم: (22244).

﴿أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: 25 - 27].

وكانت رفيدة قد اتَّخذت لها خيمةً قريبة من الخندق، ولما أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلاحَ فَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ، فَقَالَ: «**وَضَعْتَ السِّلاحَ؟ وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ**» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَأَيْنَ؟**» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: «فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ»[1].

وقد روى ذلك الإمام أحمد بتفصيل عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ قَالَ: أَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو آثَارَ النَّاسِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الأَرْضِ وَرَائِي - يَعْنِي: حِسَّ الأَرْضِ - قَالَتْ: فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ يَحْمِلُ مِجَنَّهُ، قَالَتْ: فَجَلَسْتُ إِلَى الأَرْضِ فَمَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ، قَالَتْ: وَكَانَ سَعْدٌ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ، قَالَتْ: فَمَرَّ وَهُوَ يَرْتَجِزُ، وَيَقُولُ:

لَبِّثْ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا جَمَلْ ... مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الأَجَلْ

قَالَتْ: فَقُمْتُ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِذَا فِيهِمْ

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال القوم من الحصن/ برقم: (3315).

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ سَبْغَةٌ لَهُ – يَعْنِي: مِغْفَرًا – فَقَالَ عُمَرُ: مَا جَاءَ بِكِ؟ لَعَمْرِي وَاللهِ إِنَّكِ لَجَرِيئَةٌ، وَمَا يُؤْمِنُكِ أَنْ يَكُونَ بَلاءٌ أَوْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ، قَالَتْ: فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنَّ الأَرْضَ انْشَقَّتْ لِي سَاعَتَئِذٍ فَدَخَلْتُ فِيهَا، قَالَتْ: فَرَفَعَ الرَّجُلُ السَّبْغَةَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ، وَيْحَكَ! إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مُنْذُ الْيَوْمَ، وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ أَوْ الْفِرَارُ إِلا إِلَى اللهِ عز وجل؟.

قَالَتْ: وَيَرْمِي سَعْدًا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِقَةِ بِسَهْمٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَطَعَهُ، فَدَعَا اللهَ عز وجل سَعْدٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ، قَالَتْ: وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَتْ: فَرَقَى كَلْمُهُ.

وَبَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الرِّيحَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَكَفَى اللهُ عز وجل الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ عز وجل قَوِيًّا عَزِيزًا، فَلَحِقَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ بِتِهَامَةَ، وَلَحِقَ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ وَمَنْ مَعَهُ بِنَجْدٍ، وَرَجَعَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ فَتَحَصَّنُوا فِي صَيَاصِيهِمْ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَضَعَ السِّلاحَ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَضُرِبَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَقَامَتْ رُفَيْدَةُ الأَسْلَمِيَّةُ بِتَمْرِيضِهِ.

قَالَتْ: فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَإِنَّ عَلَى ثَنَايَاهُ لَنَقْعُ الْغُبَارِ، فَقَالَ: «**أَقَدْ وَضَعْتَ السِّلاحَ؟ وَاللهِ مَا وَضَعَتْ الْمَلائِكَةُ بَعْدُ السِّلاحَ، اخْرُجْ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَاتِلْهُمْ**» قَالَتْ: فَلَبِسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأْمَتَهُ[1]. وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ أَنْ يَخْرُجُوا، ثُمَّ أمر مناديه أن ينادي: «**إن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينَّ العصر إلا في بني قريظة**»[2].

فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَرَّ عَلَى بَنِي غَنْمٍ، وَهُمْ جِيرَانُ الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ،

---

(1) اللأمة: سلاح الحرب.

(2) زيادة من تاريخ الطبري (2/ 581).

فَقَالَ: «**مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟**» فَقَالُوا: «مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ» وَكَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ تُشْبِهُ لِحْيَتُهُ وَسِنُّهُ وَوَجْهُهُ جِبْرِيلَ عليه السلام.

قَالَتْ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ، وَاشْتَدَّ الْبَلاءُ، قِيلَ لَهُمْ: انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ، قَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**» فَنَزَلُوا.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بَعْضَ قَوْمِهِ لِيَأْتُوهُ بِهِ مِنْ خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ الأَسْلَمِيَّةِ، فَأُتِيَ بِهِ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ، قَالَتْ: وَأَنَّى لا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا، وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمْ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: قَدْ آنَ لِي أَنْ لا أُبَالِيَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ.

قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، فَأَنْزِلُوهُ**» فَقَالَ عُمَرُ: سَيِّدُنَا اللهُ عز وجل، قَالَ: «**أَنْزِلُوهُ**» فَأَنْزَلُوهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْكُمْ فِيهِمْ**» قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ عز وجل وَحُكْمِ رَسُولِهِ**».

وفي رواية أنه قال له: «**يا سَعْدُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ عز وجل** مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»[1].

قَالَتْ: ثُمَّ دَعَا سَعْدٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَاقْبِضْنِي

---

(1) أرقعة: جمع رقيع، وهو السماء.

إِلَيْكَ، قَالَتْ: فَانفَجَرَ كَلْمُهُ وَكَانَ قَدْ بَرِئَ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهُ إلا مِثْلُ الْخُرْصِ(1)، وَرَجَعَ إِلَى قُبَّتِهِ الَّتِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما قَالَتْ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأَعْرِفُ بُكَاءَ عُمَرَ مِنْ بُكَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح: 29].

قَالَ عَلْقَمَةُ: قُلْتُ: أَيْ أُمَّهْ، فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ؟ قَالَتْ: كَانَتْ عَيْنُهُ لا تَدْمَعُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَجِدَ فَإِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِحْيَتِهِ(2).

لقد قال رسول الله ﷺ: «**اجْعَلوا سَعْداً فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ الَّتِي فِي المَسْجِدِ حَتَّى أَعُوْدَهُ مِنْ قَرِيبٍ**» وقامت رفيدة بتمريض سعد، وبذلت كل ما في وسعها في رعايته، وتخفيف آلامه وكانت تمتلئ بالغبطة وهي ترى رسول الله ﷺ يدخل خيمتها في الصباح ليعود سعداً، ويقول له: «**كَيفَ أَصْبَحْتَ يَا سَعْدُ؟**»، وفي المساء ليقول له: «**كَيفَ أَمْسَيتَ يَا سَعْدُ؟**»، ويرد سعد بقوله: الحمد لله، بخيرٍ يا رسول الله.

لقد مكَّنها عملها النبيل من أن تكتحل عينيها مرتين كل يوم بطلعة خير البرية، ورسول الإنسانية، عليه أزكى تحية.

ولم تكن رفيدة تبتغي من عملها ثناءً أو شكوراً من أحد، لأنها موقنة بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وكان يكفيها من جرحاها ومرضاها أن ترى البسمة فوق شفاههم لتشعر بأنها أدَّت واجبها تجاههم على الوجه الأكمل، ولم تقصِّر في خدمتهم.

(1) الفائق (1/ 335)، والخُرْصُ: حلقة القِرط.

(2) رواه: الإمام أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: باقي السند السابق/ برقم: (23945).

وروى البخاري عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي الأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ - وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا فَمَاتَ فِيهَا[1] رحمه الله وأحسن إليه وجعل الجنة مستقره.

وظلت رفيدة تؤدِّي واجبها الإنساني النبيل حتى وافاها الأجل، رحمها الله تعالى، ورضي عنها.



(1) رواه: البخاري/ كتاب: الصلاة/ باب: الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم/ برقم: (443).

12 - السيدة حوَّاء بنت يزيد الأنصارية

نسبها وإسلامها

اسمها حوَّاء، والدها يزيد بن السكن، والدتها عقرب بنت معاذ، أما خالها فهو سعد بن معاذ سيد الأوس، وزوجها الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم أحد غواة الشعر الجاهلي الذين وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ [الشعراء: 224 – 225].

لقد أنفق قيس عمره في العبث، وقضى حياته بين اللهو والمجون، وآثر الضلالة على الهدى، والغيَّ على الرشاد، فكان من الغاوين.

بيد أن امرأته حوَّاء خالفته في سلوكه لِمَا أراد الله بها من الخير، فقد هداها الله إلى الإسلام في وقتٍ مبكرٍ، فأسلمت، وكتمت إسلامها عن زوجها حتى تجتنب إساءته إليها، وإلى الدين الذي ارتضته.

وكان حالها مع زوجها قيس أشبه بحال آسية مع زوجها فرعون، قال الله تعالى في قصة آسية: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: 11].

وكانت تودُّ لو أن الله يهدي زوجها قيساً إلى الإيمان، لتكون قريبة منه في عواطفها ومشاعرها فتشاركه أفراحه وأتراحه، وتواسيه في متاعبه وآلامه، لكنها آثرت إيمانها على كل شيء، حتى على الحياة نفسها، ووطَّنت نفسها على ذلك، فكان الموت على الإيمان والإسلام أحب إليها من العيش مع الشرك والأصنام.

وكانت إذا قرأت الآيات التي نزلت في الشعراء تتمنى لو أن زوجها كان من الفئة التي استثناها الله تعالى بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: 227].

فالشعراء - كما صنَّفهم القرآن - صنفان: صنفٌ مذموم يبغضه الله ورسوله ﷺ، وهؤلاء شعراء الضلال الذين لا يتورَّعون عن ارتكاب المحرَّمات، وركوب الموبقات، ويستبقون إلى المنكرات، ويتهافتون على الرذائل، وينأون بأنفسهم عن الفضائل، وقانا الله منهم، وأبعدنا عنهم! آمين؛ وصنف ثانٍ محمودٌ يحبه الله ورسوله ﷺ، وقد عرَّفه الله تعالى بأنهم المؤمنون الذين آمنوا بالله ربّاً وبمحمد ﷺ نبيّاً، وبالقرآن إماماً، والتزموا بأوامر الإسلام، وانتهوا عن مناهيه، وكذلك الذين يعملون الصالحات، ويعرضون عن السيئات، والذين يكثرون من ذكر الله في أقوالهم وأفعالهم وسائر تصرفاتهم وأحوالهم، والذين لا يسكتون على ظلم مَنْ ناصب العداء لله ولرسوله ﷺ والمؤمنين، فيقفون أشعارهم لخدمة الإسلام، والترغيب فيه والمنافحة عنه وعمَّن دخلوا فيه واتَّبعوه.

وكانت حوَّاء تتساءل: لِمَ لا ينتهج قيس بنهج شاعريْ النبي ﷺ حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، اللذين أحبَّهما رسول الله ﷺ وقرَّبهما، لحملهما لواء الدفاع عن الإسلام ضد القوم الكافرين.

وتأسف حوَّاء لأن قيساً زوجها نأى بشعره عن الخير، وقصره على كل شر، ولم يكن له في الدفاع عن الإسلام نصيب.

ولكن، أليس كل ما يجري هذا الكون موافقاً لمشيئة الله تعالى الماضية في خلقه حتى يرث الله الأرض ومن عليها؟ فلتصبر حوَّاء إذاً حتى تنال أجر الصابرين المصابرين.

على خطى آسية زوج فرعون

واستمرَّت حوَّاء في أداء واجباتها الدينية سرّاً، وفي غفلة من زوجها،

ولكن إلى متى يستمرُّ ذلك؟ وهل تستطيع كتمان إسلامها إلى أمدٍ بعيدٍ؟ إن هذا لأمرٌ مستحيلٌ، لأن الرجل يدخل بيته متى شاء، وفي أي وقت يشاء، ولا بُدَّ من ساعةٍ يفجؤها فيها ويراها وهي تصلي، أو يدعوها لتأكل معه وهي صائمة، فما الذي تفعله آنئذٍ؟.

ولم يطل الأمر فعلاً حتى رآها واقفة تصلي، ثم تقرأ من بعض الجلود وسعف النخيل كلاماً غريباً عن أذنه وعقله، وتساءل: أترى هذه المرأة قد أسلمت دون علمي؟ والويل لها إن كانت قد فعلت ذلك فعلاً قبل أن آذن لها!!.

وكأني بهذا الفرعون القزم يسير على خطوات فرعون الكبير الذي قال للسحرة الذين آمنوا برب هارون وموسى عليهما السلام، وأقرُّوا بوحدانيته: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: 71].

من تظن نفسك أيها الشويعر المغرور؟ ومن أنت أيها الفرعون المتسلِّط؟ حتى يؤخذ رأيكما؟ ومتى كان الإيمان بالله، والإقرار بوحدانيته يحتاج إلى إذنِ زائغ، وموافقةِ ضِلِّيلٍ؟ ومتى كان الاعتراف بالحق بحاجة إلى موافقتكما؟ تباً لكما! ما أشد حمقكما! وما أبلغ سخفكما إذ جهلتما أن الله خالق كل شيء!! وأن كل شيء فانٍ، ويبقى وجهه الكريم!.

ولم ينتظر قيس حتى تتم صلاتها ليسألها عن شأنها الذي وجدها عليه، بل عمد إليها وهي ساجدة خاشعة بين يدي ربها، وحسر ثيابها من الأسفل ورفعها حتى جعلها فوق رأسها، وبعد أن انتهى من فعلته الشائنة راح يهزأ من منظرها بعد الذي فعله بها.

فلما كان الغد ابتدع هذا الفاسق الكافر شيئاً آخر أوحى به إليه ضلاله، فبينما هي ساجدة أتاها من خلفها، ثم رفع رجليها، ولما أصبحتا إلى الأعلى ورأسها فوق الأرض قَلَبَها إلى الناحية الثانية ثم أفلتها.

ولم تستطع تلك المؤمنة الصابرة أن تصنع شيئاً غير البكاء وطلب العون من الله على هذا الزوج الكافر، حتى يجعل لها مخرجاً، وفرجاً قريباً من العذاب الذي يلقاها به، ولم يكن لها عن الاعتصام بالصبر محيد، والتمست من ربها التأييد، على هذا الفاجر العتيد.

وتكرَّر تعذيب زوج حوَّاء لها، وتمادى في جرأته عليها، وإساءته إليها، ولم يكفَّ عن ذلك، لأنه لا ديناً يردعه، ولا خُلُقاً يمنعه، ومن حُرِمَ الخُلُق والدين، فهو بإتيان المنكرات قمين[1].

ولكن، حتَّام يستمر قيس في قسوته، وإلى متى يتمادى في سوء معاملته؟ لقد علمت نساء الأنصار بما تتعرَّض له حوَّاء على يد زوجها من القسوة والإيذاء، وباتت سيرتهما على كل لسان، وانتقل خبرها من بيتٍ إلى بيتٍ حتى عمَّ المدينة، ثم تجاوزها حتى وصل إلى رسول الله ﷺ في مكة، وكان النبي ﷺ يتابع وهو في مكة أخبار أنصاره في المدينة، فقد زاره نفرٌ منهم وأخبروه بمحنة حوَّاء مع زوجها، والأذى الذي تعاني منه.

إن بعد العسر يسراً

وفي أحد المواسم خرج قيس بن الخطيم إلى مكة مع وفدٍ من أهل المدينة لإقامة تحالفٍ مع زعماء قريش، وكان رسول الله ﷺ يتعرَّض في المواسم إلى القبائل القادمة إلى مكة ليدعوها إلى الدخول في الإسلام، ويعرِّفها بمبادئ هذا الدين الحنيف، وكان الوفد الذي يضمُّ قيس بن الخطيم أحد الوفود التي التقت برسول الله ﷺ وكان ذلك في ذي المجاز وهو من أسواق مكة الشهيرة، ولما عرض رسول الله ﷺ على قيس الإسلام قال له: ما أحسن ما تدعو إليه ! غير أني أريد أن تمهلني حتى أعود إلى المدينة، وأنظر في الأمر الذي حدَّثتني عنه، لأنني الآن في شغلٍ عنه بالحرب التي تكاد لا تنطفئ بين الأوس والخزرج، وكان رسول الله ﷺ يحرص على أن

---

(1) قمين: جدير.

يدخله في الإسلام لذلك أطال حواره معه، وألحَّ عليه، لكن قيساً ظلَّ ثابتاً على موقفه، وصمَّم على إمهاله إلى وقت لاحقٍ، عند ذلك قال له رسول الله ﷺ: **«يا أَبَا يَزِيدَ، إِنَّ صَاحِبَتَكَ حَوَّاءَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُسِيءُ صُحْبَتَهَا مُذْ فَارَقَتْ دِينَكَ، فَاتَّقِ اللهَ، وَاحْفَظْنِي فِيهَا، وَلا تَعَرَّضْ لَهَا»**، فردَّ قيس بكرم الجاهلي الأصيل وطبعه الصريح الصافي البعيد عن الكذب والرياء: نعم، وكرامة، أفعلُ ما أحببتَ، ولا أعرض لها بعد اليوم إلا بخير.

ولما عاد قيس إلى المدينة دخل على امرأته حوَّاء وقال لها: تعلمين يا حوَّاء؟ لقد التقيت في مكة بمحمد، وأثناء حديثي معه أوصاني بك خيراً، فوعدته ألاَّ أمسَّك بسوءٍ بعد اليوم، وأنا والله موفٍ له بما وعدته! وسرَّت حوَّاء كثيراً بما سمعته منه، وخرجت بإسلامها من السرِّ إلى العلانية دون أن تجد من زوجها أي اعتراضٍ أو أذى.

وبعد مضي بعض الوقت سأل رسول الله ﷺ بعض أهل المدينة عن حوَّاء فأُخبر أنها بخير، وعلم رسول الله ﷺ أن قيساً قد صَدَقَه بما وعده وتركها وشأنها، فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك قال: **«وَفَّى الأُدَيْعِجُ!»**.

ولما انتشر أمر إسلام حوَّاء قيل لزوجها: يا أبا يزيد، إن حوَّاء امرأتك، وقد تركت دينك وتبعت محمداً، فيقول: إني قد أعطيته عهداً ألاَّ أسوءها، وأن أحفظه فيها، ولست بمُخفِرٍ فيما أعطيت! وهكذا فرَّج الله كَرْبَ حوَّاء وكشف غُمَّتَها، ومنحها الأمان.

وأما قيس فقد أضاع الفرصة التي واتته ليدخل في الإسلام، وقُتل في المدينة مشركاً ليدخل النار مع الداخلين.

راوية الحديث الشريف

ثم جاءت بيعة العقبة الثانية حيث اختار الأنصار نقباءهم الاثني عشر، وكانوا ثلاثةً من الأوس وتسعةً من الخزرج، وبعد أن بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، وعاهدوه على نصرته إذا قدِم عليهم مهاجراً إليهم، ودَّعوه على أمل اللقاء به بين ظهرانيهم وعلى أرض مدينتهم.

ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى علم أهل المدينة أن النبي ﷺ قد أصبح بظاهر المدينة، فخلت الديار من أهلها، وخرج الرجال والنساء والأطفال لاستقبال ضيفهم الكبير، والترحيب به أجمل ترحيب.

ولم تكن حوَّاء لتتخلَّف عن هذا المهرجان العظيم، بعد أن شاركت حوَّاء نساء المدينة في بيعة رسول الله ﷺ تفرَّغت لشؤون بيتها، وتربية ولدها ثابت بن قيس على مبادئ الدين الحنيف.

وأخذت حوَّاء تحضر مع نساء الأنصار مجالس رسول الله ﷺ وتتلقَّى الحديث النبوي من فمه الشريف حتى بلغت باجتهادها مرتبة الرواية عنه، كما باتت ممن يُروى عنهنَّ، وكان عمرو بن معاذ رضي الله عنه يروي عنها.

لقد أراد الله بك الخير يا حوَّاء فهداكِ، ولنشر دينه أبقاك، وأبعد عن طريقك زوجك الذي آذاك، ولو سمع، أو عقل، قيس لاتَّبع خطاك.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: 6 - 11].

لقد اخترتِ التقوى طريقاً لحياتك، فهنيئاً لك اختيارك وتقاك، قال تعالى في أمثالك: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: 54 - 55]، فهل علمتِ بأي جزاء سيلقاكِ؟!!.

لقد أرضيته يا حوَّاء في دنياك، ولا ريب أنه سيرضيك في أُخراك، وظلَّت حوَّاء وفية لربها ودينها حتى حضرتها الوفاة، رحمها الله تعالى، ورضي عنها.



13 - السيدة أم سُلَيم بنت ملحان

نسبها، وإسلامها

اسمها سهلة، ويقال أُنيفة، ويقال: الرُّميصاء[1]، والدها مِلْحان بن خالد من بني عدي بن النجار، وتُكنى بأُمّ سُلَيْم.

تزوَّجها مالك بن النضر فأنجبت له أنساً والبراء، وكانت عظيمة المناقب، كثيرة الشمائل، ذات جمالٍ وذكاءٍ، وحُسْنُ خُلُقٍ، وشجاعة، وكان أفضل ما فيها حبها للإسلام، وتصديها لأعدائه.

أسلمت أُمُّ سُلَيم خلال غياب زوجها مالك في تجارةٍ له، ولما عاد من سفره وعلم بإسلام امرأته قال لها: أصبوت؟ قالت أُمُّ سُلَيْم: ما صبوت، ولكني آمنت! واتَّبعت الحق، فثار عليها، وهدَّدها، ولكنها لم تكترث لغضبه، لأن رضاء الله ورسوله ﷺ كان أولى عندها من رضاء زوجها.

انصرفت أُمُّ سُلَيْم إلى تربية ولدها أنس، وتلقينه مبادئ الإسلام، وبينما كانت تعلِّمه كلماتَ الأذان قالت له: يا أنس، قل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وكان الصغير يردِّد ذلك بعدها، واعترض مالك عليها، وقال لها: لا تفسدي عليَّ ولدي، فقالت له أُمُّ سُلَيْم بثقةٍ وإيمانٍ: أنا لا أفسده، بل أعلِّمه وأهديه.

وتفاقم الخلاف بين أُمّ سُلَيْم وزوجها حتى إنَّهُ هدَّدها بتركها وحدها هي وولدها والذهاب إلى الشام إذًا لم تترك دينها الجديد، ولما تيقَّن من

---

(1) ورد في صحيح مسلم أن اسمها الغُميصاء، بالغين المعجمة، وذلك في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أُمّ سُلَيْم أُمّ أنس بن مالك، برقم: (4494) جاء عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ».

أنها لن تطيعه في مطلبه، خرج هائماً على وجهه، فظفر به بعض خصومه في الطريق فقتلوه.

أم اليتيم الوفية

وحزنت أُمُّ سُلَيْم لما أصابه على الرغم من أنه كان يسيء معاملتها بسبب إسلامها، ولم يكن حزنها إلاَّ وفاءً للعشرة التي جمعت بينهما تحت سقفٍ واحد سنين عدداً، ثم قالت: لا أفطم أنساً حتى يدع الثَّدي، ولا أتزوَّج حتى يأمرني أنس.

وراحت أُمُّ سُلَيْم تُنَشِّىء أنساً أحسن تنشئة، تغذِّيه بآيات الله، وترضعه سنة مصطفاه ﷺ، حتى أصبح فتًى يُعتمد عليه، عند ذلك هداها عقلها السليم أن تمضي به إلى رسول الله ﷺ، ورجته أن يجعله خادماً له لينهل من علمه، ويستغني عمَّن سواه، وكم كان سرور أُمِّ سُلَيْمٍ عظيماً حين استجاب النبي ﷺ لرجائها.

أكرم الناس مهراً

وكان أبو طلحة الأنصاري راغباً في الزواج، وقد علم أن أُمَّ سُلَيْم آمت من زوجها، وكان قد سمع عن مناقبها وفضائلها، فَعَزَمَ على خطبتها، وقرر أن يصدقها من الذهب والفضة كل ما تطلب لأنه كان عريض الثراء، واسع الغنى، دون أن يدور بخلده أن أُمَّ سُلَيْم تختلف عن سائر النساء في زهدها بالذهب والفضة، بل بمال الدنيا، ولا يهمها إلَّا شيئاً واحداً لم يخطر له أو لغيره على بال، وظنَّ أبو طلحة أن غناه سيجعل الزواج من أُمِّ سُلَيْم هيناً ميسوراً، ولكن هيهات هيهات لما ظنَّ، ولْنرَ ما الذي يرضي أُمَّ سُلَيْمَ وأي مهر ستطلبه من أبي طلحة؟ وهل هو قادرٌ على تدبيره أم سيكونَ من العاجزين؟.

جاء أبو طلحة وطرق الباب على أُمِّ سُلَيْم، ففتح له ابنها أنس رضي الله عنه ثم استأذن بالدخول فأذنت له، ولما أخذا في الحديث عرض عليها الزواج فقالت له: إن مثلك لا يُردُّ، ولكنك امرؤ مشرك، وما ينبغي لي أن أتزوَّج

بمشرك، قال: يا أُمَّ سُلَيْم سأعطيك ما تشائين من الذهب والفضة مهراً لك فقالت: إن مهري هو الإسلام، فإذا أسلمت زوَّجتك نفسي، ولا أريد مهراً عن الإسلام بديلاً.

ثم قالت: أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها عبد آل فلان، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت؟، ثم قالت: يا أبا طلحة، ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد إنما هو شجرة نبتت من الأرض، وإنما نجرها حبشيٌّ بني فلان؟ قال: بلى، قالت: أما تستحي يا أبا طلحة أن تسجد لخشبةٍ تنبت من الأرض، نجرها حبشيٌّ بني فلان؟ فلم ينبس أبو طلحة بشيء، قالت: فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حتى أصبح زوجك! قال: دعيني، حتى أنظر في أمري.

وذهب أبو طلحة، فنظر في أمره ثم عاد إليها، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، هل طابت نفسك يا أُمَّ سُلَيْمٍ؟ قالت: نعم، بارك الله فيك ثم قالت: يا أنس، قم فزوِّج أبا طلحة.

وذهب أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فوجده بين أصحابه يعلمهم ويهديهم إلى سواء السبيل، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال لمن حوله: **«جَاءَكُمْ أَبُو طَلْحَةَ وَغُرَّةُ الإِسْلامِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»** وأخبر أبو طلحة النبي ﷺ بالمهر الذي طلبته أُمُّ سُلَيْم، ثم أعلنَ إسلامه أمام الملإ وتزوَّجها على صداق لا يعدل بمال، ذلكم هو الإسلام، وقال الأنصار: ما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أُمِّ سُلَيْم: الإسلام.

روى النسائي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَس قَالَ: **«تَزَوَّجَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ فَكَانَ صِدَاقُ مَا بَيْنَهُمَا الإِسْلامَ، أَسْلَمَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ قَبْلَ أَبِي طَلْحَةَ فَخَطَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنْ أَسْلَمْتَ نَكَحْتُكَ، فَأَسْلَمَ، فَكَانَ صِدَاقَ مَا بَيْنَهُمَا»**[1]، وفي رواية أخرى عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ

(1) رواه: النسائي/ كتاب: النكاح/ باب: التزويج على الإسلام/ برقم: (3288).

قَالَ: «خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْم، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَأَسْلَمَ، فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا، قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ: الإِسْلامَ، فَدَخَلَ بِهَا، فَوَلَدَتْ لَهُ عِدَّةَ أَبْنَاءٍ»(1).

زوجة الكريم

وكان أبو طلحة على كثرة ثرائه، مسرفاً في سخائه، روى البخاري عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ.

قَالَ أَنَسٌ ﷺ: فَلَمَّا أُنزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: 92] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ»** فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ(2).

وكانت أُمُّ سُلَيْمٍ تُسرُّ بكرم أبي طلحة، وتشاركه في سخائه وجوده،

---

(1) رواه: النسائي/ كتاب: النكاح/ باب: التزويج على الإسلام/ برقم: (3289).

(2) رواه: البخاري/ كتاب: الزكاة/ باب: الزكاة على الأقارب/ برقم: (1368).

حَدَّثَ مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ دَاوُدَ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجلاً أَتى النَّبِيَّ ﷺ فَبعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ يَضُمُّ - أَوْ يُضِيفُ - هَذَا»**، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي[1] سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً.

قَالَ: فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«ضَحِكَ اللهُ اللَّيلَةَ - أَوْ عَجِبَ - مِنْ فَعَالِكُمَا»** فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: 9][2].

وفي رواية مسلم: حَدَّثَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ الأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلا مَاءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللهُ؟»** فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لا إِلا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ

---

(1) أصبحي: أوقدي، ونوِّري.

(2) رواه: البخاري/ كتاب: المناقب/ باب: قول الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾/ برقم: (3514).

بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِيءِ السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ﷺ: **«قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»**[1].

استشهاد أخيها

روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: **«إِنِّي أَرْحَمُهَا قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي»**[2] فقد روى البخاري عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ خَالَهُ أَخٌ لأُمِّ سُلَيْمٍ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا، وَكَانَ رَئِيسَ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ خَيَّرَ بَيْنَ ثَلاثِ خِصَالٍ، فَقَالَ: يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِي أَهْلُ الْمَدَرِ، أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِأَلْفٍ وَأَلْفٍ، فَطُعِنَ عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فُلانٍ، فَقَالَ: غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَكْرِ، فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلانٍ؟! ائْتُونِي بِفَرَسِي فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ.

فَانْطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ، وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجُ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلانٍ قَالَ: كُونَا قَرِيبًا حَتَّى آتِيَهُمْ، فَإِنْ آمَنُونِي كُنْتُمْ، وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ فَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أُبَلِّغْ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ وَأَوْمَؤُوا إِلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ، قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسِبُهُ حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرُّمْحِ، قَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» فَلُحِقَ الرَّجُلُ فَقُتِلُوا كُلُّهُمْ، غَيْرَ الأَعْرَجِ كَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ.

فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْنَا - ثُمَّ كَانَ مِنَ الْمَنْسُوخِ - ﴿إِنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الأشربة/ باب: فضل إكرام الضيف وإيثاره/ برقم: (3829).

(2) رواه: البخاري/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: فضل من جهّز غازياً، أو خلفه بخير/ برقم: (2632).

وَأَرْضَانَا﴾ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ ثَلاثِينَ صَبَاحًا، عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ وَعُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ[1].

دعاء النبي ﷺ لولدها

وروى أَنَسٌ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ وَكَانَ صَائِمًا، فَقَالَ: **«أَعِيدُوا تَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ وَسَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ»** ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ دَعَا لأُمِّ سُلَيْمٍ وَلأَهْلِهَا بِخَيْرٍ، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: **«وَمَا هِيَ؟»** قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ قَالَ: فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلا دُنْيَا إِلا دَعَا لِي بِهِ، وَقَالَ: **«اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالاً وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ»**، قَالَ: فَمَا مِنَ الأَنْصَارِ إِنْسَانٌ أَكْثَرُ مِنِّي مَالاً وَذَكَرَ أَنَّهُ لا يَمْلِكُ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً غَيْرَ خَاتَمِهِ، قَالَ: وَذَكَرَ أَنَّ ابْنَتَهُ الْكُبْرَى أُمَيْنَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ دُفِنَ مِنْ صُلْبِهِ إِلَى مَقْدَمِ الْحَجَّاجِ نَيِّفًا عَلَى عِشْرِينَ وَمِئَةٍ[2]، إنها دعوات مباركة من خير المرسلين.

محبتها الكبرى لرسول الله ﷺ

وكانت أُمُّ سُلَيْم تتحرَّى بركات رسول الله ﷺ في كل شيء، وفي كل آنٍ، رَوَى الْبَرَاءُ بْنُ زَيْدٍ ابْنِ بِنْتِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يُحَدِّثُ، عَنْ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَقِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ قَائِمًا مِنْ فِي الْقِرْبَةِ، فَقَامَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى فِي الْقِرْبَةِ فَقَطَعَتْهُ، فَأَمْسَكَتْهُ عِنْدَهَا[3].

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المغازي/ باب: غزوة الرجيع/ برقم: (3782).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكثرين من الصحابة ﷺ/ باب: مسند أنس بن مالك ﷺ/ برقم: (11611).

(3) رواه: أحمد/ كتاب: من مسند القبائل/ باب: حديث أم سليم/ برقم: (26160).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَأْتِيهَا فَيَقِيلُ[1] عِنْدَهَا، (فهي خالته من الرضاعة) فَتَبْسُطُ لَهُ نطعًا فَيَقِيلُ عِنْدَهَا، وَكَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ، فَتَجْمَعُ عَرَقَهُ فَتَجْعَلُهُ فِي الطِّيبِ وَالْقَوَارِيرِ، قَالَتْ: وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى الْخُمْرَةِ[2].

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اضْطَجَعَ عَلَى نَطْعٍ فَعَرِقَ، فَقَامَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى عَرَقِهِ فَنَشَّفَتْهُ فَجَعَلَتْهُ فِي قَارُورَةٍ، فَرَآهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟**» قَالَتْ: أَجْعَلُ عَرَقَكَ فِي طِيبِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ولم يُنكر عليها فعلها[3].

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأُتِيَتْ، فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ ﷺ نَامَ فِي بَيْتِكِ عَلَى فِرَاشِكِ، قَالَ: فَجَاءَتْ، وَقَدْ عَرِقَ وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ[4] عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟**» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: «**أَصَبْتِ**»[5].

بركات المصطفى ﷺ تصيبها

وكانت أُمَّ سُلَيْمٍ تُهادي رسول الله ﷺ بين الفينة والفينة، وتدعوه أحياناً

---

(1) قال: من القيلولة، وهي النوم في الظهيرة.

(2) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم سليم/ برقم: (25868).

(3) رواه: النسائي/ كتاب: الزينة/ باب: ما جاء في الأنطاع/ برقم: (5276).

(4) الأديم: الجلد.

(5) رواه: الإمام مسلم/ كتاب: الفضائل/ باب: طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به/ برقم: (4301).

للطعام عندها، وفي هذه الزيارات كانت تتجلَّى بركات رسول الله ﷺ، روي عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: اذْهَبْ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقُلْ لَهُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَغَدَّى عِنْدَنَا، فَافْعَلْ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَبَلَّغْتُهُ، فَقَالَ: **«وَمَنْ عِنْدِي؟»** قُلْتُ: نَعَمْ فَقَالَ: **«انْهَضُوا»** قَالَ: فَجِئْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ وَأَنَا لَدَهِشٌ لِمَنْ أَقْبَلَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا صَنَعْتَ يَا أَنَسُ؟ فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ قَالَ: **«هَلْ عِنْدَكِ سَمْنٌ؟»** قَالَتْ: نَعَمْ، قَدْ كَانَ مِنْهُ عِنْدِي عُكَّةٌ، فِيهَا شَيْءٌ مِنْ سَمْنٍ، قَالَ: **«فَأْتِ بِهَا»** قَالَتْ: فَجِئْتُهُ بِهَا، فَفَتَحَ رِبَاطَهَا، ثُمَّ قَالَ: **«بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ فِيهَا الْبَرَكَةَ»** قَالَ: فَقَالَ: **«اقْلِبِيهَا»** فَقَلَبْتُهَا، فَعَصَرَهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُسَمِّي، قَالَ: فَأَخَذْتُ نَقْعَ قِدْرٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا بِضْعٌ وَثَمَانُونَ رَجُلاً، فَفَضَلَ فِيهَا فَضْلٌ، فَدَفَعَهَا إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ فَقَالَ: **«كُلِي وَأَطْعِمِي جِيرَانَكِ»**[1].

إن ما تقدَّم من حديث بركة رسول الله ﷺ ليس إلاَّ غيضاً من فيض، وهي لم تفتأ تعمّ الناس حال حياته، ولم تزل تغمرنا بعد وفاته، أَوَ ليست نعمة الإسلام التي نتفيأ ظلالها أسمى بركاته علينا منذ نيِّفٍ وأربعة عشر قرناً؟ أدامها الله علينا حتى نلقى وجهه الكريم، ونحن عليها مقيمون، وبسنة نبيه ﷺ مستمسكون.

إكرام النبي ﷺ لها

وبلغ من فضلها ما رواه البخاري عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يُخْبِرُنَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لامْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ - سَمَّاهَا ابْنُ عَبَّاسٍ، فَنَسِيتُ اسْمَهَا -: **«مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّينَ مَعَنَا؟»** قَالَتْ: كَانَ لَنَا نَاضِحٌ فَرَكِبَهُ أَبُو فُلانٍ وَابْنُهُ - لِزَوْجِهَا وَابْنِهَا - وَتَرَكَ نَاضِحًا نَنْضَحُ

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (13058).

عَلَيْهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ، اعْتَمِرِي فِيهِ، فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ حَجَّةٌ**»[1]، وكانت تلك المرأة أُمّ سُلَيْمٍ.

وحجَّت أُمُّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها مع النبي ﷺ وكانت نساؤه معه - رَضِيَ اللهُ عَنهُنَّ - وكان النبي ﷺ يوصي بها في الطريق، روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُنَّ يَسُوقُ بِهِنَّ سَوَّاقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْ أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ**»[2].

وفي رواية البخاري عَنْ أَبِي قِلابَةَ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فِي الثَّقَلِ[3]، وَأَنْجَشَةُ غُلامُ النَّبِيِّ ﷺ يَسُوقُ بِهِنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَنْجَشُ رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ**»[4].

ومن مظاهر رفقه بها ﷺ وحدبه عليها ما رواه الإمام أحمد عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم اخْتَلَفَا فِي الْمَرْأَةِ تَحِيضُ بَعْدَ الزِّيَارَةِ فِي يَوْمِ النَّحْرِ بَعْدَمَا طَافَتْ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ زَيْدٌ: يَكُونُ آخِرَ عَهْدِهَا الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَنْفِرُ إِنْ شَاءَتْ، فَقَالَ الأَنْصَارُ: لا نُتَابِعُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَنْتَ تُخَالِفُ زَيْدًا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِزَيْدٍ: فَاسْأَلْ نِسَاءَكَ، أُمَّ سُلَيْمٍ وَصَوَاحِبَهَا، هَلْ أَمَرَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَسَأَلَهُنَّ زَيْدٌ، فَقُلْنَ: نَعَمْ، قَدْ أَمَرَنَا بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: حِضْتُ بَعْدَمَا طُفْتُ بِالْبَيْتِ يَوْمَ النَّحْرِ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَنْفِرَ، ثُمَّ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: وَحَاضَتْ صَفِيَّةُ،

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: الحج/ باب: العمرة في رمضان/ برقم: (1657).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أُمّ سُلَيْم/ برقم: (25867).

(3) في الثقل: أي أنها كانت حاملاً في الأشهر الأخيرة.

(4) رواه: البخاري/ كتاب: الأدب/ باب: من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً/ برقم: (5734).

فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: الْخَيْبَةُ لَكِ، إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **«مُرُوهَا فَلْتَنْفِرْ»**[1].

الأم الصابرة الواعية

ورُزق أبو طلحة من أمِّ سُلَيْمٍ بطفلٍ جميلٍ أسمياه أبا عُمَيْر فأَنِسا به غاية الأُنس، وكان محل سعادتهما، وقد جاءا له بطائرٍ صغير يلعب به، وفجأة مات ذلك الطائر، فحزن عليه أبو عمير، روى ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى: أَبَا عُمَيْرٍ، وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: **«مَا شَأْنُهُ؟»** قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**[2]**؟»**[3].

وكانت أُمُّ سُلَيْمٍ تتميَّز بذكاءٍ فذٍّ، وحسن تصرُّفٍ فريد، فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ، قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا.

فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لا، قَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ، ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي؟!!.

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: من مسند القبائل/ باب: حديث أُمِّ سُلَيْمٍ/ برقم: (26163).

(2) النُّغَيْرُ: تصغير للنُّغر، وهو طائرٌ يشبه العصفور.

(3) رواه: أبو داود في سننه/ كتاب: الأدب/ باب: في الرجل يكتني وليس له ولد/ برقم: (4318).

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعْرَسْتُمْ اللَّيْلَةَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا**»، قَالَ: فَحَمَلَتْ.

بركة النبي ﷺ تصيب أولادها

قَالَ أنس رضي الله عنه: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا، فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ، فَاحْتُبِسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى، قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا.

قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ، لا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحَ، احْتَمَلْتُهُ، فَانطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ، فَلَمَّا رَآنِي، قَالَ: «**لَعَلَّ أُمَّ سُلَيمٍ وَلَدَتْ**» قُلْتُ: نَعَمْ، فَوَضَعَ الْمِيسَمَ، قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ، فَلاكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ، ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ**»، قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ، وَسَمَّاهُ: عَبْدَ اللهِ[1].

وعاش عبد الله بن أبي طلحة فأنجب ذريَّةً طيبة كلهم قد ختموا القرآن، إنها بركة الحبيب الأعظم ﷺ إذ مزج ريقه بريق أبيهم.

وفي رواية أخرى عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: ذَهَبْتُ

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أبي طلحة الأنصاري/ برقم: (4496).

بِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ وُلِدَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَبَاءَةٍ يَهْنَأُ بَعِيرًا لَهُ، فَقَالَ: **«هَلْ مَعَكَ تَمْرٌ؟»** فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَنَاوَلْتُهُ تَمَرَاتٍ فَأَلْقَاهُنَّ فِي فِيهِ فَلاكَهُنَّ، ثُمَّ فَغَرَ فَا الصَّبِيِّ فَمَجَّهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، ثُمَّ قَالَ: **«حُبُّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ»** وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ[1].

مشاركتها في الغزوات

وقد شهدت أُمُّ سُلَيْمٍ مع رسول الله ﷺ أُحداً وخيبر وحنيناً، وكانت لا تدع أبا طلحة زوجها يخرج إلى غزاة دونها، ويوم أُحد كانت تسقي العطاش، وتداوي الجرحى، حَدَّثَ أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامِيًا شَدِيدَ الْقِدِّ، يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«انْشُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ»**. فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لا تُشْرِفْ، يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلاثًا[2].

ويوم حنين لم تكتفِ أُمُّ سُلَيْمٍ بمداواة الجرحى وسقي العطاش

---

(1) رواه: مسلم/كتاب: الآداب/باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح/برقم: (3995).

(2) رواه: البخاري/كتاب: المناقب/باب: مناقب أبي طلحة/برقم: (3527).

والمرضى، بل اتَّخذت لها خنجراً شدته على وسطها لتدافع به عن رسول الله ﷺ عند الحاجة إليها، روى الإمام مسلم عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟»** قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ، انْهَزَمُوا بِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ»**[1].

ويوم خيبر كانت أُمُّ سُلَيْم مع رسول الله ﷺ، فلما اصطفى صفية بنت حيي لنفسه دفعها إليها لتجهزها له، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا أُمُّ سُلَيْمٍ لَهُ وَزَيَّنَتْهَا وَمَشَّطَتْهَا فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا، فَقَالَ: **«مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ»** وَبَسَطَ نِطَعًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ[2].

أم سليم من أهل الجنة

وحظيت أُمُّ سُلَيْم من جرَّاء قربها من رسول الله ﷺ وكثرة تردُّده على بيتها، وجهادها معه بشرف رواية حديثه ﷺ، فقد روت عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثاً، أورد بعضها الشيخان في صحيحهما، فقد اتَّفقا معاً على حديثين، وأخرج لها الإمام مسلم حديثين آخرين، بينما أخرج لها البخاري حديثاً واحداً، وقد روى عنها حديث رسول الله ﷺ ابنها أنس رضي الله عنه وحبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وزيد بن ثابت رضي الله عنه، كما روى عنها غيرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

---

(1) رواه: الإمام مسلم/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: غزوة النساء مع الرجال/ برقم: (3374).

(2) رواه: البخاري/ كتاب: الصلاة/ باب: ما يذكر في الفخذ/ برقم: (358).

كانت أُمُّ سُلَيْم مثال المرأة المؤمنة المحافظة على دينها، العارفة لحق ربها، المطيعة لنبيها ﷺ، القائمة بواجب زوجها، المحسنة في تربية أبنائها، المجاهدة للكفار والمنافقين، والشديدة عليهم، المثل للكرماء، والقدوة للأسخياء، كل ذلك نهلته من مدرسة الحبيب الأعظم، فقد كانت إحدى تلميذاتها النجيبات المتفوقات.

وقد فازت من رسول الله ﷺ بخير بشرى فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«دخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ»**[1].

وفي رواية أخرى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلالٌ»**[2].

رحم الله أُمَّ سُلَيْمٍ وزوجها أبا طلحة وَرَضِيَ عَنْهُمَا، وجزاهما خير ما جزى به المتقين.



---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أم سليم أم أنس بن مالك/ برقم: (4494).

(2) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أم سليم أم أنس بن مالك/ برقم: (4495).

14 - السيدة أم حرام بنت ملحان

الأنصارية السابقة

اسمها أُمُّ حَرَام، والدها مِلْحان بن خالد، وزوجها الصحابي الجليل عُبَادَةُ بن الصامت، وأختها أُمُّ سُلَيْم بنت مِلْحان أُمُّ أنس بن مالك ﷺ.

كانت أُمُّ حَرَام من السابقين الأوائل إلى الإسلام، فقد أسلمت مبكرة، وبايعت رسول الله ﷺ مع نساء الأنصار حين بايعنه.

حضر زوجها عُبَادَةُ ﷺ العقبة الأولى ضمن اثني عشر رجلاً من الأنصار، فبايعوا رسول الله ﷺ، وعُبَادَةُ هو راوي حديث العقبة الأولى، في مسند الإمام أحمد: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْيَزَنِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُسَيْلَةَ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ الْحَرْبُ، عَلَى أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلا نَسْرِقَ، وَلا نَزْنِيَ، وَلا نَقْتُلَ أَوْلادَنَا، وَلا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، **«فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ»**[1].

ثم حضر عُبَادَةُ ﷺ العقبة الثانية، يوم خرج مصعب بن عمير سفير

---

(1) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: حديث عبادة بن الصامت/برقم: (21692).

رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاثٍ وسبعين رجلاً وامرأتين من مؤمني الأنصار ليلتقوا برسول الله ﷺ في العقبة أواسط أيام التشريق.

ولما أرخى الليل سدوله كان وفد الأنصار في العقبة ينتظر وصول رسول الله ﷺ، فلما حضر كان يرافقه عمه العباس بن عبد المطلب الذي جاء ليستوثق لابن أخيه، ويتأكد من نصرة الأنصار له، وتأييدهم له إذا هاجر إليهم.

وطلب منهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا له من بينهم اثني عشر نقيباً، فاختاروا ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج، وكان عُبَادَةُ بين النقباء المختارين رضي الله عنهم.

وعاد وفد الأنصار بنقبائهم إلى المدينة سعداء مبتهجين بعد أن التقوا برسول الله ﷺ، واستمعوا إلى حديثه العذب الجميل، وحملوا توجيهاته إلى قومهم مع أجمل بشرى بقرب قدومه إلى المدينة مهاجراً حين يأذن له الله بالهجرة المباركة.

وما كان أسعد من أُمّ حَرَام حين استقبلت زوجها النقيب! وقعدت تستمع إلى حديثه، ولقائه الشيِّق برسول الله ﷺ، وما جرى في بيعة العقبة الثانية، واختيار النقباء، والأمانة التي حملوها لنشر دين الله وإعلاء كلمته.

ولم يلبث الأنصار أن سمعوا أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى مشارف المدينة، فخرج أهلها عن بُكرة أبيهم لاستقبال أعز الضيوف بالزغاريد العذبة والأهازيج الجميلة، وكان الأنصار يتنافسون فيما بينهم للإمساك بخطام ناقة رسول الله ﷺ حتى ينزل النبي ﷺ ضيفاً عليه، وابتسم رسول الله ﷺ وقال لهم: **«خَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ»**! ولم تلبث القصواء أن توقَّفت أمام دار أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه.

العائلة المؤمنة

وكان عُبَادَةُ بن الصامت رضي الله عنه فارساً شجاعاً بيِّن الشجاعة، وقد حضر مع رسول الله ﷺ غزوة بدر وأبلى فيها أحسن البلاء، وسقطت يومئذٍ رؤوس

الكفر على أرض بدر صرعى، بعد أن آذوا رسول الله ﷺ وأتباعه من المسلمين إيذاء بليغاً.

كما حضر عُبَادَةُ أُحداً، وصمد مع الذين صمدوا أمام رسول الله ﷺ حين جعلوا أجسادهم تروساً حتى لا يصل إليه من المشركين مكروه.

وقد ثقلت عليه الهزيمة الأليمة التي نزلت بالمسلمين بسبب عصيان رماتهم آنئذٍ أوامر النبي ﷺ، وترك مواقعهم التي أمرهم ألاَّ يبرحوها مهما يكن سير القتال، سواء كان لمصلحة المسلمين أم ضدها، غير أنهم خرجوا من تلك المحنة المؤلمة بعظةٍ بالغةٍ مفادها: أن طاعة القائد أدعى إلى قطف النصر، ودحر الأعداء والخصوم.

وتجاوز المسلمون مأساتهم في أُحُد، وكان عُبَادَةُ لا يتخلف عن الخروج إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ إذا خرج، وحضور مجالسه إذا لم يكن هناك داعٍ للخروج.

وقد علمت أُمُّ حَرَام وزوجها عُبَادَةُ أن طلب العلم فريضة على كل مسلم - ذكرٍ أو أنثى - فأخذا ينهلان من كتاب الله، وحديث مصطفاه كلما وجدا إلى ذلك سبيلاً حتى تمكّنا من بلوغ مرتبة الرواية لحديث رسول الله ﷺ، فقد روت أُمُّ حَرَام عن النبي ﷺ خمسة أحاديث اتَّفق الشيخان على واحدٍ منها، وروى عنها زوجها عُبَادَةُ رضي الله عنهما وابن أختها أُمِّ سُلَيْمٍ أنس رضي الله عنهما، وعطاء بن يسار، وغيرهم.

وكانت أُمُّ حَرَام صوَّامة قوَّامة تالية لكتاب الله، ومن الذاكرات الله كثيراً، وقد ذكر ابن عبد البر أن أُمَّ حَرَام وأختها أُمَّ سُلَيْم خالتا رسول الله ﷺ من الرضاعة، وقال آخرون: إنهما خالتاه لأبيه أو لجده، لأن أم جده عبد المطلب كانت من بني النجار، ولهذا كان رسول الله ﷺ يتردَّد عليهما، ويقيل عندهما بين الحين والآخر.

بشرى النبي ﷺ لها

وقد أخرج الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه عَنْ

إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ**[1] **هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ - أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ - عَلَى الأَسِرَّةِ»** قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ»** - كَمَا قَالَ فِي الأُولَى - قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ ﷺ: **«أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ»**، فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ[2].

وفي مرة أخرى أعاد رسول الله ﷺ تبشيرها بأنها ستكون في أول جيش يغزو البحر، روى البخاري في صحيحه عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ الأَسْوَدِ الْعَنْسِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ أَتَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهُوَ نَازِلٌ فِي سَاحَةِ حِمْصَ، وَهُوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ وَمَعَهُ أُمُّ حَرَامٍ، قَالَ عُمَيْرٌ: فَحَدَّثَتْنَا أُمُّ حَرَامٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ، قَدْ أَوْجَبُوا»** قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: **«أَنْتِ فِيهِمْ»**، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ، مَغْفُورٌ لَهُمْ»** فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«لا»**[3].

---

(1) الثبج: ثبج الشيء وسطه.

(2) رواه: البخاري/ كتاب: التعبير/ باب: الرؤيا بالنهار/ برقم: (6486).

(3) رواه: البخاري/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: ما قيل في قتال الروم/ برقم: (2707).

وقد كان رسول الله ﷺ يخصُّ أُمَّ حَرَام باهتمامه وبركته فقد ورد أنه صلى في بيتها، روى حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى فِي بَيْتِ أُمِّ حَرامٍ عَلَى بِسَاطٍ(1).

وذكر في مرة أخرى أنه صلى في بيتها في غير وقت صلاة ليكرمها، روى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِ أُمِّ حَرَامٍ فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ وَأُمُّ حَرَامٍ خَلْفَنَا(2).

تفاعلهم مع المجتمع الإسلامي

وكانت أكبر صدمة تلقَّتها أُمُّ حَرَام وزوجها عُبَادَةُ رضي الله عنهما يوم انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولكنها مشيئة الله، وليس لجميع المؤمنين حيالها إلا الرضا والتسليم، فالموت كأس قضى الله على عباده جميعاً أن يشربوها، ولم يستثنِ منها حتى المقرَّبون.

لقد ثقل المصاب على جميع المسلمين، وغدا الحليم حيراناً، حتى إن عمر بن الخطاب فقد صوابه يومئذٍ، فخرج إلى الناس والسيف في يده، وراح يهدِّدهم، ويتوعَّد بالقتل كل من قال: إن رسول الله ﷺ قد قضى نحبه، ثم ما لبث أن سمع أبا بكر رضي الله عنه يقول: أيها المسلمون! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: 144].

ووقف عمر رضي الله عنه مذهولاً، كأن هذه الآية لم تطرق سمعه من قبل، ثم هدأت نفسه، وعاد إلى صوابه، وذكر أن البقاء لله الواحد القهَّار، وأن كل مخلوقٍ فانٍ.

---

(1) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: مسند أنس بن مالك/ برقم: (12248).

(2) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (12644).

إن أُمَّ حَرَامٍ وزوجها عُبَادَةُ بن الصامت يعلمان أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ من الدنيا ومتاعها وأضعاف ذلك، ولكن حزنهما كان لأجل انقطاع زياراته لهما، وافتقاد الخير الذي كان يصيبانه من جرَّاء زياراته لهما، والحديث العذب الذي كان يشنِّف به آذانهما.

ولكن أليس فيما ترك لهما وللمسلمين من القرآن الكريم والسنة المطهَّرة عزاء؟.

وبايع الزوجان المؤمنان أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، ووجدا أن سيرته لم تَحِدْ عن سيرة النبي ﷺ بشيءٍ، ولما خرج عليه المرتدون جيَّش لهم الجيوش حتى قضى عليهم، واستأصل شأفتهم، وشعر الزوجان بوفاء الصِّدِّيق، وحفاظه على عهده الذي عاهد عليه الله ورسوله ﷺ، فقرّا عيناً، ونعما بالاً، وكان لا بدَّ لنفس كلٍّ منهما أن تطيب!.

رجل بألف

وخلف الصِّدِّيقَ رضي الله عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان عهده عهد الفتوحات الإسلامية الكبرى التي عمَّت فيها كلمة: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» جميع البقاع، وتردَّدت في كل الأصقاع، وهوت عروش القياصرة، وزالت ممالك الأكاسرة، وأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً قوامه أربعة آلاف مقاتل عليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه لفتح مصر، وإخراج الروم منها، ولما بلغها عمرو رضي الله عنه وجد أنه بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الجنود، فكتب إلى الخليفة عمر يلتمس المدد.

وردَّ عمر على عمرو يقول: لقد أمددتك بأربعة آلاف عليهم أربعة كلٌّ منهم بألف رجل، ولكن من كان هؤلاء الأربعة؟ إنهم: الزبير بن العوَّام، وعُبَادَةُ بن الصامت، والمقداد بن الأسود، ومسلمة بن مخلد، ومن أعرف من عمر بالرجال؟ ودخلت مصر حظيرة الإسلام، وأصبحت أروع درة في تاجه.

تحقق البشرى

وبعث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في الخروج بالمسلمين وركوب البحر، فلم يأذن له، فلما كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أرسل معاوية يجدِّد طلب الإذن، فمنحه الإذن شريطة ألاَّ يُجْبِرَ أحداً على اقتحام البحر، وأن يكون الخروج اختيارياً لا إكراه فيه.

وأعدَّ معاوية رضي الله عنه أُسطولاً بحرياً لغزو جزيرة قبرص، وملأ السفن بالمؤمنين البواسل، وعلى ظهر إحداها عُبَادَةُ بن الصامت وزوجه أُمُّ حَرَامٍ رضي الله عنهما.

وراحت أُمُّ حَرَام تستعيد شريط ذكرياتها عن مجالس رسول الله ﷺ، ووقفت عند حلمه الذي أخبرها فيه أنها من الأولين من أمته الذين يركبون البحر مثل الملوك على الأسرّة، فتساءلت: هل أتت اللحظة التي أُنبئت بها؟، وأخذت تتأمل كل ما تقع عليه عيناها فعل المودِّع.

وألقت السفن مراسيها على شواطئ قبرص، ونزل الفرسان، ثم نزلت أُمُّ حَرَام والنسوة اللاتي كنَّ بصحبتها، وحدَّثتهم بحلم رسول الله ﷺ، وهي لا تكفُّ عن الصلاة والسلام عليه.

وحين تعبت أُمُّ حَرَام من المسير جاؤوها ببغلةٍ، واعتلت أُمُّ حَرَام صخرةً لتتمكَّن من أن تمتطي ظهر البغلة، ولما همَّت بركوبها رمحتها[1] البغلة، فسقطت أُمُّ حَرَام، واندقَّ عنقها، ولما وصل عُبَادَةُ إليها كانت تردِّد قول رسول الله ﷺ: **«أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ»**، وتحقَّق قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: 34].

(1) رمحتها: رفستها.

فكم قطعت أُمُّ حَرَام من المدينة إلى قبرص لتجود بأنفاسها على أرضها؟، قال هشام بن الغَاز: «قبر أُمِّ حَرَامٍ بنت ملحان بقبرص، وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة» رحم الله تَعالى أُمَّ حَرَامٍ شهيدة البحر، وجعل الجنة مستقرها، ورضي عنها.



15 - السيدة أسماء بنت يزيد

نسبها وإسلامها

اسمها أسماء، والدها يزيد بن السكن، والدتها أم سعد بنت خزيم الأشهلية، زوجها أبو سعيد الأنصاري سعيد بن عمارة، والصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه ابن عمِّها.

كانت أسماء من ذوات العقل والدين، فصيحة اللسان، لم تصل كثيراً من النساء إلى مثل بلاغتها، وقوة تعبيرها، وكانت تتمتَّع بحسٍّ مرهف، وعاطفة رقيقة، وهي محبة للجهاد، وقد برعت في الخطابة حتى سميت بخطيبة النساء.

انتسبت أسماء إلى مدرسة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، ودخلت روضة الإسلام فجنت من أزاهيرها كل شَذِيٍّ، وقطفت من وردها كل نَدِيٍّ، ودفعها حبها للجهاد إلى تعلُّم الفروسية، حتى برعت فيها، وأصبحت جرأتها وشجاعتها مضرب المثل، وقد أدَّى بها ذلك إلى رسوخ عقيدتها، وثبات معتقدها، والتَّصدِّي للدفاع عن النساء إذا كان الحق إلى جانبهنَّ.

وقد أسلمت أسماء على يد مصعب بن عمير سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لتعليم أهلها القرآن، وأحكام الإسلام.

الطاعة دليل المحبة

وفي السنة الأولى للهجرة قدمت أسماء مع وفد النساء اللواتي أتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمبايعته، وهناك نبَّهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حكم شرعيٍّ، فكانت سرعة استجابتها لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على قوة إيمانها، روى الإمام أحمد، عَنْ شَهْرٍ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

لأُبَايِعَهُ فَدَنَوْتُ وَعَلَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَبَصُرَ بِبَصِيصِهِمَا، فَقَالَ: «**أَلْقِي السِّوَارَيْنِ يَا أَسْمَاءُ، أَمَا تَخَافِينَ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِسِوَارٍ مِنْ نَارٍ؟**» قَالَتْ: فَأَلْقَيْتُهُمَا فَمَا أَدْرِي مَنْ أَخَذَهُمَا[1].

إنها مؤمنة مسترشدة جاءت إلى معلِّمها ومرشدها تبتغي العلم والرشاد، فلما علَّمها وأرشدها سرعان ما استجابت، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: 24].

وباتت أسماء تكثر التَّردُّد إلى رسول الله ﷺ سواء أكان في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها أم في المجالس التي يعقدها لصحابته الكرام رضي الله عنهم لتأخذ عنه الحديث الشريف وأحكام الفقه، حتى وإن بدا لبعض الجهَّال أن في أسئلتها شيئاً من الحرج، ولمَّا كان العلم بالتُّعلُّم فلتسأل عما تشاء لتستكمل أمور دينها ثم تنقلها إلى غيرها ممن لم يُؤْتَوْن من العلم إلاَّ قليلاً.

وقد امتدحها معظم كتَّاب السير، وقال عنها ابن عبد البر: «كانت من ذوات العقل والدين»[2].

دلائل عقلها ودينها

وقد استأذنت ذات مرة على رسول الله ﷺ، وكان في جماعة من أصحابه يستقون من منهله ويتعلمون مما علَّمه الله، فلما أذن لها، وكان ﷺ لا يصافح النساء، قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنا رسول من ورائي من جماعة من نساء المسلمين، كلهنَّ يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتَّبعناك، ونحن – معاشرَ النساء – مقصوراتٌ مخدَّراتٌ، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضِّلوا بالجُمَعِ والجَمَاعات، وعيادة

(1) رواه: أحمد/ كتاب: من مسند القبائل/ باب: حديث أسماء بنت يزيد/ برقم: (26283).
(2) الاستيعاب (4/ 233).

المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، والجهاد في سبيل الله، وإذا خرجوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم، وغزلنا أثوابهم، وربَّينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟.

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وقال: «**هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ أَحْسَنَ سُؤَالاً عَنْ دِيْنِهَا مِنْ هَذِهِ؟**» فقالوا: لا، والله يا رسول الله، ما سمعنا مثل ذلك، وما ظننا أن امرأةً تهتدي إلى مثل هذا، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اِنْصَرِفِي يَا أَسْمَاءُ، وَأَعْلِمِي مَنْ وَرَاءَكِ مِنَ النِّسَاءِ، أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ**[1] **إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا لِمَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعَهَا لِمُوَافَقَتِهِ، يَعْدِلُ كُلَّ مَا ذَكَرْتِ لِلرِّجَالِ**»، فانصرفت أسماء وهي تردد: الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، أشهد أن محمداً رسول الله، استبشاراً بما قاله لها رسول الله ﷺ، وسكنت نفسها إلى عدالة الإسلام، ورحمته، وسموِّ تشريعه.

وأسرعت إلى صواحبها بما قاله لها نبي الرحمة رسول الله ﷺ وأعلمتهن بحفظ الإسلام لكرامتهن وحقوقهن.

وكانت أسماء كلما حظيت بلقاء رسول الله ﷺ قبست شعاعات من شمس هداه، وازدادت علماً مما علَّمه الله، حتى إذا غادرت مجلسه لم تزل منتشية بكلامه العذب الذي يدخل القلوب قبل الآذان، ويمتع البصائر قبل النواظر، وذلك الفضل من الله، وكان فضل الله عليه عظيماً.

وكانت أسماء لا تكفُّ عن السؤال والاستفسار عن كل ما يكمل دينها، فقد روى الإمام مسلم عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ صَفِيَّةَ تُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَسْمَاءَ بنت يزيد سَأَلَتْ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ، فَقَالَ: «**تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ**

(1) التَّبعُّل: أداء حق الزوج.

تَأْخُذُ فِرْصَةً[1] **مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا»** فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللهِ! ! تَطَهَّرِينَ بِهَا**» وَاسْتَتَرَ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ - كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ -: تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ، فَقَالَ: «**تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ - أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ - ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ، حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ**».

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ[2].

وكانت هناك رابطة مودَّة وصداقة بين عائشة وأسماء، مما يجعلها تكثر الدخول على السيدة عائشة رضي الله عنها لتثري ذخيرتها العلمية والفقهية من علمها وفقهها، فقد كان الأكابر من الصحابة يجدون لديها القول الفصل فيما كانوا فيه يختلفون.

البركة في طعامها

ومن مناقب أسماء أن الله تعالى جعل البركة في طعامٍ قدَّمته للنبي ﷺ، وها هي ذي رضي الله عنها تحدث عن تلك الكرامة فتقول: رأيت رسول الله ﷺ صلى في مسجدنا المغرب، فجئت بعرقٍ[3] وأرغفة، فقلت: بأبي أنت وأمي تعشَّ، فقال لأصحابه: «**كُلُوا بِاسْمِ اللهِ**»، قالت: فأكل هو وأصحابه الذين جاؤوا معه، ومن كان حاضراً من أهل الدار، فوالذي نفسي بيده لرأيت بعض العرق لم يتعرَّقه، وعامة الخبز، وإن القوم أربعون رجلاً، ثم شرب من ماءٍ

---

(1) الفِرْصة: خرقة، أو قطنة تتمسَّح بها المرأة من الحيض.

(2) رواه: مسلم/ كتاب: الحيض/ باب: استحباب استخدام المغتسلة من الحيض فرصة من مسك/ برقم: (500).

(3) العِرق: عظم عليه بعض اللحم.

عندي في شَجَبٍ[1]، فدهنته وطويته، فكنا نسقي منه المريض، ونشرب منه في الحين رجاء البركة.

راوية حديث رسول الله ﷺ

وكانت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها من أكثر نساء الأنصار حفظاً وروايةً لحديث رسول الله ﷺ، فقد روت واحداً وثمانين حديثاً، وروى عنها ابن ماجه، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، وشهر بن حوشب، ومجاهد بن جبير، وابن أختها محمود بن عمرو الأنصاري، وغيرهم من الرواة.

المجاهدة بما وسعها

وقد هداها عقلها الراجح، وفكرها السديد، وفهمها لدينها إلى ضرورة مشاركة المرأة في الجهاد إلى جانب الرجل، وقد نفَّذت في معركة اليرموك ذلك حين خرجت مع جماعةٍ من النساء، فكن يسقين الماء، ويناولن السلاح، ويضمدن الجراح، ولكن كل هذا لم يُرضِ طموحاتهنَّ، فحين حمي وطيس المعركة، واشتد سعيرها عزمت أسماء وصواحبها على المشاركة في القتال، ولكن من أين يأتين بالسلاح؟ وراحت كلٌّ منهنَّ تدبر أمرها فيما تراه في متناول يدها، وبدا لأسماء أن عمود الخيمة يفي بالغرض، ويبلغ المرام، فانتزعته، واندفعت به بين صفوف أعداء الله من الروم، وباتت تضربهم عن يمين وشمال، وحقَّقت ما لم يطقه كثيرٌ من الرجال، حيث قضت بمفردها على تسعة من جنود العدوِّ، وأعجلتهم إلى جهنم وبئس المصير.

ولم تستطع أسماء أن تتفادى بعض الجراح غير الخطيرة خلال هذه المعركة الضارية التي خاضتها، وقد منَّ الله تعالى عليها بالشفاء بعد علاجٍ قصير الأجل.

---

(1) الشَّجَبُ: قِرْبَةُ الماء.

واستمرَّت حياتها سبعة عشر عاماً بعد معركة اليرموك أنفقتها في فعل الخيرات، والحضِّ عليها حتى حضرتها الوفاة، رحمها الله تعالى، ورضي عنها، وتقبَّلها بقبولٍ حسن.



16 - السيدة أم ورقة بنت نوفل

الأنصارية حافظة القرآن

اسمها أم ورقة، والدها عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل، وقيل لها: أم ورقة بنت نوفل، نسبة إلى جدها الأكبر.

تعد أم ورقة رضي الله عنها من أعلام نساء الأنصار، وكانت صوَّامة، قوَّامة، حافظة لكتاب الله الكريم، وهي من فواضل النساء في عصرها، وكان رسول الله ﷺ يزورها كثيراً مع بعض أصحابه رضي الله عنهم، وكان إذا أراد زيارتها يقول لهم: **«انْطَلِقُوا بِنَا نَزُورُ الشَّهِيدَةَ»**، وليست هذه المكرمة الوحيدة التي خصَّ بها رسول الله ﷺ أم ورقة، فلما استأذنته في أن يجعل لها مؤذناً خاصاً، فعل، وتمَّ الفضل حين أذن لها بأن تؤمَّ جماعة النساء في بيتها، وهذا شرفٌ كبير خصها بها دون غيرها، وتقدير لم تُحظَ به امرأة سواها.

قَالَ: وَكَانَتْ قَدْ قَرَأَتْ الْقُرْآنَ، فَاسْتَأْذَنَتْ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ تَتَّخِذَ فِي دَارِهَا مُؤَذِّناً، فَأَذِنَ لَهَا.

حَدَّثَ الْحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ جُمَيْعٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلَّادٍ، عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ - رضي الله عنها قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا فِي بَيْتِهَا، وَجَعَلَ لَهَا مُؤَذِّناً يُؤَذِّنُ لَهَا، وَأَمَرَهَا أَنْ تَؤُمَّ أَهْلَ دَارِهَا، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَأَنَا رَأَيْتُ مُؤَذِّنَهَا شَيْخاً كَبِيراً[1].

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الصلاة/ باب: إمامة النساء/ برقم: (500).

كانت أم ورقة من الذاكرات الله كثيراً، ومن التاليات لكتاب الله حق تلاوته، ومن المتدبرات العاملات بأحكامه.

تمنيها الشهادة

وحين أجمعت قريش أمرها، وعقدت عزمها على قتال المسلمين في بدر، خرج منادي رسول الله ﷺ يدعو المسلمين جميعاً إلى جهاد المشركين، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: 73]، ولبّى المسلمون النداء زرافاتٍ ووحداناً، وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ شاكّي السلاح متأهبين، طامعين بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وفي كُلٍّ خير!

وجاءت إليه أم ورقة تريد أن تنفذ قول الله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: 41].

حَدَّثَ الْوَلِيْدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُمَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي جَدَّتِي، وَعَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ خَلادٍ الأَنْصَارِيُّ عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَزُورُهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، وَأَنَّهَا قَالَتْ يَوْمَ بَدْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتَأْذَنُ فَأَخْرُجَ مَعَكَ، أُمَرِّضُ مَرْضَاكُمْ، وَأُدَاوِي جَرْحَاكُمْ، لَعَلَّ اللهَ يُهْدِي لِي شَهَادَةً قَالَ: **«قَرِّي، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُهْدِي لَكِ شَهَادَةً»**[1].

وفي رواية أبو داود عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ نَوْفَلٍ الأَنْصَارِيَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا غَزَا بَدْراً قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِي الْغَزْوِ مَعَكَ، أُمَرِّضُ مَرْضَاكُمْ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي شَهَادَةً قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَرِّي**

(1) رواه: أحمد/كتاب: من مسند القبائل/باب: حديث أو ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري/برقم: (26022).

فِي بَيْتِكِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْزُقُكِ الشَّهَادَةَ»، قَالَ: فَكَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ تُسَمَّى: الشَّهِيدَةُ»[1].

لقد أمرها رسول الله ﷺ أن تبقى في بيتها فما عساها أن تفعل؟ لقد سمعت وأطاعت، إنها حافظة القرآن، والقرآن يقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء: 80].

وعادت أم ورقة إلى بيتها، ودخلت في محرابها، وراحت تدعو المسلمين، أن يمنَّ عليهم بالنصر المبين، ولما حضرت الصلاة دعا مؤذنها النسوة لصلاة الجماعة في بيت أم ورقة، فتبادرن إليها عَجِلاتٍ، حتى إذا قُضيت الصلاة رفعت أم ورقة يديها إلى الله ضارعة تدعوه بخشوعٍ، والنسوة يؤمِّنَّ على دعائها.

وعلى أرض بدرٍ كان رسول الله ﷺ يدعو ربه ويستنجزه وعده له بالنصر المبين، واستجاب الله تعالى دعاء نبيه ﷺ، واستجاب دعاء أم ورقة المؤمنة التَّقيَّة، رطبة اللسان بذكر الله، الوفية بعهد ربها، المخلصة لدينها ولرسولها ﷺ، المحبة للخير في الأقوال والأفعال، والناهية عن الشر في سائر الأحوال.

وأخذت سيوف الإيمان تحصد رؤوس الشرك والضلال، وزلزلت قريش في بدر زلزالاً شديداً، وكان يوماً على الكافرين عسيراً، لم تغب شمسه حتى استقرَّت رؤوس زعمائها، وجثث سفهائها في قعر القليب، ولقي أبو جهلٍ، وعقبة بن أبي معيط، وابنا ربيعة عتبة وشيبة، وأُميَّة بن خلف شراً مستطيراً جزاء ما أساؤوا إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم: 47].

وعاد رسول الله ﷺ بجند الله من بدر، وهم يهللون ويكبرون،

---

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الصلاة/ باب: إمامة النساء/ برقم: (500).

وأكاليل الغار فوق جباههم، ورايات النصر قد عانقت السماء، وفقدت قريش يومئذٍ سبعين سفيهاً، وأُسر لها سبعون، وكان أكثر ما آلمها أنها لم تستطع حمل أحد من قتلاها، ولا سيما زعماؤها وكبراؤها، لتدفنهم في مكة، لأن أمر رسول الله ﷺ بإلقائهم في بئر بدر حالَ دون ذلك.

وكان سرور أم ورقة بانتصار المسلمين غامراً، وانطلق لسانها بالشكر لله تعالى على إنجاز وعده بنصر المؤمنين، وراحت تستمطر الرحمات على الشهداء، وتنتظر وعد رسول الله ﷺ لها بالشهادة، فإن شوقها لم رزقوا الشهادة لشديد.

أهل القرآن أصحاب الليل

ونظرت أم ورقة في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: 78، 79]، فوجدت فيه فوائد يعزُّ حصرها، وعزمت على ألاَّ تفوتها نفحاتها، وجعلت تقوم الليل، وترفع صوتها بالقرآن، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر ببابها وهو ذاهبٌ إلى صلاة الفجر، فيُسرُّ بسماع تلاوتها، ويقول: هذا صوت خالتي أم ورقة! فهنيئاً لك قيامك، وتهجُّدك، وتلاوتك أيتها المؤمنة التقية، وأبشري بجزاء ربك الذي لا يضيع أجراً، ولا يغمط حقاً، ولا يظلم أحداً، لقد بيَّن لك هذا الجزاء حين قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: 54، 55].

ويعود عمر رضي الله عنه من المسجد، ويسمع صوت أم ورقة وهو ما يزال يترنَّم بآي الذكر الحكيم، وما تنفك أم ورقة مقيمة على هذا الحال، دون كللٍ أو مللٍ.

وقال لها بعض الصحابة الذين كانوا يزورونها مع رسول الله ﷺ: أتدرين من أنت يا أم ورقة؟ وماذا يقول عنك رسول الله ﷺ؟ قالت: لا، بالله عليكم أنبئوني ماذا يقول عني رسول الله ﷺ؟ فقالوا: قال: **«هَيَّا بِنَا إِلَى بَيْتِ**

الشَّهِيدَةِ»، وتطيب نفسها بما تسمع، وتسعد أعماقها بذلك، وترى كأنَّ الدنيا قد باتت ملك يمينها.

ولقد أدَّت تلاوة القرآن الكثيرة إلى صقل نفسها ومَلْءِ قلبها بالرحمة والرقة والحنان، فكانت تُغدق منها على من تعرف ومن لا تعرف ممن يدخل عليها من المهاجرات والأنصاريات لحضور الصلاة ومجالس الفقه التي كانت تديرها لهؤلاء المؤمنات.

تحقق البشارة واستشهادها

وإزاء هذه المهام الملقاة على عاتق أم ورقة كان لا بد لها أن تستعين بمن يخدمها، ويساعدها في تأمين خدمات البيت وأعبائه، وجاءت أم ورقة بغلام وجاريةٍ لهذا الغرض، وجرت الأمور على أحسن ما يرام، فأم ورقة تنفق عليهما وتكرمهما، وهما يؤدِّيان واجباتهما كما ينبغي لها أن تؤدَّى، ولكن كما قال الشاعر السموءل:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ   فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

وكما قال المتنبي:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ   وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

ولكن من كان يصدق، بل من كان يتخيل، أن امرأة وديعة تقية، تحب الخير لكل الناس، صوَّامة، قوَّامة، حافظة لكتاب الله، عطوفة، شفوقة، يمكن أن تكون غرضاً لجريمة شنعاء يدبِّرها ضدَّها الغلام والجارية اللذين أحسنت إليهما، إلى درجة يزهقان فيها روحها الطاهرة، ويسكتان في صدرها الحياة؟

لا شكَّ أن اللؤم الذي جُبلا عليه هو الذي دفعهما إلى ارتكاب ما ارتكبا دون وازعٍ من دين، ففازت أم ورقة بما وُعدت به من الشهادة على لسان رسول الله ﷺ، وأمَّا هما فقد باءا بسخطٍ من الله، ولهم في الآخرة عذابٌ أليم، لقد أفسدا عليها دنياها حين سلباها حياتها، بيد أنها أفسدت عليهما آخرتهما حين دفعت بهما - بما كسبا - إلى جهنَّم وبئس المصير.

وتوضَّأ عمر بن الخطَّاب ﷺ، وجهَّز نفسه ليخرج إلى صلاة الفجر كما يفعل كلَّ يوم، ومرَّ بباب أم ورقة، فلم يسمع صوت تلاوتها، وأصاخ سمعه فلم يجد لها حِسّاً، وكرَّر التنصت فلم يَحْظَ بطائل، وارتاب عمر أمام هذا الواقع، وحُقَّ له أن يرتاب، لقد عوَّدته أم ورقة على سماع قراءتها عند الفجر، فما بالها اليوم قد تغيَّر حالها، وتخلَّت عمَّا دأبت عليه؟.

وحثَّ عمر خطاه إلى المسجد، وعجَّل في صلاته، ودهش الصحابة ﷺ لما رأوا من قلقه، فابتدرهم بالحديث قبل أن يسألوه عمَّا يشغله، فقال: ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة آنفاً، وأرى أن في الأمر شيئاً، فهلمُّوا معي إلى دارها، لنستطلع الخبر اليقين.

ولما وصلوا إلى الدار أقبل عمر على الباب وراح يناديها: يا خالتي أم ورقة، أين أنت؟، ولكن ما من مجيب، واشتد قلق عمر وأصحابه ﷺ، وكرر نداءه لها، ولما لم يجبه أحد، رأوا أنه لا بُدَّ لهم من اقتحام الباب، ونفذوا ذلك في الحال، ثم تفرقوا داخل الدار، كُلٌّ يفتش عن أم ورقة في جانب، ولم يطل بحثهم حتى وجدوا جثَّةً ملفوفةً بقطيفةٍ من القماش في إحدى زوايا المنزل، ولما حسروا عن وجهها علموا أنها أم ورقة وقد فارقت الحياة، وصُعق عمر ﷺ لذلك المشهد، وذُهل الصحابة لما رأوه.

أفي ظل إمام العدل، الذي يضرب التاريخ بعدالته المثل تُرتكب مثل هذه الجريمة الشنعاء، ومع أرقِّ قلبٍ بين النساء؟ مسكينةٌ أنت يا خالة! وويلٌ للجناة الآثمين الذين نزعت الرحمة من قلوبهم حين أسكتوا أنفاسك!!.

وشقَّ على عمر ﷺ ما نزل بأم ورقة وحزَّت في نفسه تلك النهاية الأليمة التي انتهت إليها إمامة النساء، ودُفن هذا المنصب معها فلم تفز به امرأة بعدها، ولكن حزن عمر سرعان ما تبدَّد، فقد ذكر بشارة رسول الله ﷺ لها بالشهادة، فقال من فوره: صدق الله وصدق رسوله ﷺ حين كان يقول: «**انْطَلِقُوا نَزُورُ الشَّهِيدَةَ!!**»، وكفى بأم ورقة فضلاً أن يروي عنها عمر بن الخطاب ﷺ حديث رسول الله ﷺ.

وأوعز عمر بتجهيزها، وتكفينها ثم الصلاة عليها، ومواراتها، وبادر إلى المسجد فأخبر الناس بما لقيته أم ورقة، ثم أمر أن يؤتى بالغلام والجارية، فلما أُحضرا أمامه، أقرَّا بفعلتهما المنكرة، فأمر عمر رضي الله عنه بصلبهما، فكانا أول مصلوبين على باب المدينة، ليكونا عبرة لمن تسوِّل له نفسه أن يعتدي على حياة المسلمين، روى الإمام أحمد عَنِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُمَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي جَدَّتِي، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَلادٍ الأَنْصَارِيُّ أَنَّ أُمَّ وَرَقَةَ كَانَتْ أَعْتَقَتْ جَارِيَةً لَهَا وَغُلامًا عَنْ دُبُرٍ مِنْهَا، فَطَالَ عَلَيْهِمَا، فَغَمَّاهَا فِي الْقَطِيفَةِ حَتَّى مَاتَتْ وَهَرَبَا، فَأَتَى عُمَرُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أُمَّ وَرَقَةَ قَدْ قَتَلَهَا غُلامُهَا وَجَارِيَتُهَا وَهَرَبَا فَقَامَ عُمَرُ فِي النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَزُورُ أُمَّ وَرَقَةَ، يَقُولُ: «**انْطَلِقُوا نَزُورُ الشَّهِيدَةَ**»، وَإِنَّ فُلانَةَ جَارِيَتَهَا وَفُلانًا غُلامَهَا غَمَّاهَا ثُمَّ هَرَبَا، فَلا يُؤْوِيهِمَا أَحَدٌ، وَمَنْ وَجَدَهُمَا فَلْيَأْتِ بِهِمَا فَأُتِيَ بِهِمَا، فَصُلِبَا، فَكَانَا أَوَّلَ مَصْلُوبَيْنِ[1].

وفي رواية أبي داود قَالَ: وَكَانَتْ أُمُّ وَرَقَةَ قَدْ دَبَّرَتْ غُلامًا لَهَا وَجَارِيَةً، فَقَامَا إِلَيْهَا بِاللَّيْلِ، فَغَمَّاهَا بِقَطِيفَةٍ لَهَا، حَتَّى مَاتَتْ وَذَهَبَا، فَأَصْبَحَ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ هَذَيْنِ عِلْمٌ - أَوْ مَنْ رَآهُمَا - فَلْيَجِئْ بِهِمَا فَأَمَرَ بِهِمَا، فَصُلِبَا، فَكَانَا أَوَّلَ مَصْلُوبٍ بِالْمَدِينَةِ[2].

وبكى الصحابة رضي الله عنهم فقد أم ورقة، وأخذوا يسترجعون، ثم هنَّأوها بالشهادة، وما أعدَّ الله لها في مستقر رحمته، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: 100].

رحم الله أم ورقة، وأحسن نزلها، ورضي عنها.

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: من مسند القبائل/ باب: حديث أو ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري/ برقم: (26022).

(2) رواه: أبو داود/ كتاب: الصلاة/ باب: إمامة النساء/ برقم: (500).

17 - السيدة أم معبد

أشرف ضيف زارها

اسمها عاتكة، والدها خالد بن خليف، وحين أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى يثرب ليخلص من أذى المشركين ونكالهم به وبأصحابه ﷺ، خرج رسول الله ﷺ من مكة يصحبه أبو بكر الصِّدِّيق أول من آمن برسالته، وصدَّق بدعوته، فدخلا غاراً في جبل ثور، ودخل أبو بكر قبل النبي ﷺ حتى يتحرَّى له داخله لئلاً يجد شيئاً يؤذيه، فيتلقَّاه دونه، وبقيا في الغار ثلاثة أيامٍ.

وكان عبد الله بن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما يأتيهما بأخبار قريش وتحرُّكاتها، وكانت أخته أسماء - ذات النطاقين - رضي الله عنها تأتيهما بالطعامِ والشراب، فلما يمَّما شطر يثرب صحبهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكرٍ وعبدَ الله بن أريقط أحد الأدلة الذين يعرفون الطريق إليها، وكانت أشعة الشمس شديدة الوطأة، ورمال الصحراء تكاد تشتعل من فرط الحرارة.

وبعد أن قطع النبي ﷺ وصحبه بعض الطريق، لمحوا عن بُعد خيمة رابضة فوق الرمال الملتهبة، فاتَّجه موكبه الشريف إليها، وكانت الخيمة لأم معبد - وهي كنية عاتكة - وزوجها أبو معبد، نصباها على طريق الركبان لاستضافتهم، والعيش على ما يقدِّمونه من أُعطيات.

وقد روى البيهقي - رحمه الله تعالى - أن رسول الله ﷺ ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي، فمروا بخيمة أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية.

وكانت أم معبد امرأة بَرْزَةً[1]، جَلْدَةً[2]، تحتبي[3] بفناء الخيمة، فتطعم وتسقي من يمر بها، فسألوها: هل عندك لحمٌ أو لبنٌ يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك، وقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القِرى[4]، وإن القوم مُرْمِلُونَ مُسْنِتُونَ[5]، فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كِسْرِ[6] خيمتها، فقال: «**مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟**» فقالت: شاة خلَّفها الجَهْدُ[٧] عن الغنم، فقال رسول الله ﷺ: «**فَهَلْ فِيهَا مِنْ لَبَنٍ؟**» فقالت: هي أَجْهَدُ[٨] من ذلك، فقال ﷺ: «**أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا؟**» فقالت: إن كان بها حَلْبٌ فاحلُبْها؛ وفي رواية: قالت: نعم، بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حَلْباً فاحلُبْهَا.

بركة المصطفى ﷺ تصيبها

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها، وذكر اسم الله، ومسح ضرعها؛ وفي رواية: ظهرها؛ وذكر اسم الله، ودعا بإناءٍ لها يُرْبِضُ الرَّهْطَ[9] وتَفَاجَّتْ[10] واجترَّت؛ وفي رواية: درَّت؛ فحلب فيه ثجّاً[11] حتى ملأه، فسقى أم معبد، وسقى أصحابه، فشربوا عَلَلاً[12] بعد نَهَلٍ[13]، حتى إذا

---

(1) البَرْزَةُ: العفيفة الجليلة المسنَّة.
(2) الجَلْدَةُ: القوية.
(3) تحتبي: تجلس.
(4) ما أعوزناكم القِرى: أي ما أحوجناكم، بل كنا نضيفكم.
(5) مُرْمِلُونَ مُسْنِتُونَ: أي أصابتهم السنة الجدباء.
(6) الكِسْرُ: الجانب.
(7) خلَّفها الجَهْدُ: أي منعها الهزال عن لحوق الغنم إلى المرعى.
(8) أجهد: أضعف.
(9) يُرْبِضُ الرَّهْطَ: أي يُشبع الجماعة حتى يرووا من اللبن، فيثقلوا فيناموا.
(10) تَفَاجَّتْ: أي فتحت ما بين رجليها.
(11) الثَّجُّ: هو السيلان.
(12) شربوا عَلَلاً: أي الشرب الثاني.
(13) النَّهَلُ: الشرب الأول.

رووا شرب رسول الله ﷺ آخرهم، وقال: «**سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْباً**»، ثم حلب ﷺ فيه ثانياً عَوْداً على بَدْءٍ، وغادره[1] عندها؛ وفي رواية: قال لها ﷺ: «**ارْفَعِي هَذَا لأَبِي مَعْبَدٍ إِذَا جَاءَكِ**».

ثم ارتحلوا، فقلَّما لَبَّثَ[2] أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً[3] يَتَسَاوَكْنَ[4] هُزْلاً، مُخُّهُنَّ قليلٌ[5]، فلما رأى اللبن عجب، وقال: من أين هذا اللبن يا أم معبد، ولا حَلُوبَ في البيت، والشَّاء عازب[6] حِيَالٌ[7]؟! فقالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجلٌ مباركٌ، كان من حديثه كذا وكذا؛ وفي رواية: كيت وكيت، فقال: صفيه لي يا أم معبد.

وصفها الدقيق للنبي ﷺ

فقالت: رأيتُ رجلاً ظاهر الوَضَاءَةِ[8]، حَسَنُ الخَلْقِ، مَلِيحُ الوَجْهِ؛ لم تُعِبْهُ ثَجْلَةٌ[9]، ولم تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ[10]؛ قسيمٌ وسيمٌ[11]؛ في عينيه دَعَجٌ[12]، وفي أشفارِهِ وَطَفٌ[13]، وفي صوته صَحَلٌ[14]؛ أحور[15]،

---

(1) غادره: أي تركه.
(2) قلَّما لَبَّثَ: أي ما لبث إلا قليلاً.
(3) العجاف: الهُزلُ الشديد والضعف.
(4) يَتَسَاوَكْنَ: يتمايلن في المشي من ضعفهن.
(5) المُخُّ: الوَدَكُ الَّذي في العظم.
(6) الشَّاء عازب: أي بعيدة المرعى.
(7) حِيَال: أي لم تحمل.
(8) الوضاءة: الحَسْنُ.
(9) الثَّجْلَةُ: عظم البطن.
(10) الصَّعْلَةُ: صِغَرُ الرَّأْسِ.
(11) قسيمٌ وسيمٌ: صفتان تدلأن على الحسن.
(12) الدَّعَجُ: شدَّة سواد العين مع شدَّة بياضها.
(13) الوَطَفُ: كثرة شعر الحاجبين والعينين.
(14) الصَّحَلُ: البُحَّةُ في الصوت.
(15) الحَوَرُ: شدَّة بياض بياض العين، وشدَّة سواد سوادها، وهو المحمود المحبوب.

أكحل[1]، أَزَجُّ[2]، أَقْرَنُ[3]؛ في عنقه سَطَعٌ[4]، وفي لحيته كثاثةٌ[5]؛ إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلَّم سما وعلاه البهاء؛ حلو المنطق، كلامه فَصْلٌ، لا نَزْرٌ[6]، ولا هَذْرٌ[7]، كأن منطقه خَرَزَاتُ نَظْم يَتَحَدَّرْنَ؛ أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحسنه من قريب؛ رَبْعَةٌ[8]، لَا تَشْنَؤُهُ عينٌ من طولٍ[9]، ولا تقتحمه عينٌ من قِصَرٍ[10]؛ غصنٌ بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قَدّاً، له رفقاء يَحُفُّون[11] به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره؛ مَحْفُودٌ[12]، مَحْشُودٌ[13]؛ لا عابس، ولا مُفَنَّد[14].

فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه؛ وفي رواية: لو رأيته لاتَّبعته؛ ثم قال: والله لأجهدنَّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

هجرتها للمدينة وإسلامها

ثم إن أم معبد هاجرت مع زوجها إلى النبي ﷺ، وأسلما وبايعاه،

---

(1) الكَحَلُ: سوادٌ في أجفان العين خلقة.
(2) الأزَجُّ: دقيق طرف الحاجبين.
(3) الأقرن: أي مقرون الحاجبين، أي مُلْتقى طرفيهما.
(4) السَّطَعُ: ارتفاع العُنُق وطوله.
(5) الكثاثة: الاجتماع والكثرة.
(6) النَّزْرُ: القليل.
(7) الهَذْرُ: الكثير بلا فائدة.
(8) الرَّبْعَةُ: وسيط القامة.
(9) لا تَشْنَؤُهُ عينٌ من طولٍ: أي لا يُبْغَضُ لفرط طوله.
(10) لا تقتحمه عينٌ من قِصَرٍ: أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً.
(11) يَحُفُّونَ: أي يحيطون به.
(12) مَحْفُودٌ: مَخْدُومٌ.
(13) مَحْشُودٌ: أي عنده حَشْدٌ، وهم الجماعة.
(14) المُفَنَّد: الذي يُكثر تخطئة محدِّثه، أو تكذيبه، أو لومه.

وسُمِعَ بمكة صوتٌ عالٍ، سمعه أهلها، ولا يدرون مصدره، ولا يعرفون صاحب ذلك الصوت، وهو يقول:

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ قَالاَ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ[1]

هُمَا نَزَلَاهَا بِالهُدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ ... فَقَدْ فَازَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

فَيَا لِقُصَيٍّ مَا زَوَى اللهُ عَنْكُمُ ... بِهِ مِنْ فَخَارٍ لاَ يُبَارَى وَسُؤْدَدِ[2]

لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَقَامُ فَتَاتِهِمْ ... وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِيْنَ بِمَرْصَدِ

سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا ... فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ

دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ ... لَهُ بِصَرِيحٍ، ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ[3]

فَغَادَرَهَا وَهْناً لَدَيْهَا لِحَالِبٍ ... يُرَدِّدُهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

فلما سمع حسان بن ثابت رضي الله عنه ما قيل من الشعر في مكة قال يجاوب الهاتف دون أن يعرف من هو:

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ غَابَ عَنْهُمُ نَبِيُّهُمْ ... وَقُدِّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي

تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ ... وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ

هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ رَبُّهُمْ ... وَأَرْشَدَهُمْ، مَنْ يَتْبَعِ الحَقَّ يَرْشُدِ

وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلَّالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا ... عَمًى وَهُدَاةٌ يَهْتَدُوْنَ بِمُهْتَدِ

لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ ... رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ ... وَيَتْلُو كِتَابَ اللهِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ

وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ ... فَتَصْدِيقُهَا فِي اليَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الغَدِ

لِيَهْنَ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَدِّهِ ... بِصُحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ[4]

---

(1) قالا: من القيلولة؛ وهي النوم عند الظهيرة.

(2) زوى: قبض.

(3) حائل: لم تحمل، ضَرَّةُ: فاعل تحلّبت، الصَّريح: اللبن الخالص.

(4) الجَدُّ: الحظُّ.

لا جرم[1] لقد أَجَدْتِ يا أم معبد في وصف رسول الله ﷺ فأحسنت كل الإحسان، حتى بَذَذْتِ كل الواصفين، وفُقْتِ أهل البيان الفصيحين.

ولما قيل لها: يا أم معبد، ما بال صفتك لرسول الله ﷺ أشبه به من سائر من وَصَفَه من الرجال؟ قالت: أما علمتم أن نظر المرأة أشفى من نظر الرجل إلى الرجل؟.

والغريب، بل العجيب أن هذا الوصف الدقيق المبدع من أم معبد لرسول الله ﷺ تيسَّر لها بعد جلسة واحدة معه، لأن زوجها أتى عقب انصراف الموكب النبوي عن خيمتها، وطلب من أم معبد أن تصفه له، وما أحسب جودة وصفها إلا بركة من بركاته ﷺ أمدَّ بها الله لسانها لأنها اجتهدت في إبراز محاسن حبيبه ﷺ ومحامده، فجزاها الله كل خير.

وقيل: إن عليَّ بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه - وهو أمير الفصاحة والبيان، سئل: ما أبلغ وصفٍ قيل في رسول الله ﷺ؟ فأجاب عليٌّ رضي الله عنه قائلاً: أجمل وصفٍ وأبلغه قيل في رسول الله ﷺ ما ذكرته أم معبد الخزاعية! فقيل له: وكيف لم يصف أحدٌ النبي ﷺ كما وصفته أم معبد؟ فردَّ رضي الله عنه بحكمته المعهودة وإجابته السديدة: لأن النساء يصفن بأهوائهنَّ[2]، فيُجِدْنَ في صفاتهنَّ.

دفاعها عن رسول الله ودينه

ولما علمت قريش أن رسول الله ﷺ نزل مع صاحبه أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ضيفين على أم معبد في خيمتها، بعثت نفراً من سفهائها في أثرهما، فلما وصلوا إليها فوجئت أم معبد بمجيئهم، ورأت الشر يتطاير من أعينهم، فقال قائلهم: أين محمد يا أم معبد؟.

فردَّت - وهي تخشى عليه منهم - بقولها: أَوَ تسألوني عن أمرٍ ما

---

(1) لا جَرَمَ: أي حقاً.

(2) المراد بأهوائهنَّ هنا: بعواطفهنَّ، وانفعالاتهنَّ النفسية.

سمعت به قبل عامي هذا؟ فقالوا: إنك تعلمين أين ذهب! فقالت: ما أدري ما تقولون.

ولما ألحُّوا في سؤالها، واستبانت الغدر في وجوههم، قالت لهم: لئن لم تنصرفوا عني حالاً، لأصرخنَّ قومي عليكم، وعندها لن تبرحوا مقامكم هذا سالمين.

وحين تبادلوا الرأي آثروا الرجوع إلى قومهم، لأنهم أيقنوا أن أم معبد عزيزة في قومها، وأن صوتاً واحداً تطلقه كافٍ لنجدتها، ورضوا من الغنيمة بالإياب، فهم غير مستعدين لقتالٍ قد يخسرون رؤوسهم فيه، وانقلبوا إلى قومهم صاغرين.

لقد شربت أم معبد وزوجها أبو معبد اللبن الذي حلبه رسول الله ﷺ بيديه الشريفيتين، ولم يعلما أن اللبن لم يدخل جوفيهما وحده، بل تسلَّل معه نور الإيمان، وسرى في عروقهما كما سرى اللبن، وكما منحهما اللبن الشبع البدني منحهما الإيمانُ الارتواءَ الروحيَّ فأصبحا مسلمين.

فما أعظم الخير الذي أصابه أهل الخيمة من الضيف الكريم، والرحمة المهداة إلى العالمين!!.

رحم الله أم معبد، وأبا معبد، ورضي عنهما، وجزاهما خير ما جزى به عباده الصالحين!!.



18 - السيدة خولة بنت ثعلبة

ابنة الأنصار

اسمها خولة، والدها ثعلبة بن مالك بن أصرم، وزوجها أوس بن الصامت أخو عُبَادَةَ بن الصامت نقيب الأنصار، وزوج أُمِّ حَرَامِ بنت مِلْحان شهيدة البحر.

كانت خولة وزوجها أوس من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلما على يد مصعب بن عمير سفير رسول الله ﷺ إلى أهل المدينة.

وخولة وزوجها من الأنصار الذين قال فيهم رسول الله ﷺ فيما روي عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ - أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ -»**[1].

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَال: سَمِعْتُ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: **«هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟»** قَالُوا: «لا، إلا ابْنَ أُخْتٍ لَنَا» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ»**، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ قُرَيْشًا حَدِيثُ عَهْدُهُمْ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟»** قَالُوا: بَلَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا -**

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: التمني/ باب: ما يجوز من اللو/ برقم: (6703).

أَوْ شِعْبًا - لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ - أَوْ شِعْبَهُمْ -» قَالَ أَبُو عِيسَى التِّرمذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

وَحَدَّثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، عَنْ عَبْدِ الْمُهَيْمِنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«الأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ؛ وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ اسْتَقْبَلُوا وَادِيًا - أَوْ شِعْبًا - وَاسْتَقْبَلَتْ الأَنْصَارُ وَادِيًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ، وَلَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ»**[2].

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»** قَالَ أَبُو عِيسَى التِّرمذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[3].

وَحَدَّثَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الأَنْصَارَ عَيْبَتِي، الَّتِي أَوَيْتُ إِلَيْهَا؛ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَدَّوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ»**[4].

وَحَدَّثَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ

---

(1) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: في فضل الأنصار وقريش/ برقم: (3886).
(2) رواه: ابن ماجه/ كتاب: المقدمة/ باب: فضل الأنصار/ برقم: (160).
(3) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: في فضل الأنصار وقريش/ برقم: (3842).
(4) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: مسند أنس بن مالك/ برقم: (12189).

قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الأَنْصَارِ: «**لا يُحِبُّهُمْ إلا مُؤْمِنٌ، وَلا يُبْغِضُهُمْ إلا مُنَافِقٌ؛ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**» قَالَ شُعْبَةُ: قُلْتُ لِعَدِيٍّ: سَمِعْتَهُ مِنَ الْبَرَاءِ؟ قَالَ: إِيَّايَ حَدَّثَ[1].

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الأَنْصَارِ**»[2].

خولة والظهار

وتقول خولة رضي الله عنها: حدَّثنا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «**مَنْ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ، جَمَعَ اللهُ لَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»، فقلنا له: «ما هي يا رسول الله؟» قال ﷺ: «**قَلْباً شَاكِراً، وَلِسَاناً ذَاكِراً، وَدَاراً قَصْداً**[3]**، وَزَوْجَةً صَالِحَةً**».

ولما كبر أوس زوج خولة ساء خُلُقه قولاً وعملاً، حتى راح يضربها، وغضب منها ذات يوم فقال لها: أنت عليَّ كظهر أمي، وكانوا في الجاهلية يعدُّون ذلك طلاقاً، ثم خرج من البيت مغضباً.

وعاد أوس بعد قليل وبيده تمراتٌ، فقال لها: خذي، فاطعمي يا خولة، فقالت: أنا بحمد الله لست جائعة، فقال: آكلها أنا.

ولما دعاها إلى فراشه أعرضت ونأت ورفضت وقالت له: إني محرَّمة عليك، لقد ظاهرتني، وقلت لي: أنت عليَّ كظهر أمي! أنت عليَّ كظهر أمي!، والله لا تخلص إليَّ وقد قلتَ ما قلتَ حتى يحكم الله ورسوله ﷺ فينا.

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الإيمان/ باب: الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان/ برقم: (110).

(2) رواه: مسلم/ كتاب: الإيمان/ باب: الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان/ برقم: (108).

(3) القَصْدُ: الوسط بين الطرفين.

ثم تركته وانطلقت إلى رسول الله ﷺ في بيته، ولندعها تروي لنا الحكاية كلها كما رواها أبو داود في سننه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْظَلَةَ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلام، عَنْ خُوَيْلَةَ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: ظَاهَرَ مِنِّي زَوْجِي أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَشْكُو إِلَيْهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُجَادِلُنِي فِيهِ وَيَقُولُ: «**اتَّقِي الله، فَإِنَّهُ ابْنُ عَمِّكِ**».

تَقُولُ خَوْلَةُ: فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ [المجادلة: 1 – 4].

فَقَالَ: «**يُعْتِقُ رَقَبَةً**» قَالَتْ: لا يَجِدُ، قَالَ: «**فَيَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَام قَالَ: «**فَلْيُطْعِمْ سِتِّين مِسْكِينًا**» قَالَتْ: مَا عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ، قَالَتْ: فَأُتِيَ سَاعَتَئِذٍ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنِّي أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: «**قَدْ أَحْسَنْتِ، اذْهَبِي فَأَطْعِمِي بِهَا عَنْهُ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَارْجِعِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ**» قَالَ: وَالْعَرَقُ سِتُّونَ صَاعًا، قَالَ أَبُو دَاوُد: فِي هَذَا إِنَّهَا كَفَّرَتْ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْتَأْمِرَهُ، قَالَ أَبُو دَاوُد: «وَهَذَا أَخُو عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ»[1].

---

(1) رواه: أبو داود / كتاب: الطلاق/ باب: في الظهار/ برقم: (1893).

سبحان السميع البصير

تقول الشاهدة الأولى في هذه القضية أم المؤمنين عَائِشَةُ رضي الله عنها: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لأَسْمَعُ كَلامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ، فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ عليه السلام بِهَؤُلاءِ الآيَاتِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

وروى الإمام أحمد عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: وَاللهِ فِيَّ، وَفِي أَوْسِ بْنِ صَامِتٍ أَنْزَلَ اللهُ عز وجل صَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ.

قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ وَضَجِرَ فِعْلُهُ قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا فَرَاجَعْتُهُ بِشَيْءٍ فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي.

قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ، فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمِهِ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ فَإِذَا هُوَ يُرِيدُنِي عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: كَلا، وَالَّذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ، لا تَخْلُصُ إِلَيَّ، وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِهِ.

قَالَتْ: فَوَاثَبَنِي، وَامْتَنَعْتُ مِنْهُ، فَغَلَبْتُهُ بِمَا تَغْلِبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ، فَأَلْقَيْتُهُ عَنِّي؛ قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ جَارَاتِي، فَاسْتَعَرْتُ مِنْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لَقِيتُ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ ﷺ مَا أَلْقَى مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«يَا خُوَيْلَةُ، ابْنُ عَمِّكِ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَاتَّقِي اللهَ فِيهِ»**.

قَالَتْ: فَوَاللهِ، مَا بَرِحْتُ، حَتَّى نَزَلَ فِيَّ الْقُرْآنُ، فَتَغَشَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ لِي: **«يَا خُوَيْلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكِ وَفِي**

---

(1) رواه: ابن ماجه / كتاب: الطلاق/ باب: في الظهار/ برقم: (2053).

صَاحِبِكِ»، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [المجادلة: 1 – 4].

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً»** قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتِقُ قَالَ: **«فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»** قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ، مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ قَالَ: **«فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ»** قَالَتْ: قُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا ذَاكَ عِنْدَهُ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ**[1] **مِنْ تَمْرٍ، مُرِيهِ فَلْيَأْتِ أُمَّ الْمُنْذِرِ بِنْتَ قَيْسٍ فَلْيَأْخُذْ مِنْهَا شَطْرَ وَسْقٍ تَمْراً، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى سِتِّينَ مِسْكِيناً»** وَنَهَضَتْ خَوْلَةُ وَقَالَتْ: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: **«قَدْ أَصَبْتِ، وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّكِ خَيْرًا»** قَالَتْ: فَفَعَلْتُ[2].

وهرعت خولة إلى بيتها، فوجدت أوساً زوجها ينتظر أمام الباب، فلما رآها مقبلة، وقف وقال: ما وراءك يا ابنة العم؟ قالت: خيراً، أمرني رسول الله ﷺ أن آمرك أن تأتي أم المنذر بنت قيس فتأخذ منها شطر وسقٍ تمراً فتتصدق به على ستين مسكيناً.

---

(1) قَالَ سَعْدٌ: الْعَرَقُ: الصَّنُّ.

(2) رواه: أحمد/ كتاب: من مسند القبائل/ باب: حديث خولة بنت ثعلبة/ برقم: (26056).

وانطلق أوس يعدو إلى أم المنذر ثم جاء بالتمر يحمله على ظهره، وجعل يعطي مُدَّين لكل مسكين.

أمير المؤمنين يستمع لنصحها

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دخلت عليه خولة يكرمها، ويقول: قد سمع الله تعالى لها.

و-خرج عمر ذات ليلة من المسجد ومعه الجارود بن المعلَّى فرأى خولة في الطريق، فقال: السلام عليك يا أم عامر، فردَّت عليه السلام، ثم قالت: هيهات يا عمر ! عهدتك وأنت تُسمَّى: «عُمَيْراً» في سوق عكاظ، ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيت: «عمر»، ثم أصبحت أمير المؤمنين، فاتَّقِ الله في الرعية؛ واعلم أنه من خاف الوعيد، قرَّب الله عليه البعيد؛ ومن خاف الموت، خشي الفوت؛ ومن أيقن بالحساب، خاف العذاب.

فقال لها الجارود: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال له عمر: دعها، أما تعرفها؟ هذه خولة، التي سمع الله قولها من فوق سبع سمٰوات، وعمر أحقُّ، والله، أن يسمع لها ولم يدعْها عمر حتى قضى حاجتها، ثم كانت هي التي انصرفت عنه.

وقال عمر لمن معه: والله، لو لم تنصرف عني إلى الليل ما أنصرفت عنها، إلا أن تحضر صلاة الفجر، فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها، رحم الله عمر الذي يتقبَّل النُّصح، ورحم الله خولة الناصحة، وجعلهما في نزل البررة والمتَّقين.



19 - السيدة أم سعد الأنصارية

ابنة المؤثرين على أنفسهم

اسمها جميلة، والدها سعد بن الربيع، أنصاريٌّ، خزرجيٌّ، شهد العقبة الثانية، وكان أحد النقباء الاثني عشر الذين اختيروا يومئذٍ، وتمَّت مبايعته للنبي ﷺ على نصرته مع وفد الأنصار، والدتها خلاَّدة بنت أنس بن سنان، من بني ساعدة.

وكانت جميلة تُكنى بأم سعد، وقد عُرفت بها أكثر من اسمها، كان والدها سعد بن الربيع جَمَّ الثراء، كثير السَّخاءِ، حتى بات يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

وحين آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في المدينة، كان اختيار عبد الرحمن بن عوف ليكون أخاً لسعد بن الربيع، روى إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَآخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ.

فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتْ الأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ اثْنَتَانِ فَانظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ، وَقَضَتْ عِدَّتَهَا، تَزَوَّجْتَهَا فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ.

كان عبد الرحمن من أكثر المهاجرين مالاً، لكنه تركه كله في مكة، وهاجر مع أصحابه حباً لله ولرسوله ﷺ، ولم يكن ليرضى أن يكون كلاً على أحدٍ، لذلك كان ردُّه على كرم سعد بن الربيع بقوله: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ ومالك، ولكن دُلَّني على السوق، فإن لي خبرةً في التجارة، فإني أحب أن أكسب رزقي من عمل يدي».

إن عبد الرحمن بن عوف رجلٌ تاجرٌ، وله خبرة جيدة في البيع والشراء، ولما دخل السوق باع واشترى حتى ربح مالاً، ويتابع راوي الحديث القصة، فيقول: فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إلا يَسِيرًا مِنْ زَمَنٍ حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْيَمْ؟**» قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: «**مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟**» قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: «**أَوْلِمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَلَوْ بِشَاةٍ**»[1].

وثابر عبد الرحمن على الاتِّجار، حتى أصبح من أهل اليسار، فما ألذَّ الطعام الذي يأكله المرء من عمل يده، وما أشهاه! ولن يطيب طعامٌ إلاَّ إذا خالطه عرق الجبين، ولن يلذَّ إذا لم يغمس بجهودٍ من أيدي العاملين، ولئن عَرَضَ سعدٌ سخاءه، فإن عبد الرحمن أبدى عفَّته، وأبى أن يأكل إلا من سعي نفسه، وجهد يديه، ولكم سُرَّ رسول الله ﷺ بما فعله الأخوان، سعد وعبد الرحمن اللذان ضنَّ بمثلهما الزمان!!.

في غزوة أحد

ويوم التقى الجمعان في بدر، جمع المسلمين وجمع المشركين، أحرز المسلمون أغلى انتصار، وتلقَّت قريش أكبر اندحار، بعد أن حصدت السيوف المؤمنة رؤوس زعمائها، وأفضت بأشرافها إلى قعر القليب، وبئس المصير.

غير أن قريشاً لم تثنها الهزيمة عن الاستعداد، وتأليب القبائل، للثأر لقتلاها، والانتقام لهم، وكانت أُحُدٌ الموعدَ.

ولما علم رسول الله ﷺ بصنيع قريش، وتحالفها ضد الإسلام، شاور أصحابه في الخروج للقائها عند أُحد، ثم خرج على رأس ألف مقاتل، ولكن

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المناقب/ باب: إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار/ برقم: (3497).

رأس المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول انسحب بثلاثمائة من أهل الريب والنفاق، وتبعهم أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام وقال لهم: أُذكِّركم الله، لا تخذلوا قومكم ونبيكم قالوا له: لو نعلم أنكم تقاتلون ما تركناكم، ولكن لا نرى أن يكون قتال، ولما يئس أبو جابر من إقناعهم قال لهم: أبعدكم الله، يا أعداء الله والدين، فسوف يغني الله عنكم ورسوله ومن اتَّبعه من المؤمنين الصادقين!!.

خرجت قريش بعددها وعدتها وعتادها في ثلاثة آلاف مقاتل منهم مئتا فارسٍ من فرسانها الأشداء، وكان على الفرسان خالد بن الوليد قبل أن يهديه الله إلى الإسلام، وأمر رسول الله ﷺ رماة المسلمين بالوقوف في أعلى الجبل ليحموا ظهور إخوانهم المقاتلين، وسمَّى عبد الله بن جُبير أميراً لهم، وأوصاهم ألاَّ يبرحوا أماكنهم مهما يكن سير القتال، وكان مصعب بن عُمير - سفير الإسلام إلى المدينة - يحمل لواء المسلمين.

ولما حمي الوطيس أخذ المشركون يلوذون بالفرار تاركين وراءهم الغنائم والأسلاب، وصاح بعض الرماة فوق الجبل: «الغنيمة، الغنيمة» وعند ذلك ترك الرماة مواقعهم التي أمرهم رسول الله ﷺ أن يثبتوا فيها، دون أن يأبهوا لتحذير أميرهم لهم من عاقبة ذلك، وكان خالد بن الوليد أمير فرسان المشركين يبصر ما صنع رماة المسلمين، فانقضَّ عليهم بجنوده من خلفهم، وتمكَّن من القضاء على كثيرٍ منهم.

وكانت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب التي خرجت مع عددٍ من نساء المشركين لتشجيع رجالهنَّ على القتال وبثّ الحماس في نفوسهم، قد وعدت عبداً حبشياً يقال له: «وحشيُّ بن حرب» بجائزة مجزية، إن قتل لها حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ بأبيها وأخيها وعمها الذين صُرعوا يوم بدرٍ، وباتوا من سكان القليب.

وأخذ وحشيٌّ يراقب حمزة، وينظر ما يفعله بأعداء الله والدين،

وأمسك حربته بعناية واضحة، حتى إذا اقتنع بوصولها إلى غريمه حيث يقف سدَّدها فاستقرت في جسد حمزة وأعدمته الحياة.

وانطلق وحشي إلى حيث سقط أسد الله وأسد رسوله، ولما تأكد من وفاته، انتزع حربته، وراح إلى هند ليبشرها بما فعله، وجاءت هند كالنمرة الجائعة منذ أمدٍ طويل، واستخرجت كبد حمزة بخنجرها، وقضمت مضغةً منها فلاكتها ثم رمتها لأنها لم تُسِغْهَا، وأخذت تمثِّل بجثته فجدعت أنفه وصَلَمَتْ أُذنيه، وفعلت صواحبها كما فعلت، وصنعن من الآذان والأنوف أقراطاً وأساور.

شهداء أحد

وتوالى سقوط الشهداء، فقتل حامل لواء المسلمين مصعب بن عمير، وسقط النقيب عبد الله بن عمرو بن حرام وصهره عمرو بن الجموح، واستُشهد حنظلة الغسيل، وأنس بن النضر وهو عمُّ أنس بن مالك رضي الله عنهم.

ودبَّت الفوضى في صفوف المسلمين حين صاح أحد المشركين وقال: لقد قُتل محمد، وكان ابن قميئة – لعنه الله والملائكة والناس أجمعون – قد نال من رسول الله ﷺ، فكُسرت رُباعيته، وشُجَّ وجهه الشريف، وشُقَّت شفته، وسال الدم على وجهه الشريف، فتبادر الصحابة الكرام إليه، فأبو عبيدة بن الجراح ينتزع من وجنته الشريفة حلقتين من حلقات المِغْفَر، وآخر يلعق الدم عن أنضر وجهٍ، وطلحة بن عبيد الله ينحني تحت جسده الشريف ثم ينهض به.

روى الترمذيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: كَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانِ فَنَهَضَ إِلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ تَحْتَهُ طَلْحَةَ فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

«**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»، قَالَ أَبُو عِيسَى التِّرمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»[1].

وفي غمرة حزن رسول الله ﷺ على عمه حمزة وشهداء المسلمين، والآلام التي أصابته، لم ينسَ النقيب الجواد الذي لم يعجبه أن يجود بماله، حتى أتبعه بنفسه، وتلك أقصى غايات الجود.

رَوَى مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: بَعَثَنِي إِلَيْكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لآتِيَهُ بِخَبَرِكَ قَالَ: فَاذْهَبْ إِلَيْهِ، فَأقرأْهُ مِنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنِّي قَدْ طُعِنْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ طَعْنَةً، وَأَنِّي قَدْ أُنفِذَتْ مقَاتِلِي، وَأَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لا عُذْرَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ إِنْ قُتِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ حَيٌّ[2].

وفي رواية: أن أُبيَّ بن كعبٍ خرج يبحث في القتلى عن سعد بن الربيع، فوجده في الرمق الأخير، وأنفاسه تكاد تتوقَّف، قال له أُبيٌّ: لقد بعثني رسول الله ﷺ لأنظر له إذا كنت في الأحياء أم في الأموات؟ فردَّ عليه سعد قائلاً: أنا في الأموات يا أخي، وأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى به نبياً عن أُمته، وأبلغ قومك مني السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عينٌ تَطْرِفُ. . . ثم فاضت روح سعد بن الربيع إلى بارئها.

---

(1) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: مناقب طلحة بن عبيد الله/ برقم: (3671).

(2) رواه: مالك/ كتاب: الجهاد/ باب: الترغيب في الجهاد/ برقم: (884).

ورجع أُبيٌّ بن كعب إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما قال سعد بن الربيع، فقال رسول الله ﷺ: **«رَحِمَهُ اللهُ فَقَدْ نَصَحَ للهِ وَرَسُولِهِ حَيّاً وَمَيْتاً»**.

ابنة الشهيد اليتيمة

ومضى سعد ليتقلَّب في رحمة الله، وكيف لا وقد جاد بالمال والنفس في سبيل الله؟! وترك من خلفه امرأته خلاَّدة بنت أنس حاملاً وابنة له، ولما حانت ولادة الزوجة وضعت طفلة حسناء أسمتها جميلة بنت سعد وكنَّتها أم سعد، ولكن من لهذه الأرملة ولهاتين اليتيمتين؟ لابدَّ من جوادٍ سخيٍّ يكافئ راعيهن في جوده وسخائه بل يزيد، ذلكم هو الصِّدِّيق رضي الله عنه أسخى الأسخياء في الإسلام بعد رسول الله ﷺ، فَبِتْنَ في كَنَفِهِ ورعاهنَّ أحسن رعاية، وقام بأمرهن أحسن قيام.

وذات يومٍ مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأى إحدى البنتين مع أبي بكر فسأله قائلاً: من تكون هذه الفتاة يا أبا بكرٍ؟ وردَّ الصِّدِّيق الصادق رضي الله عنه: هذه ابنة رجل خير مني ومنك، نقيب الخزرج، شهد بدراً، واستُشهد في أُحُدٍ، إنها بنت سعد بن الربيع.

عدل الإسلام ورحمته

وبعد استشهاد سعد بقليل جاء أخوه إلى أرملة سعد وابنتيه وأخذ كل مال سعد دون أن يترك لهنَّ شيئاً، على عادة الجاهلية التي لا تورِّث الإناث.

ومضت الأرملة وابنتاها إلى رسول الله ﷺ وأخبرته بما فعل حموها، فقال لها رسول الله ﷺ: **«يَقْضِي اللهُ مِنْ أَجْلِكِ»**، وانتظرت خلاَّدة أن ينصفها رب العزة العادل الذي لا يُظلم عنده أحدٌ، فقد جاء في صحيح مسلم عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا)، وفي رواية أخرى عَنْ أَبِي

قِلابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلا تَظَالَمُوا)[1].

ولم يلبث أن نزل قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: 7 – 11].

وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالاً، وَلا تُنْكَحَانِ إِلا وَلَهُمَا مَالٌ، قَالَ: «**يَقْضِي اللهُ فِي ذَلِكَ**» فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَمِّهِمَا فَقَالَ: «**أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ**» قَالَ أَبُو عِيسَى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، لا نَعْرِفُهُ

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: تحريم الظلم/ برقم: (4674).

إِلا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، وَقَدْ رَوَاهُ شَرِيكٌ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ»[1].

وهكذا أعطى رسول الله ﷺ كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه كما أمره الله تعالى، فللمرأة نصيبٌ مفروضٌ، وللبنات نصيبٌ مفروضٌ، وما تبقَّى فليأخذه العم.

حافظة القرآن

وعكفت أم سعد على حفظ كتاب الله حتى أجادته، أخرج أبو داود في سننه فقال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْمَعْنَى، قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ قَالَ: كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى أُمِّ سَعْدٍ بِنْتِ الرَّبِيعِ، وَكَانَتْ يَتِيمَةً فِي حِجْرِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فَقَرَأْتُ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء: 33]، فَقَالَتْ: لا تَقْرَأْ: وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ، إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حِينَ أَبَى الإِسْلامَ، فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَلا يُوَرِّثَهُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلام أَنْ يُؤْتِيَهُ نَصِيبَهُ، فَمَا أَسْلَمَ حَتَّى حُمِلَ عَلَى الإِسْلامِ بِالسَّيْفِ[2].

وقد شاركت أم سعد بجمع القرآن مع الحفَّاظ والقرَّاء الأربعة رضي الله عنهم، فأكرم بها من فضيلة! ودخل عليها ذات يوم زيد بن ثابت أحد أولئك الأربعة فقال: «يا أم سعد إن كنت تريدين أن تَكَلَّمي في ميراثك فتكلَّمي، فإن عمر قد وَرَّثَ اليوم الحَمْلَ» وقد كانت في بطن أمها يوم استُشهد أبوها سعد بن الربيع.

---

(1) رواه: الترمذي/ كتاب: الفرائض عن رسول الله ﷺ/ باب: ما جاء في ميراث البنات/ برقم: (2018).

(2) رواه: أبو داود/ كتاب: الفرائض/ باب: نسخ ميراث العقد بميراث الرحم/ برقم: (2534).

رحم الله سعد بن الربيع وابنته أم سعد، وآله أجمعين، ورحم الله رجال الأنصار ونساء الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، فأولئكم الأخيار، الطيبون الأبرار، وجمعنا الله بهم في خير دار!!.



20 - السيدة أم عَمَارة

نسبها، وشهودها العقبة الثانية

اسمها نُسيبة، والدها كعب بن عمرو بن عوف، من بني مازن بن النجار، والدتها الرباب بنت عبد الله، تزوَّجت في الجاهلية زيد بن عاصم فولدت له عبد الله وحبيباً، فكانا من أصحاب رسول الله ﷺ، ولما مات زوجها خلفه عليها غزية بن عمرو فأنجبت له تميماً وخولة.

كانت نُسيبة من السابقين الأوائل إلى الإسلام، فقد أسلمت على يد مصعب بن عمير ونذرت نفسها هي وزوجها غزية وولداها عبد الله وحبيب ابنا زيد لرفع راية الإسلام، وإعلاء كلمة الله، وجادوا بالكثير من دمائهم في سبيل هذا الهدف النبيل.

ولم يكن خروج أم عَمَارة إلى ساحات القتال ضد المشركين من أجل سقي العطاش وتضميد الجراح، بل من أجل إرواء سيفها من دماء الكفار، والذود عن رسول الله ﷺ ضد الأخطار، والعود بأكاليل الغار، بعد تحقيق الانتصار، فبوركت من شُجاعة وقفت نفسها لتحمي الذمار!!.

وحين خرج مصعب بن عُمَيْر من المدينة في موسم الحج لموعده مع رسول الله ﷺ في العقبة أوسط أيام التشريق، كان يصحبه ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من مؤمني الأنصار.

وكانت المرأتان هما: أم عَمَارة نُسيبة بنت كعب المازنية، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي.

روى الإمام أحمد حديث العقبة عن كعب بن مالك بكل ما جرى ليلتها من تفصيل فقال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

فَحَدَّثَنِي مَعْبَدُ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبِ بْنِ الْقَيْنِ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، أَنَّ أَخَاهُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ كَعْبٍ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ الأَنْصَارِ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، وَكَانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا قَالَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا.

فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا: يَا هَؤُلاءِ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللهِ رَأْياً وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَدْرِي تُوَافِقُونِي عَلَيْهِ أَمْ لا قَالَ: قُلْنَا لَهُ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: قَدْ رَأَيْتُ أَنْ لا أَدَعَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ - يَعْنِي: الْكَعْبَةَ - وَأَنْ أُصَلِّيَ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقُلْنَا: وَاللهِ، مَا بَلَغَنَا أَنَّ نَبِيَّنَا يُصَلِّي إِلَّا إِلَى الشَّامِ، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نُخَالِفَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُصَلِّي إِلَيْهَا قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: لَكِنَّا لا نَفْعَلُ، فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ.

قَالَ أَخِي: وَقَدْ كُنَّا عِبْنَا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ وَأَبَى إِلَّا الإِقَامَةَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْأَلْهُ عَمَّا صَنَعْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَإِنَّهُ وَاللهِ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ خِلافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ.

قَالَ: فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكُنَّا لا نَعْرِفُهُ وَلَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَقِيَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟ قَالَ: قُلْنَا: لا، قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ كَانَ لا يَزَالُ يَقْدَمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا، قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ.

قَالَ: فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ جَالِسٌ فَسَلَّمْنَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: **«هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟»** قَالَ: نَعَمْ، هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَهَذَا

كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**الشَّاعِرُ؟**»، قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي خَرَجْتُ فِي سَفَرِي هَذَا وَهَدَانِي اللهُ لِلإِسْلامِ فَرَأَيْتُ أَنْ لا أَجْعَلَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ، فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ خَالَفَنِي أَصْحَابِي فِي ذَلِكَ حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَقَدْ كُنتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا**».

قَالَ: فَرَجَعَ الْبَرَاءُ إِلَى قِبْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى مَعَنَا إِلَى الشَّامِ، قَالَ: وَأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى مَاتَ وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ.

قَالَ وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا.

فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ معنا، فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ وَكَانَ نَقِيبًا.

قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلاً وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ: نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ

عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ إلا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَثَّقُ لَهُ.

فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّم فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ - قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ: الْخَزْرَجَ، أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا - إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ.

قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَلا وَدَعَا إِلَى اللهِ عز وجل وَرَغَّبَ فِي الإِسْلامِ قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**».

قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي: الْعُهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟.

قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**».

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ**»، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلاثَةٌ مِنَ الأَوْسِ.

وَأَمَّا مَعْبَدُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنِي فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَخِيهِ عَنْ أَبِيهِ كَعْبِ بْنِ

مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ.

فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ[1] هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةُ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَزَبُّ الْعَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، اسْمَعْ أَيْ عَدُوَّ اللهِ أَمَا وَاللهِ لأَفْرُغَنَّ لَكَ**».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْفَعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ**» قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ**» قَالَ: فَرَجَعْنَا فَنِمْنَا، حَتَّى أَصْبَحْنَا.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَتْ عَلَيْنَا جُلَّةُ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَاؤُونَا فِي مَنَازِلِنَا، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا وَتُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَاللهِ إِنَّهُ مَا مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنْكُمْ، قَالَ: فَانْبَعَثَ مَنْ هُنَالِكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاللهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ، وَمَا عَلِمْنَاهُ، وَقَدْ صَدَقُوا لَمْ يَعْلَمُوا مَا كَانَ مِنَّا، قَالَ: فَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ.

قَالَ: وَقَامَ الْقَوْمُ وَفِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ وَعَلَيْهِ نَعْلانِ جَدِيدَانِ، قَالَ: فَقُلْتُ كَلِمَةً كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُشْرِكَ الْقَوْمَ بِهَا فِيمَا قَالُوا: مَا تَسْتَطِيعُ يَا أَبَا جَابِرٍ، وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا أَنْ تَتَّخِذَ نَعْلَيْنِ مِثْلَ نَعْلَيْ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ فَسَمِعَهَا الْحَارِثُ فَخَلَعَهُمَا ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَيَّ، فَقَالَ: وَاللهِ

---

(1) الْجُبَاجِبُ: الْمَنَازِلُ.

لَتَنْتَعِلَنَّهُمَا، قَالَ: يَقُولُ أَبُو جَابِرٍ: أَحْفَظْتَ وَاللهِ الْفَتَى فَارْدُدْ عَلَيْهِ نَعْلَيْهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللهِ، لا أَرُدُّهُمَا، قَالَ: وَاللهِ صُلْحٌ، وَاللهِ لَئِنْ صَدَقَ الْفَأْلُ لأَسْلُبَنَّهُ، فَهَذَا حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ الْعَقَبَةِ وَمَا حَضَرَ مِنْهَا[1].

وكانت أم عمارة أول امرأة من نساء المدينة تبايع رسول الله ﷺ، وتلتها أم منيع.

وكان غزية بن عمرو زوج أم عمارة بعد أن فرغ الرجال جميعهم من مبايعتهم قد قال: يا رسول الله، هاتان امرأتان حضرتا معنا، لتبايعا، فقال رسول الله ﷺ: **«قَدْ بَايَعْتُهُمَا عَلَى مَا بَايَعْتُكُمْ عَلَيْهِ، إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ»**.

وعاد وفد الأنصار بنقبائهم من العقبة إلى المدينة فرحين بلقاء رسول الله ﷺ، وأخذ كُلٌّ منهم يؤدِّي دوره في نشر الإسلام منتظرين قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً.

بطولتها يوم أحد

وبدأت أم عمارة رضي الله عنها مسيرتها مع الجهاد يوم أُحُد، وها هي ذي أم سعد بنت سعد بن الربيع رضي الله عنهما تحدِّثنا عن ذلك اليوم، قالت أم سعد: دخلت على أم عمارة، فقلت لها: حدِّثيني خبرك يوم أُحد، فقالت أم عمارة رضي الله عنها: خرجت أول النهار إلى أُحد، وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سِقاءٌ فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح إلى المسلمين[2]، فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله ﷺ، فجعلت أباشر القتال، وأَذُبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمي بالقوس، حتى خلصت إليَّ الجراح!.

قالت أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحاً له غورٌ أجوف، فقلت: يا أم

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكيين/ باب: حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه/ برقم: (15237).

(2) الدولة والريح إلى المسلمين: أي النصر والغلبة للمسلمين.

عمارة، من أصابك هذا؟ قالت أم عمارة رضي الله عنها: أقبل ابن قميئة، وقد ولَّى الناس عن رسول الله ﷺ، وابن قميئة يصيح: دلُّوني على محمد، لا نجوت إن نجا... فاعترض له مصعب بن عُمَيْر وناسٌ معه، فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.

وروى ضمرة بن سعيد المازني عن جدته، قال: وكانت شهدت أُحداً تسقي الماء، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَمَقَامُ نُسَيْبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْ مَقَام فُلانٍ وَفُلانٍ**»، وكانت جدة ضمرة هند تراها يومئذٍ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزةٌ ثوبها على وسطها، حتى جُرحت ثلاثة عشر جرحاً، ولقد ضربها ابن قميئة على عاتقها، فجرحها جرحاً عظيماً مؤثِّراً، ظلت تداويه سنة كاملة.

ولما نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد شدَّت عليها ثيابها كي تخرج إلى غزوة حمراء الأسد تشارك رسول الله ﷺ، فما استطاعت من شدَّة نزف الدم منها.

وتتابع أم عمارة رواية ذكرياتها عن يوم أُحدٍ، فتقول: انكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي معه إلاَّ بعض الرجال، لا يتمُّون عشرة، وأنا وأبنائي وزوجي بين يديه ندافع عنه، ونمنع عنه، والناس يمرون به منهزمين.

ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً ومعه ترس، فقال النبي ﷺ له: «**أَلْقِ تِرْسَكَ إِلَى مَنْ يُقَاتِلُ**»، فألقاه، فأخذته فجعلت أُدافع به عن رسول الله ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، ولو كانوا رجَّالةً مثلنا لأصبناهم، إن شاء الله، ويقبل رجلٌ على فرسٍ فيضربني، وترَّست له[1]، فلم يصنع شيئاً، وولَّى، فأضرب عرقوب فرسه، فوقع عن ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح: «**يَا ابْنَ أُمِّ عَمَارَةَ، يَا ابْنَ أُمِّ عَمَارَةَ، أُمَّكَ، أُمَّكَ**»، قالت: فعاونني عليه، حتى أرديته قتيلاً.

---

(1) ترَّست له: أي قابلت الضربة بالتُّرس.

وقال عبد الله بن زيد ابن أم عمارة: جُرحت يومئذٍ في عضدي اليسرى، ضربني رجلٌ، كأنه الرَّقْلُ[1]، ولم يُعرِّج عليَّ، ومضى عني، وجعل الدم لا يرقأ، فقال رسول الله ﷺ: **«اعْصِبْ جُرْحَكَ»**، فتقبل أمي إليَّ ومعها عصائب في حَقْوَيْهَا[2]، قد أعدَّتها للجراح، فربطت جرحي والنبي ﷺ واقفٌ ينظر إليَّ، ثم قالت: امْضِ بنيَّ، فضاربِ القومَ، فجعل النبي ﷺ يقول: **«وَمَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عَمَارَةَ؟»** وهي تضحك.

قالت أم عمارة: وأقبل الرجل الذي ضرب ابني يشتدُّ نحونا، فقال رسول الله ﷺ: **«هَذَا ضَارِبُ ابْنِكَ»**، فأعترض له، فأضرب ساقه، فبرك، فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم حتى رأيت نواجذه، وقال: **«اسْتَقَدْتِ يَا أُمَّ عَمَارَةَ»**، ثم أقبلنا نعلوه بالسلاح حتى أتينا عليه فأخمدنا أنفاسه، فقال النبي ﷺ: **«الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْفَرَكِ، وَأَقَرَّ عَيْنَكَ مِنْ عَدُوِّكِ، وَأَرَاكِ ثَأْرَكِ بِعَيْنِكِ»**.

وقال عبد الله بن زيد: شهدتُ أُحداً مع رسول الله ﷺ، فلما تفرَّق الناس عنه، دنوت منه أنا وأمي نذبُّ عنه، فقال ﷺ: **«يَا ابْنَ أُمِّ عَمَارَةَ»** قلت: نعم يا رسول الله، قال ﷺ: **«ارْمِ، أُمَّكَ، أُمَّكَ اعْصِبْ جُرْحَهَا، بَارَكَ اللهُ عَلَيْكُمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ»**، فقالت أمي: يا رسول الله، أُدعُ الله لنا أن نرافقك في الجنة فقال النبي ﷺ: **«اللَّهُمَّ، اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الجَنَّةِ»**، فقالت: ما أبالي بعدها ما أصابني من الدنيا.

هنيئاً لك يا أم عمارة تلك الدعوات الطيبات المباركات، التي حُبِيْتِ بها من رسول الله ﷺ!! وهنيئاً لك تلك البشريات الثمينة!! وأي شيءٍ أثمن من مرافقته في الجنة؟.

---

(1) الرَّقْلُ: جمع الرَّقْلَة، وهي النخلة الطويلة.
(2) الحَقو: الخصر.

متابعة جهادها بإخلاص

وكان أدهى ما دُهيت به أم عمارة يوم انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وما من شكٍّ أن غيابه ﷺ أعظم مصابٍ نزل بالمسلمين، غير أن جهاد أم عمارة بقي مستمراً ما دامت الأنفاس تتردَّد في صدرها.

فلما ارتدَّ بعض المسلمين في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وامتنعوا من أداء الزكاة، عزم الصِّدِّيق على قتالهم وقطع دابرهم، وأخذ يجهِّز الجيوش، وكان أهمها الجيش الكبير الذي قاده خالد بن الوليد رضي الله عنه لمحاربة كذَّاب اليمامة مسيلمة.

وأسرعت أم عمارة إلى الصِّدِّيق رضي الله عنه تستأذنه في الخروج مع ابن الوليد، فقال لها: لقد عرفنا بلاءك في الحرب يا أم عمارة، فاخرجي على اسم الله، وكان ولداها عبد الله وحبيب ابنا زيد برفقتها عندما تحرَّك الجيش.

وكانت معركة اليمامة من أشد معارك المسلمين ضراوة، وقد حشد لها مسيلمة الكذَّاب أضخم الحشود، وسوَّلت له أوهامه القضاء على رسالة الإسلام، وإحلال رسالته المزعومة محلها، ولكن خسئ المفتر وخاب، وأخفق كل كاذب ومرتاب.

لقد أراد مسيلمة أن ينقض البنيان الشامخ الذي أرسى أبو القاسم ﷺ دعائمه، وظنَّ أن ذلك هينٌ ميسورٌ، فغفل عن قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]

أي مسيلمة! أيها الكذَّاب الأشر!! من أنت حتى تأتي بغير ما أراده الله وارتضاه، وهو الفعَّال لما يريد؟ وأين هذا الهذيان الذي نطقت به من القرآن المنزَّل من لَدُنْ حكيم حميدٍ؟ لقد بالغت في جرأتك، وأسرفت في ادِّعائك ووقاحتك، حتى بتَّ أهلاً للعذاب الشديد.

مربية الأجيال الصادقة

وخلال المعركة أسر جند مسيلمة ابن أم عمارة حبيباً، ولما جاؤوا به إلى مسيلمة قال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال حبيبٌ: نعم، فقال له

مسيلمة: أتشهد أني رسول الله؟ قال حبيب: ما أسمع ما تقول!، فقال له مسيلمة: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال حبيبٌ: نعم، فقال له مسيلمة: أتشهد أني رسول الله؟ قال حبيب: ما أسمع ما تقول!.

فلما أعادها عليه عدة مرات ولم يغيِّر حبيب جوابه له أمر مسيلمة جلاَّده أن يقطع أجزاء من لحم حبيب حتى يغيِّر قوله، وأصبح أكثر من نصف جسد حبيب مِزَقاً فوق الأرض دون أن يعطي مسيلمة ما يريد، ثم فارق الحياة - رحمه الله تعالى - وقد رثاه مالك بن عمرٍو الثقفيُّ، وأجاد حيث قال:

مَضَى صَاحِبِي قَبْلِي وَخُلِّفْتُ بَعْدَهُ   فَكَيْفَ بِأَعْضَائِي البَقِيَّةِ أَصْنَعُ؟
وَقَالَ لَهُ الكَذَّابُ: تَشْهَدُ أَنَّنِي   رَسُولٌ؟ فَأَوْمَا أَنَّنِي لَسْتُ أَسْمَعُ
فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّهَا لِمُحَمَّدٍ؟   فَنَادَى بِدَعْوَى الحَقِّ لاَ يَتَتَعْتَعُ
فَضَرَّبَ أُمَّ الرَّأْسِ فِيْهِ بَسَيْفِهِ   غَوِيٌّ لَحَاهُ اللهُ بِالفَتْكِ مُوْلَعُ

ولدها يقتل الكذاب

ولكن هل يضيع دم حبيب هدراً، كلاً، لأن الله الحَكَمَ العَدْلَ لا يرضى بذلك، كان كل من شهد اليمامة يتمنَّى أن يفوز برأس مسيلمة، ولكن أراد الله أن يكون الفائز أخا حبيب.

وكان وحشيُّ بن حربٍ يريد أن يقتل مسيلمة تكفيراً عن قتله حمزة بن عبد المطلّب يوم أُحُدٍ، وفي اللحظة التي سدَّد فيها حربته إلى مسيلمة، وعند وصولها إلى جسده النجس كان سيف عبد الله بن زيد قد اخترق جسد الكذَّاب، ولا يعلم غير الله من قتل مسيلمة.

وحين أعلم عبد الله أمه بمقتل الكذَّاب، سجدت لله شاكرة، وقد أصابها اثنا عشر جرحاً، وبقي لها ذراع يتيمة.

لقد استطاع الصِّدِّيق رضي الله عنه بوفائه لربه ولرسول الله ﷺ وللمؤمنين أن يدفن فتنة المرتدين وأهلها، ويعيد للإسلام نضارته التي كان عليها إبَّان حياة

الحبيب الأعظم ﷺ، فجزاه الله عن الإسلام كل خير، وبلَّغه ما هو أهله، وجعل الجنة مستقره.

ولم ينس الصِّدِّيق تلك المؤمنة المجاهدة، فكان يعودها هو وخالد بن الوليد في دارها حتى شفيت.

وفاء الصحابة لجهادها

وحين جاءت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مروطٌ، كان فيها مِرْطٌ واسع جيد، فقيل له: «لو أرسلته إلى امرأة عبد الله بن عمر! فقال: أبعث به إلى من هي أحقُّ منها، أم عمارة نُسيبة بنت كعب، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم أُحُد: «**مَا الْتَفَتُّ يَمِيناً وَلا شِمَالاً إِلاَّ وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُوْنِي**».

لقد كانت أم عمارة مثال المؤمنة المجاهدة الصادقة في أقوالها وأفعالها، وكانت قدوة في صبرها وجهادها واحتمالها الأذى والآلام في سبيل الله، وإعلاء كلمته، وربَّت أبناءها على حب الله تعالى، وحب رسوله ﷺ، حتى لقوا الله وهو عنهم راضٍ إن شاء الله تعالى.

رحم الله أم عمارة، وزوجها غزية بن عمرو، وولديها عبد الله، وحبيب رضي الله عنهما، فقد أدَّوا رسالتهم في الحياة خير أداء، فجزاهم الله أوفى الجزاء، ورضي عنهم أجمعين.



21 - السيدة فاطمة بنت أسد

رسول الله ﷺ في كفنها

اسمها فاطمة، والدها أسد بن هاشم بن عبد مناف، وزوجها أبو طالب ابن عبد المطلب وهي أم طالب، وعلي - كرَّم الله وجهه - وعقيل، وجعفر، وأم هانئ، وجمانة، وريطة أبناء أبي طالب.

بعد وفاة آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ كفله جده عبد المطلب ولما حضرت الوفاة عبد المطلب كفَّله أبا طالب، وبين حنان أبي طالب وعطف فاطمة بنت أسد ترعرع رسول الله ﷺ.

ولاحظ أبو طالب وامرأته أن الطعام الذي يوضع لأبنائه لا يكفيهم ولا يشبعون إذا أكلوا في غياب ابن أخيه، أما إذا حضر معهم فإنهم يشبعون وتبقى من الطعام بقية، لذلك كان يأمرهم بانتظاره حتى يشاركهم لتنالهم البركة التي خصَّه الله بها؛ أما الماء فكان القدح لا يكفي أحد بنيه، فإذا شرب ابن أخيه قبله بات القدح يكفي الجميع، وهذا ما دفع أبا طالب إلى أن يقول له: «إنك لمبارك» وكانت امرأة أبي طالب شاهدةً على ذلك، وموقنةً بفضله وبركته.

ولما أخذ رسول الله ﷺ يعتمد على نفسه في كسب معيشته تحدَّث مع عمه العباس حول كثرة عيال أبي طالب وضيق ذات يده، واتَّفقا على التخفيف عنه، ثم ذهبا إليه وكلَّماه، فقال لهما: «خذا علياً، وجعفرَ ودعا لي عقيلاً»، فأخذ رسول الله ﷺ علياً، وأخذ العباس جعفرَ ثم انصرفا كُلٌّ إلى غايته وتدبير معاشه.

إسلامها

ولما أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ برسالة الإسلام، وأمره بالدعوة إليها، كان أول من صدَّقه وآمن به السيدة خَدِيْجَةُ أم المؤمنين رضي الله عنها من النساء، وصاحبه أبو بكرٍ الصِّدِّيق من الرجال، وربيبه عليُّ بن أبي طالب من الغلمان.

وحين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: 214] امتثل من امتثل، وأبى من أبى، وكانت أم علي وأولادها أول المستجيبين لندائه ﷺ وأرضاهم أجمعين.

وعاشت فاطمة بنت أسد مشهداً عاطفياً مؤثِّراً حين وقفت تودِّع فلذة كبدها جعفرَ وزوجه أسماء بنت عميس وهما منطلقان إلى الحبشة مع وفد المهاجرين فراراً بدينهم من اضطهاد قريش وإيذائها لمن دخلوا في دين الإسلام.

وامتدت فترة غياب جعفر وامرأته حتى إنه رُزق ثلاثة أطفال على أرض الحبشة، وقد حُرمت جدتهم فاطمة بنت أسد من سعادة العيش بقربهم وذاقت مرارة الفراق، ولم يكن هناك تلاق.

هجرتها

وقد هاجرت فاطمة بنت أسد مع أولادها وبقية المهاجرين إلى المدينة، ومضت تبذل أقصى جهودها في سبيل إعلاء كلمة الله، وتوطيد دعائم دين الله الحنيف.

وكان أسعد أيام فاطمة بنت أسد يوم أسرَّ لها ابنها علي نبأ خطبته لفاطمة الزهراء رضي الله عنها ولما تزوَّجا كانت أم علي أسعد حماة بأعظم كنَّة في الوجود.

محبة النبي ﷺ لها

ولكي يعيش علي حياة هانئة سعيدة، لا تشاحن فيها ولا بغضاء، قال

لأمه: اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل: الطحن والعجن[1].

وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويعاملها معاملة أمه، وقد حصَّلت فاطمة بنت أسد ثروة ثقافية إسلامية أوصلتها إلى سُدَّة رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، فقد ذكرت كتب السنن لها ستة وأربعين حديثاً، ورد منها في الصحيحين حديث واحد فقط.

وكان رسول الله ﷺ يدخل على فاطمة بنت أسد ويكثر من زيارتها، ويَقِيْلُ في بيتها في بعض الأوقات، ذكر ابن سعد في طبقاته: أسلمت فاطمة بنت أسد، وكانت امرأة صالحة، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل في بيتها[2].

وكان يهديها الهدايا في بعض الأحيان لمكانتها عنده وإيثاره لها، فقد روى صاحب «الإصابة» عن جعدة بن هبيرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أهدى إليَّ رسول الله ﷺ حلة إستبرق، فقال: «**اِجْعَلْهَا خُمُراً بَيْنَ الفَوَاطِمِ**»، فشققتها أربعة أخمرة، خماراً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وخماراً لفاطمة بنت أسد، وخماراً لفاطمة بنت حمزة، ولم يذكر الرابعة[3]، قال ابن حجَر: ولعلَّها – أي الرابعة – امرأة عقيل بن أبي طالب، واسمها فاطمة بنت شيبة.

إكرام النبي ﷺ لها عند موتها

وكما كان رسول الله ﷺ يُكرم فاطمة بنت أسد في حياتها، فقد أكرمها حال موتها، فقد روى جابر بن عبد الله قال: بينا نحن جلوسٌ مع رسول الله ﷺ، إذ أتاه آتٍ فقال: يا رسول الله، إنَّ أم عليٍّ، وجعفرَ، وعقيلٍ قد ماتت، فقال رسول الله ﷺ: «**قُومُوا إِلَى أُمِّي**»، فقمنا وكأنَّ على رؤوس من

(1) صفة الصفوة لابن الجوزي (2/ 54).
(2) الطبقات لابن سعد (8/ 222).
(3) الإصابة (4/ 370)، وأُسْد الغابة برقم: (7172).

معه الطير، فلما انتهينا إلى الباب نزع رسول الله ﷺ قميصه فقال: **«إِذَا غَسَلْتُمُوهَا فَأَشْعِرُوهَا إِيَّاهُ تَحْتَ أَكْفَانِهَا»**، فلما خرجوا بها جعل رسول الله ﷺ مرة يحمل، ومرة يتقدَّم، ومرة يتأخر، حتى انتهينا إلى القبر، فتمعَّك[1] في اللحد[2]، ثم خرج فقال: **«أَدْخِلُوهَا بِاسْمِ اللهِ، وَعَلَى اسْمِ اللهِ»**، فلما أن دفنوها قام قائماً، فقال: **«جَزَاكِ اللهُ مِنْ أُمٍّ وَرَبِيبَةٍ خَيْراً، فَنِعْمَ الأُمُّ، وَنِعْمَ الرَّبِيبَةُ كُنْتِ لِي»**.

قال: فقلنا له، أو قيل له: يا رسول الله، لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قطُّ! فقال النبي ﷺ: **«مَا هُمَا؟»** قلنا: نزعك قميصك، وتمعُّكك في اللحد، قال: **«أَمَّا قَمِيصِي فَأُرِيدُ أَلاَّ تَمَسَّهَا النَّارُ أَبَداً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَأَمَّا تَمَعُّكِي فِي اللَّحْدِ فَأَرَدْتُ أَنْ يُوَسِعَ اللهُ عَلَيْهَا فِي قَبْرِهَا»**، ثم قال: **«إِنَّ هَذِهِ المَرْأَةَ كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ أُمِّي الَّتِي وَلَدَتْنِي، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَصْنَعُ الصَّنِيعَ وَتَكُونَ لَهُ المَأْدَبَةُ، وَكَانَ يَجْمَعُنَا عَلَى طَعَامِهِ، فَكَانَتْ هَذِهِ المَرْأَةُ تُفْضِلُ مِنْهُ كُلَّهُ نَصِيبَنَا فَأَعُودُ بِهِ»**.

وكبَّر عليها النبي ﷺ أربعاً، فأدخلها اللحد بمساعدة عمه العباس، وأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما، وروى أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها، فقال: **«رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّي، كُنْتِ بَعْدَ أُمِّي تَجُوعِينَ وَتُشْبِعِينِي، وَتَعْرَيْنَ وَتَكْسِينَنِي، وَتِمْنَعِينَ نَفْسَكِ طِيباً وَتُطْعِمِينِي تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ»**.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لمَّا ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما ألبسها النبي ﷺ قميصه، واضطجع معها في قبرها، وجزاها خيراً فقالوا: يا رسول الله، ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه! فقال رسول

---

(1) تمعَّك: تمرَّغ.

(2) اللحد: القبر.

الله ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ أَبَرَّ بِي مِنْهَا، إِنَّمَا أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتُكْسَى مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ، وَاضْطَّجَعْتُ فِي قَبْرِهَا لِيَهُونَ عَلَيهَا عَذَابُ القَبْرِ**».

وهكذا كان رسول الله ﷺ بَرّاً بأمِّه الثانية فاطمة بنت أسد الهاشمية، رحمها الله تعالى، ورضي عنها، وأجزل مثوبتها وجائزتها يوم تُوزَّع الجوائز على المؤمنين الصادقين.



22 - السيدة أم منيع

حضورها بيعة العقبة الثانية

اسمها أسماء، والدها عمرو بن عدي، وهي والدة الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﵁، أسلمت مع السابقين الأولين الذين أسلموا على يد السفير مصعب بن عُمَيْر ﵁.

وقد حضرت مع أم عمارة وثلاثة وسبعين رجلاً من الأنصار بيعة العقبة الثانية بعد موسم الحج بناء على موعد رسول الله ﷺ لمصعب بن عُمَيْر، وكانت تُكنى بأم منيع.

ومن المصادفات الجميلة أنها كانت بصحبة زوجها خديج بن سلامة وهي حاملٌ، وليلة الاجتماع المقرَّر في العقبة مع رسول الله ﷺ طرقها المخاض، فوضعت ابنها شُباث بن خديج، وقد ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته[1].

تقول نُسَيْبَةُ بنت كعب المازنية أم عمارة: كانت الرجال تصفق على يد رسول الله ﷺ ليلة بيعة العقبة، والعباس بن عبد المطلب آخذٌ بيد رسول الله ﷺ فلما بقيت أنا وأم منيع نادى زوجي غزية بن عمرو: يا رسول الله، هاتان امرأتان حضرتا معنا، لتبايعانك، فقال رسول الله ﷺ: **«قَدْ بَايَعْتُهُمَا عَلَى مَا بَايَعْتُكُمْ عَلَيْهِ، إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ»**.

وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء، إنما كان يأخذ عليهنَّ، فإذا أَقْرَرْنَ، قال: **«اِذْهَبْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ»**.

---

(1) طبقات ابن سعد: (8/ 408).

ولو أمعنَّا النظر في حضور أم منيع البيعة مع وفد الأنصار، ولقائها برسول الله ﷺ وهي على وشك الولادة، لعلمنا مدى عمق إيمانها، وشدة حرصها على ألَّا تفوتها الفرصة التي يؤكِّد فيها رجال الأنصار ونساؤهم حبهم وولاءهم ونصرتهم لرسول الله ﷺ، وإصرارهم على إعلاء كلمة الله.

وكان حضور أم منيع وأم عمارة لبيعة العقبة يعتبر دعوة لنساء الأنصار ليتأسّين بهما، ويعملن على نشر دين الله بين نساء المدينة.

وكان حضور عَمِّهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَثَّقُ لَهُ.

فَلَمَّا جَلَسُوا وَاسْتَعَدُّوا، كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ - قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ: الْخَزْرَجَ، أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا - إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلاَّ الانحِيَازَ إِلَيْكُمْ وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الخُرُوجِ إِلَيْكُمْ، فَمِنَ الآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزَّةٍ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ.

قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَلا آيَاتِ القُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللهِ عز وجل وَرَغَّبَ فِي الإِسْلامِ، ثُمَّ قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**».

قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، ثُمَّ كَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ حَتَّى تَمَّت الْبَيْعَةُ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ»**، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلاثَةٌ مِنَ الأَوْسِ.

ولمَّا انتهت البيعة عاد وفد الأنصار فرحين بنقبائهم، وبكنز الإيمان الذي أودعوه في صدورهم، وكانت فرحة خديج بن سلامة وامرأته أم منيع أعظم من فرحة الجميع لأن أسرته قد زادت فرداً لم يستطع أن يبايع رسول الله ﷺ، ولكن كفاه أنه سجَّل اسمه في عِداد الذين شهدوا العقبة الثانية، وهذا فضلٌ لم يُحَظْ به كثيرون من أهل المدينة.

المعاهدة الوفية

وذات يوم سمع أهل المدينة نداء المنادي بوصول رسول الله ﷺ إليهم، فخلت الدُور من أهلها، وكانت أم منيع وزوجها في طليعة المستقبلين للضيف العظيم.

ويوم خرج رسول الله ﷺ بالمسلمين إلى خيبر لمجاهدة يهودها خرجت معه أم منيع رضي الله عنها تسقي الجرحى وتداوي المرضى حتى فتحها الله على المسلمين، وظلَّت وفية لدينها، والعهد الذي عاهدت عليه الله ورسوله ﷺ حتى لقيت وجه ربها، رحمها الله وأكرم مثواها، ورضي عنها.



23 - السيدة كُبَيْشَةُ بنتُ مَعْنٍ

اسمها كُبَيْشَةُ، والدها مَعْنُ بن عاصم، وزوجها أبو قيس بن الأسلت، ويُدعى: . . عامر بن جُشم . . ، أنصاريٌّ، أوسيٌّ.

كانت نساء الجاهلية تَعْشِنَ في جَوٍّ من الظلم والقهر والحرمان بحكم الأعراف والتقاليد البالية التي لا تعترف للمرأة بأبسط الحقوق، ولم يكن لكرامة المرأة عند الرجال وزنٌ ولا حسابٌ، وما لها من رأيٍ ولا طلب يُجاب، حتى حرموها من حقِّ الحياة، فقد كانت الرجل منهم إذا ولدت له أنثى يقوم بوأدها حية خشية العار، بيد أن الإسلام الحنيف نسخ هذه العادة الذميمة، ومنح المرأة كرامتها، وأشعرها بكيانها ووجودها، ومنحها من العدالة والحرية ما لم تسعه القوانين الوضعية التي ابتدعها الإنسان، فالإسلام شرعٌ ارتضاه الله العليم الخبير لخلقه، ومن أعلم بحاجاتهم أكثر ممن خلقهم؟ لا أحد! قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14].

إسلامها وزوجها

كان أبو قيس بن الأسلت زوج السيدة كُبيشة رضي الله عنها شاعراً مُفوَّهاً، وفارساً مجيداً، وقيل: إنه كانت له صحبة، وحين أسلم وحَسُن إسلامه أخذ يدعو قومه إلى الإسلام وتصديق المصطفى ﷺ، ويقول للناس: هيا استبقوا إلى هذا الرجل.

وكان دخول أبي قيس الإسلام بعد أن حضر مجلس رسول الله ﷺ واستمع إلى حديثه العطر، فقد مكَّنه عقله الراجح في الجاهلية من مقارنة الإسلام بغيره من الشرائع، وكان دائب السؤال والاستفسار والتفكير، وهل السؤال إلَّا سبيل المعرفة؟ وهل التفكير إلاَّ طريق العلم؟.

اجتمع أبو قيس بعلماء اليهود، وراح يناقشهم في أمور دينهم، وكان

في حواره سديد المنطق، متمكِّناً مما يحاور فيه، وهذا ما أثار إعجاب أحبارهم بحسن فهمه وأسلوب نقاشه، وطريقة حواره، وإدارته للحديث.

جاء أبو قيس إلى رسول الله ﷺ وقال له: إلام تدعو؟ فذكر له النبي ﷺ مبادئ الإسلام، وفصَّل له القول في شرحها، فقال أبو قيس: ما أحسن هذا! وما أجمله!!.

ولما خرج من عنده لقيه رأس المنافقين عبد الله بن أُبي ابن سلول فقال له: يا أبا قيس، لقد خرجت من حزبنا كل ملاذ، تارة تحالف قريشاً، وتارة تتَّبع محمداً! فقال أبو قيس: لا جَرَمَ، لأتَّبعنَّه إلى آخر الناس.

وكان لا بُدَّ لهذا الرجل العاقل العالم من أن يُحسن اختيار شريكة حياته، ووافقت كُبَيْشَةُ هوًى في نفسه، وكانت ممن أسلمنَ وحسن إسلامها رضي الله عنها.

عطفها على زوجها وابنه

وعاش الزوجان معاً على السَّرَّاء والضَّرَّاء، في تفاهم تامٍّ، لا يكدِّره خصام، وكان أبو قيس قد تزوَّج عدة مرات ولم تثمر هذه الزيجات إلَّا عن ولدٍ وحيدٍ، وقد توفِّيت أم هذا الولد قبل أن يبلغ الحلم، فتزوَّج أبو قيس من كُبَيْشَةُ، وبعد إتمام الزواج الميمون جاء أهل زوجته السابقة يريدون أخذ الولد ليعيش بينهم، فأبى أبو قيس أن يعطيهم إياه، وأصرَّ على أن يعيش ابنه في كنفه، فوافق القوم شريطة أن تُحسن كُبَيْشَةُ امرأته الجديدة معاملته، وترعاه كما لو كان ولدها، ولما علم القوم ما يلقاه الصبي من حسن رعاية زوج أبيه له، سرُّوا بذلك، وانصرفوا ممتنِّين.

ولمس أبو قيس الرعاية الجيدة التي يلقاها ابنه من كُبَيْشَةَ فازداد لها حبّاً، وعاش الزوجان عدة سنوات، يرفلان مع الولد في أثواب السعادة، ويتقلَّبان في أحضان النعيم، وعلى حين غِرَّةٍ ألمَّ بأبي قيسٍ مرضٌ ألزمه الرقاد في الفراش، فوقفت كُبَيْشَةُ إلى جانبه على خير ما يرام، وباتت له نعم الممرضة، ولم تألُ جهداً من أجل شفائه، وتخفيف آلامه، وظلَّت تدعو الله

وتصلي حتى يردَّ الله عليه عافيته، ولكن لا يُغني عن المريض شيءٌ إذا حان الأجل، وأزفت ساعة الرحيل.

وحين أيقن أبو قيس بالنهاية قال لزوجه كُبَيْشَةَ: أُوصيك خيراً بولدي، فهو لا يزال غضَّ العود، طريَّ الإهاب، وهو بحاجةٍ شديدة لرعايتك حتى يبلغ مبلغ الرجال، وطمأنته كُبَيْشَةُ أنها تعده ولدها، ولا تعامله إلاَّ على هذا الأساس.

ثم لم يلبث أبو قيس أن انتقل إلى جوار ربه، فحوَّلت كُبَيْشَةُ القدْر الذي كانت تَبْذُلُه في رعاية زوجها إلى ابنه، وزادت عنايتها به بعد أن أصبح لطيماً[1].

سيف الجاهلية وعاداتها يصلت عليها

وعلى الرغم من الخسارة الفادحة التي أصابت كُبَيْشَةَ بفقد زوجها المثالي أبي قيس، فإن عمق إيمانها، وحسن فهمها لإسلامها، ألزماها بالصبر، والرضا بقضاء الله وقدره.

وفيما كانت كُبَيْشَةُ وسط أحزانها، قدم عليها أهل زوجها الراحل لزيارتها فرحَّبت بهم أجمل ترحيب، فهم أهل الحبيب الراحل، وإكرامهم واجبٌ عليها، بل هو فرضٌ يمليه وفاؤها لفقيدها الغالي، بيد أن كُبَيْشَةَ ارتابت من هذه الزيارة، وساورها القلق، وحاولت أن تتفحَّصهم بنظراتها لتكتشف سبب زيارتهم، ولم يطل بها الحال حتى ظهر المكنون، وبرح الخفاء، فقد أخرجوا ثوباً أسودا كانوا يخفونه وألقوه عليها، ولكن ما معنى هذا؟ وإلى أي شيءٍ كانوا يهدفون؟.

إنها عادةٌ جاهليةٌ ذميمةٌ، وعُرْفٌ كريهٌ بغيضٌ، يعني أمرين اثنين لا ثالث لهما، ولا مفرَّ منهما لمن يموت زوجها، بعد أن يُلقي عليها أهله

(1) اليتيم: من فقد أباه، واللَّطيمُ: من فقد أبويه، والعَجَيُّ: من فقد أمه.

الثوب الأسود؛ أما أولهما: فحرمانها من ميراث زوجها، ولا حقَّ لها في تركته مهما قلَّ أو كثر؛ وثانيهما، وهو أدهى وأمرُّ، فهو: منعها من الخروج من بيت زوجها، أو الزواج إلَّا بواحدٍ من أهل زوجها.

وباختصارٍ شديدٍ كان أهل الجاهلية يرون أن المرأة من سقط المتاع لا رأي لها ولا إحساس، وما كان الإسلام ليرضى لها مثل هذا الوضع المهين! وهكذا أصبحت كُبَيْشَةُ سجينة بيتها، ورهينة داخل هذا الثوب الأسود الممقوت.

وسألت كُبَيْشَةُ نفسها: هل يرضى الدين الحنيف الذي اعتنقته، وعلمت بعدالته السمحاء، بمثل هذا الظلم الفادح الذي فُرض عليها؟ وهل يقبل ويقرُّ بعادةٍ باليةٍ غاشمةٍ كهذه؟ وهل يسمح رسول الله ﷺ لميراث الجاهلية الأولى أن يطبق في واحة الإسلام، وتحت ظلاله الوارفة؟ وهل يمكن أن تُهدر آدمية المرأة بأقسى من هذا التَّصرُّف الجائر؟.

إن الإسلام دين الكرامة والعدالة والحق، وقد جاء ليرفع الظلم والجهل والهوان، ومحال أن تحبس امرأة في ظلِّه عن النكاح، أو تُزوَّج بمن لا ترغب فيه، وهي كارهة له، إذاً، ما على كُبَيْشَةَ أن تصنع في وضعٍ خانقٍ كهذا الذي وجدت نفسها فيه؟ لقد استعانت بالصبر والصلاة كما أمرها ربها، ودعت الله أن يفرِّج كربتها، ويخرجها من محنتها، ويرحم ضعفها، ثم بدا لها أن تتوجَّه إلى رسول الله ﷺ، لتشرح لها ظلامتها، وظلامة بنات جنسها اللواتي يعانين مما تعانيه، عسى أن تجد لديه الحلَّ، أو يسأل الله لها فرجاً ومخرجاً.

وقال أهل أبي قيس لابنه: اخطب امرأة أبيك وتزوَّجها، فلما خطبها، قالت له: ما كنت أعدُّك إلَّا ولدي، وأنت من صالحي أهلك، ولكن آتي رسول الله ﷺ وأستأمره فيك[1]، وهكذا تيسَّر لكُبَيْشَةَ الخروج من بيتها.

---

(1) أستأمره: أي أشاوره.

شكواها لرسول الله ﷺ

ولما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، إن أبا قيسٍ قد هلك، وإن ابنه قيساً من خِيار قومه، وقد خطبني إلى نفسي فقلت له: ما كنت أعدُّك إلَّا ولدي، وسأسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فما أنا بالتي أسبقك، فلما سمع رسول الله ﷺ قولها، قال لها: «**اُقْعُدِي فِي بَيْتِكِ حَتَّى يَأْتِي فِيكِ أَمْرُ اللهِ**».

وانصرفت كُبَيْشَةُ عن رسول الله ﷺ ومعها أملٌ عريض بأن الله ربها سيأتيها بالفرج لا محالة، لأنه لا يرضى بالظلم، ولا يسمح له أن يسود.

وذاع خبر لقاء كُبَيْشَةَ مع رسول الله ﷺ، ولم تكن حالتها فريدة بين نساء المدينة، فأقبلت مثيلاتها إلى النبي ﷺ فعرضنَ عليه قصصهنَّ فأجابهنَّ رسول الله ﷺ بنفس الجواب الذي قاله لكُبَيْشَةَ بنت معن فعدنَ إلى بيوتهنَّ بانتظار جواب السماء.

حكم الإسلام العادل

وما كان الله ليدعهنَّ دون أن ينزل قرآناً فيه حسمٌ لقضاياهنَّ، وقضاءٌ على عادات جائرة جاء الإسلام لنسخها، ثم جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالبشرى إلى رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: 19].

وتلا ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء: 22].

وأرسل رسول الله ﷺ إلى كُبَيْشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وإلى أخواتها من المؤمنات اللواتي جئن يسألنه عن مثل مسألة كُبَيْشَةَ، فأخبرهنَّ بحكم الله تعالى وإنصافه لهنّ، وتحريره لهنّ من تعسُّف الجاهلية وجورها وإسرافها في ظلم المرأة

وقهرها؛ وصدق الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

أجل! أجل! إن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المفسِّرة الموضِّحة والمبيِّنة لأحكامه وضعت للإنسان القواعد اللازمة لحياته على أساسٍ من العدل والكرامة والحرية ودفع الظلم.

رحم الله كُبَيْشَةَ المؤمنة الوفية، وأحسن نزلها، ورضي عنها.



24 - السيدة أم هشام بنت حارثة

ابنة الأنصاري المحب

اسمها أم هشام، والدها حارثة بن النعمان، والدتها أم خالد بنت خالد ابن يعيش الأنصارية من بني مالك.

كانت أم خالد واحدة من النساء الفاضلات، وقد أنجبت لحارثة خمسة أولاد، هم: عبد الله، وعبد الرحمن، وسودة، وعمرة، وأم هشام؛ وله من غيرها أم كلثوم، وأمة الله.

كان حارثة بن النعمان ﵁ محبّاً لله ولرسول الله ﷺ، وكان حبه له مميَّزاً، وظاهراً في أقواله وأفعاله، وحسبنا أن نذكر فعلاً بادي الحسن حرص حارثة على تكراره دون أن يذكره للناس، حتى أظهره رسول الله ﷺ ليعلم الناس أي رجلٍ كان حارثة ﵁ .

لقد أنعم الله تعالى على حارثة بالمال الكثير، حتى كانت له منازل عديدة بجوار مسجد رسول الله ﷺ في المدينة - حرسها الله تعالى - ومن أسعد بجوار النبي ﷺ من حارثة؟! وقد فهم حارثة حسن الجوار على أحسن وجهٍ وأتمِّه، فكان رسول الله ﷺ كلما تزوج تحوَّل له حارثة ﵁ عن منزله إلى آخر، حتى إذا تكرَّر منه ذلك مراراً، قال النبي ﷺ: «**لَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ حَارِثَةَ، مِمَّا يَتَحَوَّلُ لَنَا عَنْ مَنَازِلِهِ**»، فأي تشريفٍ أصبت يا حارثة من رسول الله ﷺ؟! وأي تكريم؟!.

وأما أم هشام بنت حارثة فقد كانت مستمسكة بدينها مواظبة على حضور المكتوبة خلف رسول الله ﷺ في مسجده الشريف، ومن التمس الدليل فليستمع إلى أم هشام تحدِّث عن نفسها فيما رواه النسائي، قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ - وَهُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ - عَنْ يَحْيَى،

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ ابْنَةِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَتْ: حَفِظْتُ: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ①﴾ [ق: 1] مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ[1] وذلك من كثرة ترديده لها ﷺ، مما مكَّن أم هشام رضي الله عنها من حفظها، وذلك من فضل الله وتيسره الخير لها.

وكان أبوها حارثة مرافقاً لرسول الله ﷺ في حله وترحاله، وسلمه وغزواته ضد المشركين، لا يكفُّ عن مرافقته، إذ لا طاقة له على مفارقته، وقد خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدرٍ، كما شهد معه كل المشاهد الأخرى، ولندع حارثة بن النعمان يحدِّثنا عن نفسه قليلاً، قال: رأيت جبريل عليه السلام من الدهر مرتين، يوم الصُّوَرَيْن[2] حين خرج رسول الله ﷺ إلى بني قريظة، مرَّ بنا في صورة رجلٍ فأمرنا بلبس السلاح، ومرَّ بنا جبريل عليه السلام يوم موضع الجنائز حين رجعنا من حُنين، مررت وهو يكلِّم النبي ﷺ، فلم أُسلِّم، فقال جبريل عليه السلام: «من هذا يا محمد؟» قال رسول الله ﷺ: **«هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ»**، فقال جبريل عليه السلام: «أما إنه من المئة الصابرة يوم حُنين الذين تكفَّل الله بأرزاقهم في الجنة، ولو سلَّم لرددنا عليه».

هنيئاً لك يا حارثة ما قاله الأمين جبريل عليه السلام، وما أجمل أن يبشِّرك بالجنة بنفسه!!.

وروى الإمام أحمد عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام جَالِسٌ فِي الْمَقَاعِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَجَزْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ، وَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: **«هَلْ رَأَيْتَ الَّذِي كَانَ مَعِي؟»** قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: **«فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلامَ»**[3].

---

(1) رواه: النسائي/ كتاب: الجمعة/ باب: القراءة في الخطبة/ برقم: (1394).

(2) الصُّوَرَان: موضعٌ قرب المدينة، يقع بالقرب من البقيع.

(3) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث حارثة بن النعمان/ برقم: (22565).

ولكن بعد أن عرفنا ما قاله عنك جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يا ابن النعمان، فما الذي قاله عنك رسول الرحمن؟ فلنستمع إلى قوله يرويه عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ**» فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ**» وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّه[1]، فقد كان حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شديد البرِّ بأمه، ما يفتأ يحسن إليها، ويرعى حقها، ويبالغ في إكرامها.

البرّ لا يُنسى

وإذا كان حارثة – كما شهد له رسول الله ﷺ – بارّاً بأمه، فلا شك أن أبناءه سيكونون به بارِّين، وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بُرُّوا آبَاءَكُمْ، تَبَرُّكُمْ أَبْنَاءَكُمْ**»، فما لي أرى العاقِّين لآبائهم عن قول رسول الله ﷺ معرضين؟ أتراهم زهدوا في الجنة، أم كانوا عنها راغبين؟.

وما كان لمثل أم هشام أن تزهد في الجنة، بل كانت حريصةً عليها، فتزيَّنت بالتقوى، وتجمَّلت بالهدى، وتعطَّرت بالبرِّ، ورطَّبت لسانها بكتاب الله، وحديث مصطفاه ﷺ، فكانت أُسوة خيرٍ للمتأسِّيات، وجسر رُشْدٍ للمسترشدات.

بركة خير الجيران

وكانت تلك المكاسب التي حصلت عليها أم هشام والمكارم التي ترسَّخت في نفسها ناجمةً من قربها من خير جارٍ، ووجودها في أحسن جوار، فرسول الله ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين في مددٍ دائمٍ لها بالنفحات الطيبات المباركات، ولْنُصْغِ إلى أم هشام حيث تقول فيما رواه الإمام مسلم عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو

---

(1) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: باقي المسند السابق/برقم: (24026).

ابْنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، عَنْ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَتْ: لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاحِدًا سَنَتَيْنِ، أَوْ سَنَةً وَبَعْضَ سَنَةٍ، وَمَا أَخَذْتُ: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: 1] إلا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ[1]، فأيّة بركة حظي بها آل حارثة بن النُّعمان من هذا الجوار الذي ليس بعده من فخار؟!!.

وقد أفادت أم هشامٍ من ذلك فوائد جليلة يعزُّ حصرها، ويتعذَّر إحصاؤها، كان أعظمها صحبة كتاب الله، ورواية حديث رسول الله ﷺ، فأي فضلٍ عظيمٍ أُعطيتِ، وأي خير عميمٍ حُبيتِ؟!! أيتها المحدِّثة الفاضلة!.

ولقد روى عنها الحديث محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، وحبيب بن عبد الرحمن، وعمرة بنت حارثة أختها، وغيرهم، بيد أن أم هشام كانت طمَّاعةً في الدين، ويا له من طمع جميلٍ محمودٍ!! فحفظ القرآن لم يكفِها، ورواية حديث رسول الله ﷺ لَم تُشبعْها، فسعت إلى فضيلة الجهاد لتضمَّها إلى مكارمها الجمَّة، ومناقبها الكثيرات.

يوم الحديبية

ففي السنة الثانية للهجرة حُوِّلت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام الذي رفع قواعده إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وبعد ستِّ سنواتٍ من الهجرة رأى رسول الله ﷺ رؤيا، ورؤياه حقٌّ كلها، فَعَزَمَ على إبلاغها إلى أصحابه في الصباح حين يراهم في المسجد، فقد رأى أنهم سيدخلون المسجد الحرام - إن شاء الله - محلِّقين رؤوسهم ومقصِّرين، لا يخافون، وهذا يعني أنهم - بما فيهم المهاجرون الذين تركوا أهاليهم في مكة حين هاجروا إلى المدينة - سيطوفون بالبيت ويحجُّون ويعتمرون، ثم يلتقي المهاجرون بأهاليهم، وتنتهي الآلام التي عانوها من جرَّاء ذلك.

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجمعة/ باب: تخفيف الصلاة والخطبة/ برقم: (1442).

وسرعان ما سرى نبأ رؤيا رسول الله ﷺ بين بيوت المدينة وأحيائها كالبرق الخاطف، ثم ما لبثوا أن سمعوا منادي رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الخروج إلى الحج في شهر ذي القعدة، وهو أحد الأشهر الحُرُم التي يحرم فيها القتال عند العرب.

وفي الموعد المضروب خرج رسول الله ﷺ بالمسلمين قاصدين البيت الحرام في مكة وهو على ناقته القصواء يريدون زيارة البيت العتيق، وتعظيم حرمته، لا يحملون سلاحاً، ولا ينوون قتالاً، وما إن علمت قريش بعزم رسول الله ﷺ وخروجه إلى مكة، حتى استنفرت أبناءها، وجهَّزت مائتي فارسٍ بكامل عُدَّتهم وعتادهم حتى يمنعوا رسول الله ﷺ من دخول مكة، وكانت أم هشام بنت حارثة بن النعمان في طليعة النسوة اللاتي لبَّينَ نداء رسول الله ﷺ لأداء فريضة الحج.

لقد خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ لا يُرِيدُ قِتَالاً وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنَةً وَكَانَ النَّاسُ سَبْعَمِائَةِ رَجُلٍ، فَكَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشَرَةٍ، قَالَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بِشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ سَمِعَتْ بِمَسِيرِكَ فَخَرَجَتْ مَعَهَا الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ يُعَاهِدُونَ اللهَ أَنْ لا تَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً أَبَدًا، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدِمُوا إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلَتْهُمْ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ، فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الإِسْلامِ وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ؟ فَمَاذَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ وَاللهِ إِنِّي لا أَزَالُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللهُ لَهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ لَهُ، أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ؟»**.

ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ فَسَلَكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ بَيْنَ ظَهْرَيْ الْحَمْضِ عَلَى طَرِيقٍ تُخْرِجُهُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْمِرَارِ وَالْحُدَيْبِيَةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ قَالَ: فَسَلَكَ بِالْجَيْشِ تِلْكَ

الطَّرِيقَ فَلَمَّا رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتَرَةَ الْجَيْشِ قَدْ خَالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ نَكَصُوا رَاجِعِينَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا سَلَكَ ثَنِيَّةَ الْمِرَارِ بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: خَلأَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا خَلأَتْ، وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ؛ وَاللهِ لا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونِي فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إِلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»**.

ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: **«انْزِلُوا»** فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بِالْوَادِي مِنْ مَاءٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَأَعْطَاهُ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَنَزَلَ فِي قَلِيبٍ مِنْ تِلْكَ الْقُلُبِ، فَغَرَزَهُ فِيهِ، فَجَاشَ الْمَاءُ بِالرَّوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ عَنْهُ بِعَطَنٍ.

وفي رواية البخاري عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: **«مَا لَكُمْ؟»** قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ، وَلا نَشْرَبُ إِلا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً[1].

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي رِجَالٍ مِنْ خُزَاعَةَ، فَقَالَ لَهُمْ كَقَوْلِهِ لِبُشَيْرِ بْنِ سُفْيَانَ، فَرَجَعُوا إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ، إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحَقِّهِ، فَاتَّهَمُوهُمْ - وَكَانَتْ خُزَاعَةُ فِي عَيْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مُسْلِمُهَا وَمُشْرِكُهَا، لا يُخْفُونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّةَ -.

قَالُوا: وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا جَاءَ لِذَلِكَ فَلا وَاللهِ لا يَدْخُلُهَا أَبَدًا عَلَيْنَا عَنْوَةً وَلا

---

(1) رواه الإمام: البخاري/كتاب: المناقب/باب: علامات النبوة في الإسلام/برقم: (3311).

تَتَحدَّثُ بِذَلِكَ الْعَرَبُ ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ مِكْرَزَ بْنَ حَفْصِ بْنِ الأَخْيَفِ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ**» فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَحْوِ مِمَّا كَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ الْحِلْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ الْكِنَانِيَّ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأَحَابِشِ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ**» فَبَعَثُوا الْهَدْيَ، فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عَرْضِ الْوَادِي فِي قَلائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ، رَجَعَ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ رَأَيْتُ مَا لا يَحِلُّ صَدُّهُ، الْهَدْيَ فِي قَلائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ فَقَالُوا: اجْلِسْ إِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لا عِلْمَ لَكَ.

فَبَعَثُوا إِلَيْهِ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَا يَلْقَى مِنْكُمْ مَنْ تَبْعَثُونَ إِلَى مُحَمَّدٍ إِذَا جَاءَكُمْ مِنَ التَّعْنِيفِ وَسُوءِ اللَّفْظِ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّكُمْ وَالِدٌ وَأَنِّي وَلَدٌ وَقَدْ سَمِعْتُ بِالَّذِي نَابَكُمْ فَجَمَعْتُ مَنْ أَطَاعَنِي مِنْ قَوْمِي ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى آسَيْتُكُمْ بِنَفْسِي، قَالُوا: صَدَقْتَ مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ جَمَعْتَ أَوْبَاشَ النَّاسِ ثُمَّ جِئْتَ بِهِمْ لِبَيْضَتِكَ لِتَفُضَّهَا، إِنَّهَا قُرَيْشٌ قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ يُعَاهِدُونَ اللهَ أَنْ لا تَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً أَبَدًا، وَأَيْمُ اللهِ لَكَأَنِّي بِهَؤُلاءِ قَدِ انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا.

قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ فَقَالَ: اِصْمِتْ يَا رَجُلُ، أَنَحْنُ نَنْكَشِفُ عَنْهُ؟ قَالَ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «**هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ**» قَالَ: وَاللهِ لَوْلا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَكَافَأْتُكَ بِهَا، وَلَكِنَّ هَذِهِ بِهَا، ثُمَّ تَنَاوَلَ لِحْيَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

فِي الْحَدِيدِ يَقْرَعُ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: أَمْسِكْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَبْلَ وَاللهِ لا تَصِلُ إِلَيْكَ، قَالَ: وَيْحَكَ مَا أَفَظَّكَ وَأَغْلَظَكَ!! فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «**هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ**» قَالَ: أَغُدَرُ؟! هَلْ غَسَلْتَ سَوْأَتَكَ إِلا بِالأَمْسِ؟ قَالَ: فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ مَا كَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يُرِيدُ حَرْبًا؛ قَالَ: فَقَامَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ رَأَى مَا يَصْنَعُ بِهِ أَصْحَابُهُ لا يَتَوَضَّأُ وُضُوءً، إِلا ابْتَدَرُوهُ؛ وَلا يَبْسُقُ بُسَاقًا، إِلا ابْتَدَرُوهُ؛ وَلا يَسْقُطُ مِنْ شَعَرِهِ شَيْءٌ، إِلا أَخَذُوهُ؛ فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي جِئْتُ كِسْرَى فِي مُلْكِهِ، وَجِئْتُ قَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيَّ فِي مُلْكِهِمَا، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ؛ وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لا يُسْلِمُونَهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا، فَرُوا رَأْيَكُمْ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ بَعَثَ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ إِلَى مَكَّةَ وَحَمَلَهُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: الثَّعْلَبُ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ عَقَرَتْ بِهِ قُرَيْشٌ، وَأَرَادُوا قَتْلَ خِرَاشٍ فَمَنَعَهُمْ الأَحَابِشُ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَدَعَا عُمَرَ لِيَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي: عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

قَالَ: فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ؛ فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَدِفَ خَلْفَهُ، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ

رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ[1].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ: «**لا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ**»، روى مسلم عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ سَمِعَ جَابِرًا يَسْأَلُ: كَمْ كَانُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: كُنَّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً، فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ[2]، فكانت بيعة الرضوان.

وبايعت أم هشام يومها رسول الله ﷺ، فربح بيع المبايعين، وكانوا بالجنة فائزين فقد أخرج الترمذي عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ خِدَاشٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إلا صَاحِبَ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ**» قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»[3].

وَحَدَّثَ قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ**»، قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[4].

رحم الله أم هشام، ووالدها حارثة بن النعمان فقد وفيا بعهد الإسلام، وأخلصا له الإخلاص التام.



(1) حديث الحديبية طويل رواه: أحمد/كتاب: أول مسند الكوفيين/باب: حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم/برقم: (18152).

(2) رواه: مسلم/كتاب: الإمارة/باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال/برقم: (3451).

(3) رواه: الترمذي/كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/باب: فيمن سب أصحاب رسول الله ﷺ/برقم: (3798).

(4) رواه: الترمذي/كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/باب: في فضل من بايع تحت الشجرة/برقم: (3795).

25 - السيدة الرُّبَيِّع بنت النضر

أخت المجاهد الصادق

اسمها الرُّبيِّع، والدها النضر بن ضمضم، وكانت تُكنى بأم حارثة، وكان لها أخوان: مالك بن النضر، وأنس بن النضر؛ أما مالك فكان زوج المؤمنة المبايعة المجاهدة أم سُلَيْم بنت ملحان، أنجبت له أنساً، والبراء، وقد فارقها زوجها لإصرارها على الإسلام، ثم قُتل كافراً، وأما أنس بن النضر فقد آمن، وخرج مجاهداً مع رسول الله ﷺ إلى أُحُد فسطَّر صفحةً رائعةً من صفحات تاريخ الإسلام المجيدة، فقد أورد ابن جرير الطبري في تاريخه، عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع، أخي بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة ابن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ قالوا: قد قُتل محمد رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا كِراماً على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل؛ وبه سُمِّيَ أنس بن مالك[1].

حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْخُزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا، قَالَ: وحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ، حَدَّثَنَا زِيَادٌ قَالَ: حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ - يَعْنِي: أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ

---

(1) تاريخ الطبري (2/ 517).

مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ مُقَاتِلاً، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ الرُّبَيِّعُ، عَرَفَتْهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى - أَوْ نَظُنُّ - أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: 23، 24][1].

وروى الإمام أحمد عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: غِبْتُ مِنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، الْمُشْرِكِينَ لَئِنْ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالاً لِلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي: أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَلَقِيَهُ سَعْدٌ لأُخْرَاهَا دُونَ أُحُدٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا مَعَكَ، قَالَ سَعْدٌ: فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ فَوُجِدَ فِيهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ، مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، قَالَ: فَكُنَّا نَقُولُ: فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ نَزَلَتْ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: 23 - 24][2].

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾/ برقم: (2595).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (12612).

إسلامها

ولِمَا أراد الله بالربيع من الخير، فقد سلكت سبيل أخيها أنس بن النضر، فكانت مع الفائزين، وأعرض مالك بن النضر عن طريق أخته وأخيه أنس فكان من الخاسرين، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

تربَّت الربيع في ظلال الإسلام الوارفة، ونهلت من أصفى ينابيع الهداية، وأعذب مواردها رسول الله ﷺ، وكانت من الذين قال الله عنهم في كتابه المبين: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: 34 - 35].

أم الشهيد حارثة

وحين سمع رسول الله ﷺ أن قافلة لقريش عائدة من الشام يقودها أبو سفيان بن حرب، وفيها أموالٌ عظيمة لقريش، أمر أصحابه باعتراضها، وأخذ ما فيها تعويضاً عن أموال المسلمين المهاجرين التي تركوها في مكة ثم استولت قريش عليها.

وهبَّ المسلمون ملبِّين نداء رسول الله ﷺ آملين الفوز بإحدى الحسنيين: النصر، أو الشهادة.

وكان أبو سفيان قد بعث طليعة أمامه لتوافيه بأخبار المسلمين، ولما علم أنهم سيعترضون طريق قافلته أرسل رسولاً إلى قريش لتنجده، وتنقذ أموالها قبل أن تصبح غنيمة للمسلمين، فدعا أشقى قريش أبو جهلٍ الناسَ لإدراك القافلة، وحماية الأموال، والقضاء على المسلمين، واستطاع أبو سفيان أن يغيِّر طريق القافلة عن طريق المسلمين، حتى وصل بها إلى مكة سالمة، ولما رأت قريش أن أموالها لم تُصب بسوء قالوا: لا حاجة بنا إلى قتال المسلمين، غير أن أبا جهلٍ ركب رأسه، واستسلم لأوهامه، وصمم

على القضاء على المسلمين دون أن يعلم ما يخبئه القدر له من سوء المصير، واستكره الناس على الخروج إلى بدر على الرغم من معارضة الكثيرين له، ولكنهم انصاعوا لإلحاحه، وخرجوا معه كارهين.

وما إن علم رسول الله ﷺ بنيَّة قريش وإعدادها ألف مقاتل للقاء المسلمين في بدر حتى خرج لها في ثلاثمائة وثلاثة عشر من المسلمين، وكان يحمل راية المهاجرين فارس الإسلام علي بن أبي طالب، ويحمل راية الأنصار سعد بن معاذ.

واصطفَّ الجمعان وقد اقترح سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يُبنى لرسول الله ﷺ عريش ليراقب سير المعركة ويوجِّهها منه؛ واقترح الحباب بن المنذر رضي الله عنه بناء حوض وملأه بالماء، وتغوير الآبار حتى يشرب المسلمون، ولا يشرب المشركون فقال له رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ**» ثم قَالَ رَسُولُ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**هَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ إِنْ شَاءَ اللهُ غداً** – قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ – **وَهَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ هَاهُنَا، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ هَاهُنَا**»، قَالَ أَنَسُ: فَمَا مَاطَ[1] أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهمَّ لاَ تُفْلِتَنَّ أَبَا جَهْلٍ فِرْعَوْنَ هذِهِ الأُمَّةِ، اللَّهُمَّ لاَ تُفْلِتَنَّ زَمْعَةَ بْنَ الأَسْوَدِ**»، ثم صفَّ المسلمين كصفوف الصلاة، وأمرهم ألا يحملوا حتى يأمرهم، ثم قال: «**إِنْ اِكْتَنَفَكُمْ القَوْمُ فَانْضَحوهُمْ عَنكُمْ بِالنَّبْلِ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ** – أَيْ لاَ تَرْمُوا عَنْ بُعْدٍ – **وَلاَ تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ**»، قَالَ: فَبرزَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيْعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ بْنُ رَبِيْعَةَ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةُ فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ؟، فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ سِتَّةٌ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لا نُرِيدُ هَؤُلاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

---

(1) مَا مَاطَ: أيْ مَا تَنَحَّى.

(2) رواه: مسلم/كتاب: الجهاد والسير/باب: غزوة بدر/برقم: (3330).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا عَلِيُّ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**»، فلما قام الثلاثة، ودنوا من فرسان قريش، قالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عُبَيْدَةُ بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، فقالوا: نعم، أكفاء كرام، **فَقَتَلَ اللهُ تَعَالَى عُتْبَةَ** وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ، فقد اختلفا ضربتين هو وعُتْبَةُ فأثختناهما[1] وبادر حمزة وعلي إلى عُتْبَةَ فأجهزا عليه، ثم حملا صاحبهما عُبَيْدَةَ بن الحارث خلف معسكر المسلمين وقد قطعت رجله.

ثم دارت رحى المعركة، واستبسل المسلمون استبسالاً شديداً، وأظهروا شجاعةً فائقةً في مناجزة أعداء الله والدين، وكان رسول الله ﷺ يضرع إلى الله، ويستنجزه وعده بالنصر، ويرجوه أن ينصر المسلمين وأشفق أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ من كثرة دعائه وضراعته إلى الله لينصره، روى البخاري عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لا تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ**»، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)**﴾ [القمر: 45 - 46][2].

وأشرق وجه رسول الله ﷺ فقال لأبي بكر: «**أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا هُوَ جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ، عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ**»[3]؛ وفي

(1) أثختناهما: أي جرح كل واحد منهما صاحبه.
(2) رواه: البخاري/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: قَوْلِهِ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)﴾ يَعْنِي مِنَ الْمَرَارَةِ/ برقم: (4497).
(3) النَّقْعُ: الغبار.

رواية عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «**هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ**»[1].

وأخذ رسول الله ﷺ يُحرِّض المؤمنين على القتال، ويقول: «**وَالَّذِي نَفسُ مُحمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يُقَاتِلُهُمْ اليَوْمَ رَجُلٌ فيُقْتَلُ صَابِراً مُحْتَسِباً، مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ**» ولما سمع ذلك عُميْر بن الحُمام أخو بني سلمة، وكانت في يده تمرات يأكلها، قال: بخٍ بخٍ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة، إلا أن يقتلني هؤلاء؟!!، ثم قذف التمرات من يده، واقتحم بسيفه الصفوف، وظل يقاتل مقبلاً غير مدبر حتى سقط شهيداً، رحمه الله تعالى.

روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ، وَهَارُونَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ - وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ - قَالُوا: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ - وَهُوَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ - عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا**» فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «**لا إِلا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا**».

فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**».

فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا**

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المغازي/ باب: شهود الملائكة بدراً/ برقم: (3694).

السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»** قَالَ: بَخٍ بَخٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟»** قَالَ: لا وَاللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِلا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا قَالَ: **«فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»**، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ، وَرَاحَ يَرْتَجِزُ:

رَكْضاً إِلَى اللهِ بِغَيْرِ زَادِ … إِلاَّ التُّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللهِ عَلَى الجِهَادِ … وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرُ التُّقَى وَالبِرُّ وَالرَّشَادِ

وَاقْتَحَمَ عُمَيْرُ صُفُوفَ العَدُوِّ، وَاسْتَبْسَلَ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالشَّهَادَةِ، فَهُوَ لَمْ يَتَرَاجَعْ حَتَّى قُتِلَ[1].

وقال عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء -: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده[2]؟، قال رسول الله ﷺ: **«غَمْسُهُ يَدَهُ فِي العَدُوِّ حَاسِراً»**، فنزع درعاً كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه وأقدم فقاتل القوم حتى قتل.

لقد شحذت كلمات النبي ﷺ، ومشاهد البطولة التي أبداها عمير وعوف وإخوانهم همَّة حارثة فخاض غمار القتال، وأبدى أروع استبسال، حتى أوفى بعهد ذي الجلال، ومات ميتة الأبطال، وتوقَّف هدير السيوف، وأسفرت المعركة عن قتل أبي جهلٍ، وأُميَّة بن خلف، وبقية سفهاء المشركين.

وعاد جند الله إلى المدينة بأكاليل الغار ترفرف على هاماتهم رايات الانتصار، ووقف أهالي الأبطال العائدين لاستقبال أبنائهم وإخوانهم

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الإمارة/ باب: ثبوت الجنة للشهيد/ برقم: (3530).

(2) ما يضحك الرب من عبده: أي ما يرضيه منه غاية الرضا.

وأزواجهم، ووقفت الربيع بنت النضر تنظر إلى الوجوه لتكحُل عينيها بفارسها المقدام، وشبلها الهُمام حارثة.

ابنها من أهل الفردوس

ورحم أحد العائدين لهفتها، وأشفق على طول انتظارها، فدنا منها وقال لها: يا أم حارثة، احتسبي ابنك، فقد رأيته يُقتل أمامي! وتماسكت أم حارثة، وكادت الغصَّة تخنقها، وأخذت تسترجع، وتقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والتمست الصبر، لكن عينيها لم تطيعاها، فانهمرتا بالدموع.

لقد ربَّت الربيع ابنها حارثة لمثل هذه الساعة، وكانت مستعدة لها، ولكن هل انتهت علاقتها به بعد أن رحل عنها وتركها وحيدة؟ إن أمر حارثة لم ينتهِ عند أمه، فثمَّة شيءٌ يجول في خاطرها، ويلحُّ على ضميرها، فهي لن تقرَّ عيناً حتى تَعْلَمَه، لقد علمت أن حارثة قد قُتل، وانقطعت صلته بالحياة، ولكن بقي عليها أن تعرف إلى أين مضى؟ وأين ينتهي به المطاف؟.

ومن يمنحها الجواب الشافي غير رسول الله ﷺ؟ فلتنطلق إليه ليريحها من قلقها، ويهدِّئ من روعها.

حَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رضي الله عنه يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَيْحَكِ! أَوَ هَبِلْتِ؟! أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ**»[1].

وكان جواب رسول الله ﷺ برداً وسلاماً على قلب الربيع، فحمدت

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المغازي/ باب: فضل من شهد بدراً/ برقم: (3683).

الله على ما أصاب حارثة من الخير، وعادت إلى دارها بعد أن جادت بفلذة كبدها في سبيل الله تعالى، رحمه الله تعالى.

وبعد فترة وقع شجار بين الربيع رضي الله عنها وإحدى النساء فضربتها الربيع وكسرت ثَنِيَّتَها، وانطلق أهل المرأة إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه ما فعلته الربيع بصاحبتهم.

وجاءت الربيع وأخوها أنس بن النضر إلى رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ: «**القِصَاصُ!**»، وروى الحادثة البخاري فقال: إِنَّ الرُّبَيِّعَ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَرَضُوا بِالأَرْشِ وَتَرَكُوا الْقِصَاصَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**»[1].

لقد أبرَّ الله قسم أنس بن النضر إكراماً لهذه الصابرة المؤمنة المحتسبة أم الشهيد حارثة، لقد صدقت الربيع وابنها ما عاهدا الله عليه، فصدقهما، رحم الله أنس بن النضر شهيد أُحد، ورحم الله ابن الربيع، ورحم الله الربيع، ومتَّعهم بالجنة يوم تزفُّه إلى الحور العين.



(1) رواه: البخاري/ كتاب: تفسير القرآن/ باب: قوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾/ برقم: (4245).

٢٦ - السيدة سلمى بنت عميس

الأخت المؤمنة

اسمها سلمى، والدها عُميس بن سعد[1]، والدتها هند بنت عوف، أختها أم المؤمنين ميمونة زوج النبي ﷺ، وأختها لبابة أم الفضل زوج العباس رضي الله عنه، وأختها أسماء زوج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وتزوجت سلمى رضي الله عنها أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء رضي الله عنه.

وكفى بهؤلاء الأخوات فضلاً وصف رسول الله ﷺ لهنَّ بالإيمان، فالإيمان أول الفضائل وأعلاها منزلة، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الأَخَوَاتِ لَمُؤْمِنَاتٌ**»، وفي لفظٍ: «**الأَخَوَاتُ الأَرْبَعُ مُؤْمِنَاتٌ ميمونة، وأم الفضل ابنتا الحارث؛ وسلمى، وأسماء ابنتا عُمَيْسٍ**».

وكان لهنَّ أثرٌ بالغٌ في نشر الإسلام في أوساط النساء، وفي الدعوة إلى الله قولاً وعملاً وسلوكاً، فهنيئاً لهنَّ، ورَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ.

أنجبت سلمى لحمزة ابنته عُمارةَ، التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة، روى أبو داود، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُجَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى مَكَّةَ فَقَدِمَ بِابْنَةِ حَمْزَةَ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا آخُذُهَا، أَنَا أَحَقُّ بِهَا، ابْنَةُ عَمِّي وَعِنْدِي خَالَتُهَا، وَإِنَّمَا الْخَالَةُ أُمٌّ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا ابْنَةُ عَمِّي، وَعِنْدِي ابْنَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ أَحَقُّ بِهَا، فَقَالَ زَيْدٌ: أَنَا أَحَقُّ

(1) في الاستيعاب: «عميس بن مالك بن النعمان»، وفي سيرة ابن هشام: «عميس بن سعد بن الحارث».

بِهَا، أَنَا خَرَجْتُ إِلَيْهَا، وَسَافَرْتُ، وَقَدِمْتُ بِهَا فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**وَأَمَّا الْجَارِيَةُ فَأَقْضِي بِهَا لِجَعْفَرٍ، تَكُونُ مَعَ خَالَتِهَا وَإِنَّمَا الْخَالَةُ أُمٌّ**».

وَعَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هَانِئٍ وَهُبَيْرَةَ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ مَكَّةَ، تَبِعَتْنَا بِنْتُ حَمْزَةَ، تُنَادِي: يَا عَمُّ، يَا عَمُّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: دُونَكِ، بِنْتَ عَمِّكِ، فَحَمَلَتْهَا، فَجَاءَ جَعْفَرٌ وَقَالَ: ابْنَةُ عَمِّي، وَخَالَتُهَا تَحْتِي، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا وَقَالَ: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**»[1].

ولقيت سلمى أياماً عصيبة في بدء الدعوة، فقد فارقتها أختها أسماء مهاجرة مع زوجها جعفر إلى الحبشة فراراً بدينهما من إيذاء قريش للمسلمين، غير أنه قرَّت عيناً بعد إسلام زوجها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

إسلام زوجها

ولكن كيف أسلم حمزة؟ يقول ابن هشام في سيرته: عن ابن إسحاق: حدثني رجل مِنْ أَسْلَمَ كان وَاعِيَةً: أن أبا جهلٍ مَرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلِّمه رسول الله ﷺ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان بن عمرِو بن كعبِ بن سعدِ بن تَيمِ بن مُرَّةَ في مسكنٍ لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادٍ من قريش عند الكعبة، فجلس معهم.

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشِّحاً قوسه، راجعاً من قَنَصٍ له، وكان صاحب قَنَصٍ يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصلْ إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادٍ من قريش إلاَّ وقف وسلَّم وتحدَّث معهم، وكان أعزَّ فتًى في قريش، وأشد

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الطلاق/ باب: من أحق بالولد/ برقم: (1940).

شكيمة، فلما مَرَّ بالمولاة وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارةَ، لو رأيتَ ما لقي ابنُ أخيكَ محمدُ آنفاً من أبي الحكم بن هشام، وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبَّه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه، ولم يكلِّمه محمدٌ ﷺ، فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أَحَدٍ مُعِدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس فضربه بها، فشجَّه شجَّةً مُنكَرَةً، ثم قال له: أتشتمه، وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت، فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهلٍ؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارةَ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً.

وتَمَّ حمزة رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[1].

وزاد غير ابن إسحاق في إسلام حمزة أنه قال: لما احتملني الغضب، وقلت: أنا على قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبِتُّ من الشك في أمر عظيم، لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة، وتضرَّعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق، ويُذهبَ عني الريب، فما استتمت دعائي حتى زاح عني الباطل، وامتلأ قلبي يقيناً، فغدوت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يُثَبِّتَنِي الله.

وقال حمزة حين أسلم أبياتاً منها:

حَمِدْتُ اللهَ حِيْنَ هَدَى فُؤَادِي ... إِلَى الإِسْلاَمِ وَالدِّيْنِ الحَنِيْفِ
لِدِيْـنٍ جَـاءَ مِـنْ رَبٍّ عَـزِيْـزٍ ... خَبِيْـرٍ بِـالـعِبَـادِ بِـهِـمْ لَـطِـيْـفِ
إِذَا تُـلِـيَـتْ رَسَـائِلُهُ عَـلَـيْـنَـا ... تَحَدَّرُ دَمْعُ ذِي اللُّبِّ الحَصِيْفِ

(1) سيرة ابن هشام (1/ 328، 329).

رَسَائِلُ جَاءَ أَحْمَدُ مِنْ هُدَاهَا بِآيَاتٍ مُبَيَّنَةِ الحُرُوفِ

وعاشت سلمى مع زوجها حمزة في واحة الإسلام الظليلة يعبَّان كؤوس السعادة عبّاً، كان حمزة ممتلئاً قوة وشباباً، وقد كساه الإسلام حلة من المهابة والوقار حتى إن أبا جهلٍ، على الرغم مما عُرف عنه من السَّفَهِ والطيش هاب - حين شجَّه حمزة - أن يرد عليه بضربةٍ، أو حتى بكلمةٍ.

لقد أمدَّ الإسلام حمزة بقوة إلى قوته، ومنحه هيبة إلى هيبته، وبات الذين كانوا يحسبون له حساباً واحداً يحسبون له ألف حسابٍ.

هجرتها إلى المدينة

ولما أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة، هاجرت سلمى مع زوجها حمزة إلى المدينة، وبعد وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة كان أول ما صنعه الأمر ببناء المسجد النبوي الشريف، والحجرات التي ستسكن فيها أمهات المؤمنين - رَضِيَ اللهُ عَنهُنَّ - ثم كانت غزوة بدرٍ، حيث أبلى حمزة أحسن بلاء، وقتل من المشركين نفراً كان من أبرزهم شَيْبَةُ بْنُ رَبِيْعَةَ، ثم ذفَّفَ[1] مع علي بن أبي طالب على عُتْبَةَ بْنَ رَبِيْعَةَ بعد أن جرحه عُبَيْدَةُ بن الحارث رضي الله عنه، وحقَّق المسلمون يوم بدر أعظم انتصار.

وفقدت قريش سبعين من أعظم قادتها، وأُسر لها سبعون، فقرَّرت أن تثأر لقتلاها يوم أُحُد، وكانت هند بنت عتبة قد قُتل أبوها وعمها وأخوها في بدر فأغرت غلاماً حبشياً يُدعى وحشياً بجائزةٍ مجزيةٍ إن هو قتل لها حمزة ثأراً لأبيها وعمها وأخيها الذين قتلوا يوم بدر.

وكان وحشي يجيد استعمال الحربة، فنزل إلى ساحة القتال وراح يرصد تحرُّك حمزة فرآه يفتك بالمشركين حتى إذا أصبح في مرمى حربته سدَّدها إليه بقوة، فاستقرت أسفل بطنه، وسقط سيد الشهداء صريعاً؛

---

(1) ذفَّفَ: أجهز.

وجاءت هند فبقرت بطنه، واستخرجت كبده، فقضمت منها ولاكتها ولكنها لم تُسِغها فلفظتها.

ثم مثَّلت بجثته فَصَلَمَتْ أُذُنيه، وَجَدَعَتْ أنفه، ولما رأى رسول الله ﷺ ما حلَّ بعمه حمزة حزن عليه كثيراً، واعتدَّت سلمى رضي الله عنها حتى إذا حلَّت تزوَّجها شدَّاد بن الهاد الليثي فولدت له عبد الله، وظلَّت سلمى مطيعةً لربها ولرسوله ﷺ، مواظبةً على عبادتها، حتى دُعيت إلى لقاء الله فلبَّت دعواه، رحمها الله تعالى، وأحسن قبولها.



27 - السيدة الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ

الأنصارية زوجة المهاجر

اسمها الرُّبَيِّعُ، والدها مُعَوِّذُ بن الحارث وهو ابن عفراء، والدتها أم يزيد بنت قيس، وزوجها المهاجر إياس بن أبي البُكَيْر الليثي، وقد أنجبت له محمد بن إياس، وقد حصل بينها وبين زوجها خلاف تعذَّرت معه الحياة بينهما، فقالت له الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ: لك كل شيءٍ وفارقني فقال لها زوجها إياس: قد فعلت.

تقول الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ رضي الله عنها: فدفعت له كل شيء غير درعي[1] فخاصمني إلى عثمان بن عفان فقال عثمان رضي الله عنه: له شرطه يا رُبَيِّعُ، فدفعته له حسب رغبة أمير المؤمنين.

كانت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ من السابقين الأوائل للإسلام، وقد شهد والدها مُعَوِّذُ بن الحارث وعمَّاها عوف ومعاذ مع رسول الله ﷺ بدراً، وقُتل والدها يومئذٍ وعمها عوفاً، وقد ترحَّم رسول الله ﷺ على ابني عفراء، فقال: **«رَحِمَ اللهُ ابْنَيْ عَفْرَاءَ، اشْتَرَكَا فِي قَتْلِ فِرْعَوْنَ هذِهِ الأُمَّةِ، وَرَأْسِ أَئِمَّةِ الكُفْرِ»**، فقيل: يا رسول الله، من قتله معهما؟ قال: **«المَلائِكَةُ، وَذَفَّفَ عَلَيْهِ ابْنُ مَسْعُودٍ»**.

وقد استُشهد والدها يوم بدر - رحمه الله تعالى - وقد عرف الأنصار عامة بالكرم، وكانت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ تُهادي رسول الله ﷺ بأنواع من الطعام بين الحين والآخر، وكان رسول الله ﷺ يزور بيت الرُّبَيِّعِ ويأكل عندها ويتوضَّأ، وقد كانت هذه الزيارات المباركة تزيد الرُّبَيِّعَ علماً وفقهاً في الدين.

(1) الدِّرع: القميص.

راوية الحديث

وقد قصد حَبْرُ الأمة وترجمانُ القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إليها ليسألها عن وضوء رسول الله ﷺ، لأنها كانت الراوية لصفة وضوء رسول الله ﷺ.

وجاء في سنن أبي داود عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِينَا، فَحَدَّثَتْنَا أَنَّهُ قَالَ: «اسْكُبِي لِي وَضُوءً» فَذَكَرَتْ وُضُوءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ فِيهِ: فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثًا، وَوَضَّأَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ مَرَّةً، وَوَضَّأَ يَدَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ مَرَّتَيْنِ بِمُؤَخَّرِ رَأْسِهِ ثُمَّ بِمُقَدَّمِهِ، وَبِأُذُنَيْهِ كِلْتَيْهِمَا ظُهُورِهِمَا وَبُطُونِهِمَا، وَوَضَّأَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا.

قَالَ أَبُو دَاوُد: وَهَذَا مَعْنَى حَدِيثِ مُسَدَّدٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ ابْنِ عَقِيلٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ، يُغَيِّرُ بَعْضَ مَعَانِي بِشْرٍ قَالَ فِيهِ: وَتَمَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلَاثًا[1].

وكفى الرُّبَيِّعُ فضلاً أن تذكر كتب الفقه والسنن هذا الحديث مروياً عنها!، وكانت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ رضي الله عنها حسنة العبارة، جيدة الوصف روى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ: صِفِي لَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، لَوْ رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً[2].

مشاركتها في الجهاد

وكانت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ تخرج مع النسوة اللواتي كنَّ يخرجن مع رسول الله ﷺ إلى الغزو، وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عَنْ خَالِدِ

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الطهارة/ باب: صفة وضوء النبي ﷺ/ برقم: (108).

(2) رواه: الدارمي/ كتاب: المقدمة/ باب: في حسن النبي ﷺ/ برقم: (60)، وقد ذكره البيهقي في دلائل النبوة (1/ 200).

ابْنِ ذَكْوَانَ، عَنْ رُبَيِّعَ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَسْقِي الْقَوْمَ، وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الْقَتْلَى وَالْجَرْحَى إِلَى الْمَدِينَةِ[1].

شهودها بيعة الرضوان

وكانت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ قد شهدت بيعة الرضوان في السنة السادسة للهجرة، ففازت برضاء الله تعالى، قال عزَّ من قائل: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: 18 - 19]، فما الذي حدث في تلك البيعة؟ وما السبب الذي دعا إليها؟.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ بَعَثَ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ إِلَى مَكَّةَ وَحَمَلَهُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: الثَّعْلَبُ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ عَقَرَتْ بِهِ قُرَيْشٌ، وَأَرَادُوا قَتْلَ خِرَاشٍ فَمَنَعَهُمْ الأَحَابِشُ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَدَعَا عُمَرَ لِيَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ تُرْسِلُهُ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي: عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

قَالَ: فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ؛ فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَدِفَ خَلْفَهُ، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ

(1) رواه: البخاري/ كتاب: الطب/ باب: هل يداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل/ برقم: (5247).

رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ[1].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ: «**لا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ**»، ونادى مناديه ﷺ: ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ فأمره بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله تعالى، فبايعوه فثار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وبايعوه على الموت

قال نافع: إن عمر رضي الله عنه يوم الحديبية أرسل ابنه عبد الله إلى فَرَسٍ له عند رجلٍ من الأنصار أن يأتي به ليقاتل عليه ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله ثم ذهب إلى الفَرَس فجاء به إلى عمر، وعمر رضي الله عنه يَسْتَلْئِمُ[2] للقتال، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ.

وصحَّ أن رسول الله ﷺ ضرب بيده اليمنى على يده الأخرى وقال: «**هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ**»، روى الترمذي عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَبَايَعَ النَّاسَ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ**» فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لأَنْفُسِهِمْ؛ قَالَ الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»[3].

وكانت عدَّة المؤمنين ألفاً وأربعمائة على أصح الأخبار، ومنهم الرُّبَيِّعُ

---

(1) حديث الحديبية طويل رواه: أحمد/ كتاب: أول مسند الكوفيين/ باب: حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم/ برقم: (18152).

(2) يَسْتَلْئِمُ: أي يلبس اللأمة، وهي عدَّة الحرب.

(3) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: في مناقب عثمان بن عفان/ برقم: (3635).

بنتُ مُعَوِّذٍ ﷺ وعلم عمر ﷺ أن الناس يأتون الشجرة فيصلون عندها، فأمر بقطعها خشية الفتنة، لقرب الجاهلية، وعبادة غير الله فيهم.

ونالت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ مع المشاركين في البيعة بشارة رسول الله ﷺ إذ حَدَّثَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَيَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ الرَّمْلِيُّ أَنَّ اللَّيْثَ حَدَّثَهُمْ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[1] فهنيئاً للرُّبَيِّع ولأصحاب البيعة المباركة تحت الشجرة التي أظلَّتهم، وأفاضت عليهم من خيرها وبركتها حين تفيَّأ رسول الله ﷺ ظلالها، فحيثما حلَّ حلَّت البركة، وعمَّت على الناس.

وبلغت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذٍ من العلم مكانةً مرموقةً جعلت علماء التابعين يروون عنها حديث النبي ﷺ كعائشة بنت أنس بن مالك ﷺ، وسليمان بن يسار ﷺ.

ولما كانت سنة خمسٍ وأربعين للهجرة، وافتها المنيَّة في خلافة، معاوية ﷺ، رحم الله الرُّبَيِّعَ بنتَ مُعَوِّذٍ وأنزلها مع المكرمين ورضي عنها وأرضاها.



(1) رواه: أبو داود/ كتاب: السنة/ باب: في الخلفاء/ برقم: (4034).

28 - السيدة معاذة الخزرجية

العفيفة مولاة زعيم المنافقين

اسمها معاذة، والدها عبد الله بن جُبَير، أنصارية خزرجية، كانت معاذة أَمَةً لعبد الله بن أُبي بن سلول زعيم المنافقين.

ولما أسلمت تغلغل الإيمان إلى جميع جوارحها، وهذا ما دفعها إلى تحديد مسيرة حياتها على أساس مبادئ الإسلام، وهُداه القويم، ولما كان الإسلام يدعو إلى محافظة المرأة على شرفها وطهرها وصون عفتها، فقد جعلت معاذة ذلك شعارها.

ولكن كان لمولاها رأس المنافقين رأيٌ آخر مخالف لرأيها، إنه لا يعجبه أن تتمسَّك بدينها، وتحافظ على شرفها وعفَّتها، ولا يسرُّه أن تعيش طاهرة كالنور، نقية كالثلج، بل يريد أن يلوِّث سمعتها، ويلطِّخ شرفها، ويرمي بجسدها في مستنقعٍ مترعٍ بالأوحال والأرجاس.

لقد أعطى الإسلام للشرف أولوية في حياة المرأة، فإذا صانته عاشت عزيزة مكرَّمة، وإذا أهدرته لم يبقَ لحياتها قيمة ولا معنى، وما أرخصها، وما أذلَّها لو سلكت هذا السبيل! لقد منحها الله عزوجل جمالاً بارزاً، ولكنها صانته عن مطامع الطامعين، وعبث العابثين.

ولكن مولاها الفاجر يود لو يستغلُّ جسدها الطاهر في البِغاء، ليحصل على المال والثراء، ولا يهمه أن يسبِّب لغيره الشقاء، إنه يريد أن يستغلَّ جسدها الطاهر الجميل أبشع استغلال، ويلقي بها في مهاوي الرذيلة، وأودية الفساد ليأتي بالمال من أقذر طريق.

ومن لم يكن له وازعٌ من دين، ورادعٌ من ضمير، لم يأبه للمال من أي

مورد حصل، ولا كيف إلى يده وصل؟ وكيف يهتم بهذه الأشياء وقد خلع برقع الخجل والحياء؟ وإذا كان ابن أُبي قد تخلَّى عن الإيمان، ولبس ثوب النفاق والهوان، فكيف يصون كرامة الإنسان؟.

محنة إجبارها على البغاء

لقد أوضح لمعاذة أنه يرغب في جعلها بغيّاً، وأن عليها أن تمكِّن من نفسها كل من يدفع له المال، وما الزنا - في رأيه - إلا عمل من الأعمال، غير أنه يدر الكثير الكثير، وهو بحاجة إلى المال الوفير، ولما كانت عبدة من العبيد، فعليها أن تنفِّذ كل ما يريد.

ولكن المؤمنة الطاهرة أبت أن تطيعه، وكيف تطيعه في أمرٍ حرامٍ، مخالف لدين الإسلام؟ ذلك الدين الذي امتنَّ الله به عليها، وأصبح في الحياة أغلى ما لديها، ها هو ذا القرآن الكريم يقول لها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: 32].

ويقول أيضاً: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور: 33].

أتطيع مولاها، أم تطيع خالقها؟ ورسولها الذي قال: «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»، وفي رواية: عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ**»[1].

وروى الإمام أحمد عَنْ سُفيَانَ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الجهاد/ باب: في الطاعة/ برقم: (2256).

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»**(1).

إن إيمانها الراسخ المتين يأمرها بطاعة الله والرسول، لأن دعوة الله والرسول فيها حياة لمن يستجيب إليها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾ [الأنفال: 24].

أما دعوة سيدها الفاسق الفاجر فهي دعوة إلى الهلاك والخسران والتباب، فكيف ترضاها، أو تصغي إليها وتلبِّيها؟! إنها امرأة شريفة فاضلة، بايعت رسول الله ﷺ مع أخواتها المسلمات على ألَّا يسرقن ولا يزنين ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينه في معروف.

وهذا الباغي الأثيم يدعوها إلى نقض عهدها وبيعتها لرسول الله ﷺ، ويحضُّها على معصية خالقها، ولكن هيهات! هيهات لما يدعوها إليه! إن إيمان معاذة رضي الله عنها لعميق الجذور، وليس لوغدٍ سافلٍ كابن أُبي إلى اقتلاعه سبيل! لقد سمعت معاذة رسول الله ﷺ يقول للنساء المبايعات حين أكثرن عليه: **«فِيمَ اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ»**.

إنه أمرٌ بالصبر، فَلْتَصْبِرْ على هذا الباغي الأثيم، ولْتُجَاهِدْه قدر استطاعتها، وحسب ما تحتمل وتطيق، فإن الله لن يخذلها ولن يتخلَّى عنها، بل سيكون لها خير ظهير.

وأمعن ابن أُبي في غيه، وتمادى في ضلاله، وكرَّر محاولاته الدنيئة، فقالت له: إن الإسلام الذي آمنت به واتَّخذته معتقداً يأبى لي ما تطلبه، وينهاني عن طاعتك فيما يغضب ربي.

وجن جنون ابن أُبي وثارت ثائرته، فأخذ يشتمها ويضربها، ويلقي

(1) رواه: أحمد/ كتاب: ومن مسند العشرة المبشرين بالجنة/ باب: مسند علي بن أبي طالب/ برقم: (1041).

على مسامعها أحقر ألفاظ البذاءة والسباب، وراح يقول لها: «أنت ملك لي، وما دمتِ كذلك، فلي الحق أن أفعل بك ما أشاء»، ونسي ذلك الأحمق أن الملك لله الواحد القهار، وأن الخلق كلهم عيال الله، ونسي أن أحب عيال الله إلى الله أنفعهم لعياله.

كشف كربتها بعد صبرها

وصبرت المسكينة على ضربه وأذاه، واحتملت شتائمه وسفالته، وراحت تضرع إلى الله أن يصونها من الزلل، ويحميها من الخطيئة، ويرحم ضعفها، ويمدها بقوة من عنده، إنه ذو القوة المتين.

واستمرت معاذة صابرة على أذاه، دون أن تذعن لرغبته وهواه، حتى أذن الله تعالى بكشف غمها، وإزالة كربها، فقيَّض لها رجلاً من المسلمين كان قد سمع بمعاناتها، والظلم التي تتعرض له، فأتى إلى مولاها ابن أُبي وساومه عليها، واشتراها منه، ثم أعتقها لوجه الله تعالى، وأصبحت لا سلطان عليها لغير الله.

وبادر رجلٌ من بني عمرو بن عوف يقال له «سهلٌ بن قرطة» إلى خطبتها فتزوجته، وأثمر زواجهما عن ذكرٍ وأنثى هما عبد الله وأم سعيد وكان كلاهما من أفاضل مسلمي الأنصار.

وذاقت معاذة مع زوجها سهل طعم السعادة، ولكن جاءه الأجل على حين غِرَّةٍ فلبَّى نداء ربه، ولما حلَّت خطبها عامر بن عدي فتزوجته، ورزقهما الله بنين وبنات ربَّتهم معاذة على مبادئ الإسلام، وحب الله وحب رسوله ﷺ، لقد عفَّت عن الحرام فأغناها الله من فضله، وزوَّجها وفق شرعه وسنَّة نبيه، ومنحها ذرية طيبة ونسلاً طاهراً.

قال تعالى في مطلع سورة «المؤمنون»: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: 1 – 7].

لقد حافظت على عهدها مع الله، فحفظها من العبث والفجور، وصانها من جاحدٍ كفورٍ، وعوَّضها عن عذابها بالسعادة والسرور.

رحم الله معاذة الطاهرة النقيَّة، وأنزلها دار النعيم.



29 - السيدة أم المنذر بنت قيس

الأنصارية المبايعة

اسمها سلمى، والدها قيس بن عمرو، وكانت تُكنى بأم المنذر، وأخوها بطل من أبطال معركة الجسر، واسمه سليط بن قيس، وكان مشهوراً بشجاعته وإقدامه وجرأته في الحق، وجهاد الكافرين.

وقد جاءت أم المنذر مع أخواتها المسلمات إلى رسول الله ﷺ ليبايعنه، وها هي ذي تروي لنا قصة تلك البيعة كما جاء عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي سَلِيطُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ سَلْمَى بِنْتِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ إِحْدَى خَالاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ - قَدْ صَلَّتْ مَعَهُ الْقِبْلَتَيْنِ، وَكَانَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، قَالَتْ: جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَبَايَعْتُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا شَرَطَ عَلَيْنَا أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا نَسْرِقَ وَلا نَزْنِيَ وَلا نَقْتُلَ أَوْلادَنَا وَلا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، قَالَ: «**وَلا تَغْشُشْنَ أَزْوَاجَكُنَّ**»، قَالَتْ: فَبَايَعْنَاهُ ثُمَّ انْصَرَفْنَا، فَقُلْتُ لامْرَأَةٍ مِنْهُنَّ: ارْجِعِي، فَاسْأَلِي رَسُولَ اللهِ ﷺ: مَا غِشُّ أَزْوَاجِنَا؟ قَالَتْ: فَسَأَلَتْهُ، فَقَالَ: «**تَأْخُذُ مَالَهُ فَتُحَابِي بِهِ غَيْرَهُ**»[1].

بطولات أخيها

شهد سليط أخوها معركة بدر، فأحسن فيها أحسن البلاء، ولقَّن المسلمون قريشاً ومن والاها من الكفرة والمشركين درساً لا يُنسى، وتكبَّدت

---

(1) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: حديث سلمى بنت قيس/برقم: (25882).

قريش يومئذٍ أفدح الخسائر، وبات أعظم قادتها صرعى أمثال أبي جهل، وابني ربيعة: عتبة وشيبة، والوليد بن عتبة، وأُميَّة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، ثم أمر رسول الله ﷺ بإلقائهم في قليب بدر، وعاد جند الله مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأكاليل الغار فوق جباههم، ورايات النصر ترفرف فوقهم، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

كان سليط بن قيس معروفاً بتسرُّعه واندفاعه في ساحات القتال، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرف تلك الخصلة فيه.

فلما كان يوم الجسر بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سريةً إلى العراق، واستعمل عليها أبا عُبيد، وكان في السرية سليط بن قيس، وقبل أن يتحرَّك أبو عُبيد بسريته قال له عمر: إنه لم يمنعني أن أستعمل سليط بن قيس، إلا أنه رجل يتسرَّع إلى الحرب، ولا يصلح للحرب إلا الرجل المتأنِّي، وأخاف أن يوقع المسلمين في موقعٍ يهلكهم، فاستشره واسمع منه ولا تولِّه إمرة.

ولما وصل جنود المسلمين إلى جسر فوق نهر الفرات، أقسم أبو عُبيد ليقطعن الفرات عند الجسر بجنوده ليلقِّن جيش فارسٍ درساً في الحرب لم يعرفوه من قبل، وسأل أبو عُبيد سليطاً رأيه، فقال له سليط: لا تقطع النهر ولكنَّ أبا عُبيد أصرَّ على عبور النهر بعد أن أقسم، وراح سليط بن قيس يناشده الله ألَّا يفعل، ثم قال له: إن العرب لم تلقَ مثل جمع فارسٍ، منذ كانت، وإن فارس ستأتي بعدَّةٍ وعتادٍ لم نشهدها من قبل، فاجعل يا أبا عُبيد ملجأ ومرجعاً لجندك يلجأون إليه من هزيمة إن كانت، فردَّ أبو عبيد، وقال: والله لا أفعل، جبُنت يا سليط! كيف يجبن سليط، وبدر تشهد أنه البطل الصنديد، والمحارب العتيد، ذو البأس الشديد؟.

وردَّ سليط على أبي عُبيد بقوله: لا، والله، ما جبنت، ولأنا أجرأ منك نفساً وقبيلاً، ولكن قد أشرت بالرأي، فافعل ما بدا لك، فإنما أنت أمير الجند، وما علينا إلَّا أن نطيعك.

ومضى الجند وراء أميرهم، فعبر أبو عُبيد بهم الجسر، والتقى الجمعان: جمع المسلمين، وجمع الفرس الكافرين، واستبسل المسلمون استبسالاً عظيماً، وأظهروا شجاعة فائقة منقطعة النظير، فقتلوا من أعداء الله خلقاً كثيراً، ثم شدَّ أبو عُبيد على كبير الفيلة، فضرب مشفره بسيفه فبرك الفيل، وسقط أبو عُبيد تحته فقتله؛ وتفرَّق الناس من حوله، ثم لاذوا بالفرار، ولكن سليطاً لم يهرب، ولم يجبُن، بل ظلَّ يقاتل ببسالةٍ نادرةٍ حتى أُحيط به، ولقي الله شهيداً - رحمه الله تعالى -.

وانحاز المثنَّى بن حارثة الشيباني بمن بقي معه من الناس، وقد دلَّت نتيجة المعركة التي انتهت بهزيمة المسلمين على أن رأي سليطٍ كان أحق بالاتِّباع، ولكنَّ مشيئة الله ماضية في عباده، مهما احتاطوا أو اتَّخذوا من الحذر الشديد، وفقد المسلمون يومئذٍ عدداً كبيراً من القتلى يصل إلى بضعة آلاف بين قتيل وغريق.

وبقي المثنى رضي الله عنه مرابطاً بجنوده الصامدين حيال جند العدوِّ، ثم وصلت بعض الفلول الهاربة إلى المدينة، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد بلغه خبرهم، فخرج يتلقَّاهم رضي الله عنه، وراح يهدِّئ من روعهم، ويقول لهم: لا تجزعوا يا معشر المسلمين، أنا فئتكم، إنما انحزتم إليَّ، مشيراً إلى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: 15، 16].

يا لك من طبيبٍ حكيم! وبعلاج الرعية عليم! بوركت يا عمر!! ولكن أي عجب في تصرُّفك وأنتَ المبرِّز والمتفوِّق في مدرسة الرؤوف الرحيم، عليه أكمل الصلاة وأتمُّ التسليم؟!.

ثم جهَّز عمر رضي الله عنه مدداً كبيراً من الجنود من قبائل بجيلة وبكر بن وائل وتميم وسواهم، ولما وصل المدد إلى المثنَّى كرَّ على الفرس كرَّة عظيمة،

فقتل منهم عدداً لا يُحصى، وشتَّت جمعهم، وهزمهم الله، وكانت الغلبة للمسلمين، وجاء النصر من الله العزيز العليم.

اشتراك أم المنذر في بيعة الرضوان

حين خرج رسول الله ﷺ بالمؤمنين إلى مكة يريدون الاعتمار، والطواف بالبيت الحرام، تعظيماً له، وساقوا أمامهم الهدي لينحروها، بعثت قريش رسولاً إلى المسلمين يخبرهم باعتراضها على دخولهم مكة، وانتدب رسول الله ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ.

قَالَ: فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ؛ فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَدِفَ خَلْفَهُ، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ[1].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ: **«لا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ»**، ونادى مناديه ﷺ: ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ فأمره بالبيعة، فاخرجوا على اسم الله تعالى، فبايعوه، فثار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وبايعوه على الموت، وكانوا يُعدُّون يومئذٍ ألفاً وأربعمائة رجلٍ، ونزل قوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى

---

(1) حديث الحديبية طويل رواه: أحمد/كتاب: أول مسند الكوفيين/باب: حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم/ برقم: (18152).

قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: 18، 19].

وكانت أم المنذر رضي الله عنها بين المُبايعين، وشهدت رسول الله ﷺ يضرب بيده اليمنى على يده الأخرى وقال: **«هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ»**، روى الترمذي عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَبَايَعَ النَّاسَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللهِ وَحَاجَةِ رَسُولِهِ»** فَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لأَنْفُسِهِمْ؛ قَالَ الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»[1].

فأي شرفٍ حظي به عثمان رضي الله عنه حين ينوب عنه رسول الله ﷺ؟ ومن أعرف بقدر ذي النورين من خاتم المرسلين؟.

ولما علمت قريش بأمر البيعة أوجست خيفةً من لقاء المسلمين، فأطلقت لهم عثمان رضي الله عنه، ثم جرى صلح الحديبية، وقضى بأن يرجع المسلمون عامهم هذا على أن يعودوا في العام القادم للاعتمار.

لقد فازت أم المنذر في بيعة الرضوان هذه ببشارتها بالجنة، إذ حَدَّثَ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَيَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ الرَّمْلِيُّ أَنَّ اللَّيْثَ حَدَّثَهُمْ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»**[2]، فما أجملها من بشرى نالها المبايعون، والمبايعات في تلك الساعة المباركة!!.

اشتراكها في حصار بني قريظة

كانت أم المنذر محبة للجهاد، مشاركة فيه، ولما تحوَّل رسول الله ﷺ

---

(1) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: في مناقب عثمان بن عفان/ برقم: (3635).

(2) رواه: أبو داود/ كتاب: السنة/ باب: في الخلفاء/ برقم: (3034).

من غزوة الخندق إلى بني قريظة حيث جاءه جبريل عليه السلام يخبره بأمر ربه للخروج إليهم، رافقته أم المنذر رضي الله عنها، وبعد أن حاصرهم رسول الله ﷺ خمسةً وعشرين يوماً حكَّم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه، وكان بنو قريظة مواليه في الجاهلية، فحكم سعد بأن تقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم، وتوزَّع أموالهم في المسلمين، وهذا حكم الله ورسوله ﷺ.

وحين عُرض المقاتلة من بني قريظة على السيف بادرت أم المنذر إلى رسول الله ﷺ، فرأى النبي ﷺ عليها أمارات الحيرة، فقال لها: «**مَا لَكِ يَا أُمَّ الْمُنْذِرِ؟**» فقالت له: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، إن رفاعة بن سموأل كان يغشانا[1]، وله بنا حرمة، فهبه لي وكان رسول الله ﷺ قد رآه يلوذ بها، فقال ﷺ: «**نَعَمْ هُوَ لَكِ**»، فقالت: يا رسول الله، إنه سيصلِّي، ويأكل لحم الجمل، فابتسم النبي ﷺ وقال: «**إِنْ يُصَلِّ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَإِنْ يَثْبُتْ عَلَى دِينِهِ فَهُوَ شَرٌّ لَهُ**»، ثم خلَّى رسول الله ﷺ سبيله، وأسلم رفاعة بعدئذٍ، وهكذا نجا رفاعة من القتل والنار على يد أم المنذر رضي الله عنها.

وكان رسول الله ﷺ يزورها، روى أَبو دَاوُدَ، عَنْ فُلَيْحِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَيُوبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنْ أُمِّ الْمُنْذِرِ بِنْتِ قَيْسٍ الأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه، وَعَلِيٌّ نَاقِهٌ وَلَنَا دَوَالِي مُعَلَّقَةٌ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ مِنْهَا، وَقَامَ عَلِيٌّ لِيَأْكُلَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيٍّ: «**مَهْ إِنَّكَ نَاقِهٌ**» حَتَّى كَفَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه، قَالَتْ: وَصَنَعْتُ شَعِيرًا وَسِلْقًا فَجِئْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَلِيُّ، أَصِبْ مِنْ هَذَا، فَهُوَ أَنْفَعُ لَكَ**»[2].

---

(1) يغشانا: يزورنا.

(2) رواه: أبو داود/ كتاب: الطب/ باب: في الحمية/ برقم: (13358).

ثقة النبي ﷺ بها

وبلغ من فضل أم المنذر رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أعرس في بيتها بريحانة بنت زيد، وها هي ذي ريحانة تحدِّثنا عن عرسها، قالت:

«لمَّا سُبِيَتْ بنو قريظة عُرِض السبي على رسول الله ﷺ فكنت فيمن عُرض عليه، فأمر بي، فعزلتُ، فلما عُزلتُ خار الله لي، فأرسل بي إلى بيت أم المنذر بنت قيس رضي الله عنها فأقمت عندها أياماً، ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ فتحيَّيتُ[1] فدعاني فأجلسني بين يديه فقال: «**إِنْ اخْتَرْتِ اللهَ وَرَسُولَهُ، اخْتَارَكِ رَسُولُ اللهِ لِنَفْسِهِ**»، فقلت: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمتُ أعتقني رسول الله ﷺ، وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونَشّاً، كما كان يُصْدق نساءه، وأعرس بي في بيت أم المنذر، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه، وضرب عليَّ الحجاب.

روت أم المنذر الحديث عن رسول الله ﷺ، كما رواه عنها عددٌ من الرواة كأيوب بن عبد الرحمن، وأم سليط بنت أيوب، وظلَّت أم المنذر وفيَّة لإسلامها حتى حضرتها الوفاة، رحمها الله تعالى، ورضي عنها.



(1) تحييت: اختبأت منه حياء.

30 - السيدة أم كلثوم بنت عقبة

إسلامها وهجرتها إلى المدينة

اسمها أم كلثوم، والدها عقبة بن أبي معيط سفيهٌ من سفهاء قريش، وشقيٌّ من الأشقياء الذين آذوا رسول الله ﷺ أشد الإيذاء، والدتها أروى بنت كُريز، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه أخاها من أمها أروى.

أسلمت أم كلثوم سرّاً في غفلةٍ من أهلها، وكتمت إسلامها عنهم، وبعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة بقيت على ما هي عليه مدة من الزمن ثم عقدت العزم على الهجرة إلى رسول الله ﷺ حيث لا قلق ولا خوف ولا حزن ينالها بقربه؛ وبعد وصولها إلى المدينة اكتشف أخواها الوليد وعمارة اختفاءها، ولما بحثا عنها أخبرتهما امرأة من قريش أنها رأتها تسلك الطريق المؤدِّية إلى المدينة، فانطلقا في طلبها.

كان صلح الحديبية الذي عُقد بين رسول الله ﷺ وقريش يقضي بردِّ من يأتي من قريش إلى رسول الله ﷺ مسلماً بغير إذن وليِّه، ولا ترد قريش من يأتيها من المسلمين؛ فلما سمعت أم كلثوم بوصول أخويها هُرعت إلى رسول الله ﷺ، وقالت له: يا رسول الله، إنما أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف، فأخشى أن يفتنوني في ديني، ولا صبر لي، وقال عمارة والوليد: يا محمد، لا بُدَّ من الوفاء بما عاهدتنا عليه، فردَّ النبي ﷺ عليهما أن الشرط كان في الرجال لا في النساء.

وغمرت الفرحةُ أمَّ كلثوم وعلمت أن رسول الله ﷺ لن يردَّها، ونزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ

حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة: 10].

روى الترمذي، عَنْ الأَغَرِّ بْنِ الصَّبَّاحِ، عَنْ خَلِيفَةَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ﴾ [الممتحنة: 10] قَالَ: كَانَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ لِتُسْلِمَ حَلَّفَهَا بِاللهِ: مَا خَرَجْتُ مِنْ بُغْضِ زَوْجِي، مَا خَرَجْتُ إِلا حُبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ[1].

وامتثالاً لأمر الله العظيم دعا رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة إلى الامتحان، فسألها عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وكان هو الذي يمتحن النساء - وحلَّفها بالله ما خرجت رغبة بأرضٍ عن أرض، وبالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبّاً لله ولرسوله ﷺ؟ فلما حلفت على ذلك قال رسول الله ﷺ لأخويها الوليد وعمارة: « **قَدْ نَقَضَ اللهُ العَهْدَ فِي النِّسَاءِ بِمَا عَلِمْتُمَاهُ، فَانْصَرِفَا**»، وهكذا عاد أخوا أم كلثوم خائبين مخذولين، بمنٍّ من الله وفضلٍ، وعلمت المؤمنة الصادقة أم كلثوم أن الله لا يُضَيِّعُ مؤمناً، ولا يُسْلِمُهُ، ولا يَخْذِلُهُ أبداً.

زواجها من الحب

ولما طلَّق زيد بن حارثة امرأته زينب بنت جحش زوَّجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها، وحين أراد رسول الله ﷺ إرسال جيش إلى مؤتة للقاء الروم استعمل على ذلك الجيش ثلاثة أمراء، كان الأمير الأول زيد بن حارثة زوج أم كلثوم بنت عقبة.

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الأُمَرَاءِ إِلَى مُؤْتَةَ، وَقَالَ: «**عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ**

(1) رواه: الترمذي/ كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ/ باب: ومن سورة الممتحنة/ برقم: (3230).

حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ».

ولما وصل الجيش إلى مؤتة وجدوا أن الروم قد حشدوا لهم مئة ألف، وانضم إليهم مئة ألف من القبائل المستعربة، فاقترح ناس أن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ بطلب المدد، ورأى آخرون أن لا حاجة لذلك، فإنهم إنما خرجوا يطلبون إحدى الحسنيين: إما النصر، وإما الشهادة.

وتقدَّم الأمير الأول زيد بن حارثة رضي الله عنه يحمل راية رسول الله ﷺ فقاتل قتالاً شديداً، حتى سقط شهيداً، ثم تقدَّم الأمير الثاني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ الراية قبل أن تسقط، ثم عقر فرسه، واقتحم صفوف العدوِّ، فجاءته ضربة سيفٍ من أحد الخصوم فأطاحت بيده، فحوَّل الراية إلى شماله، فتلقَّى ضربةً أخرى فقطعتها، فاحتمل الراية بين عضديه، ثم أحدق به نفرٌ من جنود العدو فقتلوه، ثم تقدَّم الأمير الثالث عبد الله بن رواحة وأخذ الراية فقاتل ببسالةٍ حتى قُتل، فتقدَّم خالد بن الوليد فحمل الراية وأمَّر نفسه، فلما رأى كثرة الروم الكاثرة انسحب بالجيش إلى المدينة.

وفي المدينة كان الوحي قد أبلغ رسول الله ﷺ عما جرى للأمراء الثلاثة، فنعاهم المسلمين، وترحَّم عليهم رضي الله عنهم.

انتقالها بين خيرة الصحابة

وتأيَّمت أم كلثوم، حتى إذا أنهت عدَّتها تقدَّم لخطبتها الزبير بن العوَّام المبشَّر بالجنة، فتزوَّجها، وأثمر زواجهما عن مولودةٍ اسمها زينب، وكان الزبير رضي الله عنه شديداً على النساء فسألته أم كلثوم طلاقها، فطلَّقها.

ولما حلَّت خطبها الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف المبشَّر بالجنة أيضاً، فتزوَّجته، وأنجبت له ولدين، هما: إبراهيم وحميداً، ثم مات عنها – رحمه الله تعالى –.

ولما انقضت عدَّتها تقدَّم لخطبتها عمرو بن العاص، ولم يمض على زواجهما أكثر من شهرٍ واحدٍ حتى انتقلت إلى جوار ربها، وفارقت الحياة.

كانت أم كلثوم رضي الله عنها نِعْمَ المرأة المؤمنة التي تركت أهلها، ونبذت دين آبائها، وهاجرت من بلدها إلى المدينة المنورة طاعة لربها وحبّاً لرسولها ﷺ، رحمها الله تعالى، وجزاها من ينابيع خيره.



31 - السيدة أم مُبَشِّر

ابنة النقيب الأنصاري

اسمها أم مُبَشِّر، والدها البراء بن معرور أحد نقباء الأنصار الذين تمَّ اختيارهم ليلة العقبة الثانية، وزوجها زيد بن حارثة حِبُّ رسول الله ﷺ وأول الأمراء الثلاثة الذين استعملهم رسول الله ﷺ على الجيش الذي بعثه لقتال الروم في مؤتة.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَكَانَ كعب مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا قَالَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا. وذكر قصة بيعة العقبة، وفيها:

قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَلاَ وَدَعَا إِلَى اللهِ عز وجل وَرَغَّبَ فِي الإِسْلاَمِ قَالَ: **«أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ»** قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[1]، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ[2] وَرِثْنَاهَا كَابِراً عَنْ كَابِرٍ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ: **«أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ»**، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلاَثَةٌ مِنَ الأَوْسِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنُّقَبَاءِ: **«أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ كُفَلاَءُ كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي»**، قَالُوا: نَعَمْ.

---

(1) أُزُرنا: نساؤنا.

(2) الحلقة: السلاح.

قَالَ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ[1]، وانْقَلَبُوا إِلَى المَدِينَةِ مَسْرُورِينَ بِمَا حَمَلُوا مِنْ كَنزٍ ثَمِينٍ، وَأَيُّ كَنْزٍ أَثْمَنُ مِنَ الإِيْمَانِ.

وأخذوا ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ مهاجراً إليهم، ولكن الأجل لم يمهل البراء بن معرور فقد أدركته المنية قبل أن يصل النبي ﷺ إلى المدينة، ولما علم رسول الله ﷺ بوفاته زار قبره، وصلَّى عليه.

كانت أم مُبشِّر بنت البراء بن معرور من كبريات صحابيات الأنصار، وحين تزوَّجت زيد بن حارثة رضي الله عنه قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: مَا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ قَطُّ إِلا أَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ بَقِيَ بَعْدَهُ لاسْتَخْلَفَهُ[2].

قد قتل زيد بن حارثة في غزوة مؤتة فبعد أن أعدَّ رسول الله ﷺ الجيش وسمَّى أمراءه الثلاثة، ودعا لهم، انْطَلَقَ الْجَيْشُ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: «الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَابَ خَيْرٌ - أَوْ ثَابَ خَيْرٌ - أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيداً، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ»**، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ **«ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ، حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ»**، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ **«ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاء عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ، حَتَّى أُصِيبَ شَهِيداً، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ»**، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ.

---

(1) حديث البيعة طويلٌ جد اً اقتطعنا منه فقط ما يتعلَّق بالبراء بن معرور وموقفه ليلة العقبة الثانية، رواه: أحمد/كتاب: مسند المكيين/باب: حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه/ برقم: (15237).

(2) رواه: الإمام أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: باقي المسند السابق/برقم: (25206).

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ**» - وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الأُمَرَاءِ، هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ - فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ، فَانْصُرْهُ**»، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي رِوَايَةٍ: «**فَانْتَصِرْ بِهِ**»، **فَيَوْمَئِذٍ** سُمِّي خَالِدٌ سَيْفَ اللهِ[1].

زيارة النبي ﷺ لها

وكان من فضائل أم مُبَشِّر أن رسول الله ﷺ كان يتردَّد لزيارتها، روى الإمام مسلم عن أبي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ مُبَشِّرٍ الأَنْصَارِيَّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟**» فَقَالَتْ: «بَلْ مُسْلِمٌ» فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**لا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْساً، وَلاَ يَزْرَعُ زَرْعاً فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلاَ دَابَّةٌ وَلاَ شَيْءٌ إِلاّ كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ**»[2].

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي الزبير أنه سمع جابرَ بنَ عبد اللهِ رضي الله عنهما يقول: أخبرتني أُمُّ مُبَشِّر أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ الله مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**».

فَقَالَتْ حفصة: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ رضي الله عنها: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: 71]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾» [مريم: 72][3].

لقد دخلت أم مُبشِّر رضي الله عنها مدرسة النبوة، ثم تخرَّجت منها لتكون راوية لحديث رسول الله ﷺ، فقد جاء في مسند الإمام أحمد عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ

---

(1) رواه: الإمام أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه / برقم: (12509).

(2) رواه: مسلم/ كتاب: المساقاة/ باب: فضل الغرس والزرع/ برقم: (2900).

(3) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أصحاب الشجرة/ برقم: (4552).

جَابِرٍ، عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ بَنِي النَّجَّارِ فِيهِ قُبُورٌ مِنْهُمْ قَدْ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَسَمِعَهُمْ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّهُمْ لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ؟ قَالَ: «**نَعَمْ عَذَاباً تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ**»[1].

كما روت أم مبشر حديثاً هاماً في فضل من شهد بدراً والحديبية، حَدَّثَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ أُمِّ مُبَشِّرٍ قَالَتْ: جَاءَ غُلامُ حَاطِبٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لا يَدْخُلُ حَاطِبٌ الْجَنَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَبْتَ قَدْ شَهِدَ بَدْراً وَالْحُدَيْبِيَةَ**»[2].

لقد وفَّت أم مُبشِّر بعهد الله ورسوله حتى وفاتها، فرحمها الله تعالى، ورضي عنها وأرضاها.



(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم مبشر امرأة زيد بن حارثة/ برقم: (25799).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم مبشر امرأة زيد بن حارثة/ برقم: (25800).

32 - السيدة أم عَطِيَّة

اسمها نسيبة بنت كعب الأنصارية، وكنيتها أم عَطِيَّةَ، كانت من فواضل النساء السابقات إلى الإسلام، عاشت في خير القرون، قرن بعثة سيد البشر، النبي الأغرِّ، سيدنا محمد ﷺ، فقد حَدَّثَ لَيْثٌ، عَن مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ الْعَجْلانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «**أَنَا وَالَّذِينَ مَعِي، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الأَثَرِ**» ثُمَّ كَأَنَّهُ رَفَضَ مَنْ بَقِيَ[1].

سمعت أم عطية رضي الله عنها كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ، وتحدثت إليه بشكلٍ مباشر، واجتهدت في طلب الحديث حتى حازت مرتبة الرواية، فيا لها من مكرمةٍ عظيمةٍ نالتها! وما أسماه من شرفٍ رفيعٍ حصلت عليه!!

كانت إحدى أشراف نساء الأنصار اللواتي بايعن رسول الله ﷺ على الإسلام، ثم حافظن على عهودهنَّ معه روى النسائي عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: لَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أُبَايِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَةً أَسْعَدَتْنِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَذْهَبُ فَأُسْعِدُهَا، ثُمَّ أَجِيئُكَ فَأُبَايِعُكَ، قَالَ: «**اذْهَبِي فَأَسْعِدِيهَا**»، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ فَسَاعَدْتُهَا، ثُمَّ جِئْتُ فَبَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ[2].

وَعَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ حَفْصَةَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ

---

(1) رواه: الإمام أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (8127).

(2) رواه: النسائي/ كتاب: البيعة/ باب: بيعة النساء/ برقم: (4108).

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: 12]، قَالَتْ: كَانَ مِنْهُ النِّيَاحَةُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلا آلَ فُلانٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَسْعَدُونِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلاَ بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أُسْعِدَهُمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِلا آلَ فُلانٍ**»(1).

هداياها لبيوت النبوة

وكانت تكثر التردد على أزواج رسول الله ﷺ، ففازت بمحبة آل بيته الكرام ونسائه وأمهات المؤمنين - رضيَ اللهُ عَنْهُنَّ - وكانت السيدة عائشة بنت أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنهما - وثيقة الصلة بسيدات الأنصار، تشاركهن أفراحهن، ولا تتركهن في أحزانهن، وتقدِّم الهدايا لهنَّ، وتتقبَّل الهدايا منهنَّ، فكانت لها منزلةُ عظمى بينهنَّ، وخاصة نسيبة بنت كعب أم عطية رضي الله عنها فقامت مودَّة ورحمة معهنَّ.

وكان رسول الله ﷺ يُسرُّ بهدايا أم عطية، حَدَّثَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها - فَقَالَ: «**عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟**»، قَالَتْ: لا إِلا شَيْءٌ بَعَثَتْ بِهِ أُمُّ عَطِيَّةَ، مِنَ الشَّاةِ الَّتِي بَعَثْتَ إِلَيْهَا مِنَ الصَّدَقَةِ قَالَ: «**إِنَّهَا قَدْ بَلَغَتْ مَحِلَّهَا**»(2).

مشاركتها في الجهاد

ولم تكن أم عطية لتكتفي بطلب العلم من خير المناهل وأعذبها، من رسول الله ﷺ، وأزواجه أمهات المؤمنين، بل أضافت إلى هذه الفضيلة فضيلة أخرى لا تقلُّ عنها شأناً، ألا وهي حب الجهاد، فقد روى الإمام

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجنائز التشديد في النياحة/ باب: / برقم: (1554).

(2) رواه: البخاري/ كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب: قبول الهدية/ برقم: (2391).

مسلم عَنْ هِشَام، عَنْ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى[1].

وكانت أم عطية ممن يعرف الواجب ولا يتخلف عنه، فحين علمت بوفاة السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ، دخلت عليهم لتواسيهم، فعلَّمها رسول الله ﷺ مع النسوة اللاتي حضرن غسل زينب، ثم روت رضي الله عنها الحديث ليكون سُنَّة تتَّبع في غسل الميت.

روايتها حديث النبي ﷺ

وقد روى الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنها - قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَتْ ابْنَتَهُ، فَقَالَ: «**اغْسِلْنَهَا ثَلاثاً أَوْ خَمْساً أَو أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُوراً، أَوْ شَيْئاً مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي**» فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ فَقَالَ: «**أَشْعِرْنَهَا[2] إِيَّاهُ**»، تَعْنِي إِزَارَهُ[3].

كَما بَيَّن لهنَّ رسول الله ﷺ طريقة الغسل، فقد روى البخاري عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَسْلِ ابْنَتِهِ: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا**»[4]، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ قد أكَّد التيامن في كثير من أمور الدين.

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم/ برقم: (3380).

(2) أشعرنَهَا: أَلْبِسْنَهَا.

(3) إزاره: قميصه، والحديث رواه: البخاري/ كتاب: الجنائز/ باب: غسل الميت بالماء والسدر/ برقم: (1175).

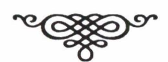
(4) رواه: البخاري/ كتاب: الجنائز/ باب: يبدأ بميامن الميت/ برقم: (1777).

وكذلك أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: وَسَمِعْتُ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ قَالَتْ: حَدَّثَتْنَا أُمُّ عَطِيَّةَ ﵂ أَنَّهُنَّ جَعَلْنَ رَأْسَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ قُرُونٍ نَقَضْنَهُ، ثُمَّ غَسَلْنَهُ ثُمَّ جَعَلْنَهُ ثَلاثَةَ قُرُونٍ[1]، وروى البخاري أيضاً عَنْ أُمِّ الْهُذَيْلِ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ ﵂ قَالَتْ: نُهِينَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا[2].

وما رواية البخاري للأحاديث التي روتها أم عطية الأنصارية ﵂ إلاَّ توكيد للثقة بها وتبيان لفضلها، وعلو شأنها بين رواة أحاديث رسول الله ﷺ، وقد روى عن أم عطية البخاري ومسلم وروى عنها أنس بن مالك عن الصحابة، ومحمد بن سيرين من التابعين، كما روى أصحاب الكتب الستة حديث النهي عن اتِّباع الجنائز، ورواه الإمام مالك إمام الفقه في المدينة، وعمل به أهل المدينة.

وفاتها في البصرة

وفي أيامها الأخيرة رحلت أم عطية إلى البصرة فنزلت في قصر بني خلف، وأصبح منزلها مَزاراً للصحابة والتابعين، ولمن أراد أن يمتِّع أسماعه بحديث رسول الله ﷺ وظلَّت على ذلك حتى ماتت، رحمها الله، وأجزل مثوبتها، ورضي عنها.



(1) رواه: البخاري/ كتاب: الجنائز/ باب: نقض ضفائر المرأة/ برقم: (1181).
(2) رواه: البخاري/ كتاب: الجنائز/ باب: اتباع النساء الجنائز/ برقم: (1199).

33 - السيدة سمية بنت خياط

الأسرة المباركة

اسمها سمية، والدها يُدعى «خيَّاط»، زوجها ياسر بن عامر، وابنها عمار بن ياسر، ولكن كيف تشكَّلت هذه الأسرة المباركة الطيبة التي قدَّمت للإسلام أغلى التضحيات، واحتملت أقسى صنوف العذاب؟

خرج ياسر بن عامر من بلده اليمن قاصداً مكة مع أخويه الحارث ومالك يبحثون عن أخٍ رابع فُقِدَ دون أن يعرفوا شيئاً عن مكانه، وعمَّا إذا كان ميتاً أو على قيد الحياة، وفي مكة تحالف ياسر مع أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي.

روى ابن ماجه عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلالٌ، وَالْمِقْدَادُ؛ فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ؛ وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ وَاتَاهُمْ[1] عَلَى مَا أَرَادُوا إِلا بِلالاً فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: «أَحَدٌ أَحَدٌ»[2].

وقد تحدثَ ابن الأثير في كتابه «أُسْد الغابة» عن سمية، وما نالها من

(1) واتاهم: وافقهم.

(2) رواه: ابن ماجه/ كتاب: المقدمة/ باب: فضل سلمان وأبي ذر والمقداد رضي الله عنهم/ برقم: (137).

العذاب الشديد، فقال: وكانت من السابقين إلى الإسلام، وكانت ممن يُعذَّب في الله أشد العذاب(1).

لقد أسرفت قريش في تعذيب آل ياسر إلى الحد الذي أثار دهشة جلاَّديهم، كانوا يُخرجون ياسراً وعماراً وسمية أمه في الشمس المحرقة، ويضجعونهم على الرمال الملتهبة ويطلبون منهم الكفر بما جاء به رسول الله ﷺ، ولكنهم كانوا يتحمَّلون العذاب دون أن تفتر لهم عزيمة، أو تلين لهم قناة.

وروى الإمام أحمد عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: دَعَا عُثْمَانُ رضي الله عنه نَاساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَقَالَ: أَلا أُحَدِّثُكُمَا عَنْهُ؟ - يَعْنِي: عَمَاراً - أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ آخِذاً بِيَدِي نَتَمَشَّى فِي الْبَطْحَاءِ حَتَّى أَتَى عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَعَلَيْهِ يُعَذَّبُونَ، فَقَالَ أَبُو عَمَّارٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، الدَّهْرَ هَكَذَا؟ فَقَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ: «**اصْبِرْ**» ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ وَقَدْ فَعَلْتُ**»(2).

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**صَبْراً آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ**»(3).

صلابة إيمانها

ومن المعلوم أن المرأة أضعف من الرجل قوة، وأوهن منه عزيمة، غير أن سمية رضي الله عنها - دحضت هذه المقولة، وبرهنت على بطلانها حين تحدَّت أقوى قريش شكيمةً، وأشدَّها صَلفاً وبطشاً؛ لقد أنزل بها أبو جهل ألوان العذاب، وصنوف القهر لتكفر بدين محمد ﷺ ولكنه لم ينل مبتغاه،

---

(1) أُسد الغابة لابن الأثير.

(2) رواه: أحمد/ كتاب: مسند العشرة المبشرين بالجنة/ باب: مسند عثمان بن عفان/ برقم: (412)، وفي طبقات ابن سعد (3/ 248).

(3) سير أعلام النبلاء للذهبي (1/ 409، 410).

ولم يحقق مناه؛ وكان أكثر ما يبدي غضبه، ويثير جنونه تلك الابتسامة الساخرة التي تتحدَّى بها جبروته، وتحطُّ بها من كرامته أمام نفسه وأمام الناس، وتُذلُّ بها كبرياءه وغروره.

وتمادت قريش في تعذيب آل ياسر، وأسرفت في نكالها بهم أيَّما إسراف، ولم يلبث ياسر رب الأسرة أن توفِّي تحت وطأة العذاب، وأعطى أبو حذيفة بن المغيرة امرأة ياسر وأم عمار إلى شقي قريش الأكبر أبي جهل، فراح يتسلَّى في إيذائها، ويتحفها كل يوم بلونٍ جديدٍ.

أول شهيدة في الإسلام

وذات يوم أغلظت سمية له القول، فأخذه الغضب كل مأخذ فقتلها، وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال: أول شهيد كان في الإسلام استُشهد أم عمار سمية، طعنها أبو جهلٍ بحربةٍ في قلبها[1].

وذهبت سمية رضي الله عنها إلى ربها راضية مرضية، وتحوَّلت من رمضاء مكة ولهيب صحرائها، إلى جنة عرضها السموات والأرض أُعدِّت للمتقين، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وأما قاتلها الشقي فقد قتله الله شر قتلة على يد ابني عفراء، ثم مرَّ به عبد الله بن مسعود وبه رمقٌ فَذَفَّفَهُ[2] ثم احتزَّ رأسه، وحمله إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه ﷺ حمد الله، ثم أمر رسول الله ﷺ بجثث قادة قريش وزعمائها فأُلقيت في قليب بدر.

وبعد استشهاد والدي عمار عليهما السلام تفرَّغت قريش له، وراحت تصبُّ عليه العذاب صبّاً حتى انهار جَلَدُهُ، وخارت عزيمته فأعطاهم ما يريدون من كلمة الكفر، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ وراح يبكي بين يديه، وهو يخبره

(1) البداية والنهاية لابن كثير (3/ 65).

(2) ذفَّفَهُ: أجهز عليه.

بما صنع، فهدَّأ رسول الله ﷺ من روعه، وتلا عليه قول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: 106].

وهكذا سُرِّيَ عن عمار لأن قلبه كان مطمئناً بالإيمان، ولكنه أعطاهم ما أعطاهم بلسانه دون أن يتطرق إليه أدنى شكٌّ بصحة ما آمن به، وكفاه فضلاً ما رواه ابن مسعود، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ كَانَ ابْنُ سُمَيَّةَ مَعَ الحَقِّ**»، رحم الله آل ياسر، وعوَّضهم الجنة.



34 - السيدة الفريعة بنت مالك

ابنة الأسرة المؤمنة

اسمها الفريعة، والدها مالك بن سنان، الأنصاري، الخزرجي، وأخوها مفتي المدينة سعد بن مالك أبو سعيد الخدري رضي الله عنه المحدِّث والصحابي الجليل، قال عنه ابن الأثير في كتابه «أُسُد الغابة»، وكذلك ابن عبد البر حين صنَّف «الاستيعاب»: «كان أبو سعيد من الحفَّاظ المكثرين، العلماء، الفضلاء، العقلاء».

ومن أراد أن يحيط علماً أكثر بأسرة الفريعة الطيبة، فليعلم أن أخاها لأمها المجاهد البدري قتادة بن النعمان الأنصاري، الرامي المسدَّد يوم أُحُد، البطل الذي سالت عينه على خدِّه ورحى معركة أُحد دائرة، فأسرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فردَّها بيده الشريفة إلى مكانها فكانت أحسن عينيه.

وأما أخت الفريعة لأمها فهي المؤمنة المبايعة أم سهلٍ بنت النعمان الأنصارية، فرضي الله عن هذه الأسرة الكريمة، كم اصاب أفرادها من الخير والفضل بجوار الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم!!

ولما نادى المنادي في المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصبح بظاهرها، خلت الدور من أهلها، وخرج الناس لاستقبال ضيفهم الأكرم، وكان مالك بن سنان وابنته الفريعة وسائر أسرته في طليعة المستقبلين.

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفاً على أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه، ثم أمر ببناء مسجده الشريف والحجرات الملحقة به لسكن أزواجه، أمهات المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ أجمعين.

وكانت الفريعة رضي الله عنها قد تزوَّجت سهل بن رافع أحد رجال الخزرج،

ولكن لم تطل حياته معها، فقد أَبِقَ عددٌ من عبيده، واضطر إلى الخروج في طلبهم، وكانوا قد أعدُّوا له كميناً فغدروا به وقتلوه.

ولما علمت الفريعة بمصرعه حزنت عليه حزناً شديداً، وفكَّرت الفريعة في الرجوع إلى بيت أهلها للعيش بينهم، لكنها وهي التقية المؤمنة، آثرت أن تستشير النبي ﷺ في أمرها.

طاعتها لله ولرسوله

وقد أخرج الإمام مالك في موطئه برواية يَحْيَى، عَنْ مَالِك، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ أَنَّ الْفُرَيْعَةَ بِنْتَ مَالِكِ بْنِ سِنَان - وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِي - أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَسْأَلُهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهَا فِي بَنِي خُدْرَةَ فَإِنَّ زَوْجَهَا خَرَجَ فِي طَلَبِ أَعْبُدٍ لَهُ أَبَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِطَرَف الْقَدُوم لَحِقَهُمْ فَقَتَلُوهُ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي فِي بَنِي خُدْرَةَ فَإِنَّ زَوْجِي لَمْ يَتْرُكْنِي فِي مَسْكَنٍ يَمْلِكُهُ وَلاَ نَفَقَةٍ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَعَمْ»** قَالَتْ: فَانْصَرَفْتُ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي الْحُجْرَةِ نَادَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ - أَوْ أَمَرَ بِي، فَنُودِيتُ لَهُ - فَقَالَ: **«كَيفَ قُلْتِ؟»** فَرَدَّدْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ الَّتِي ذَكَرْتُ لَهُ مِنْ شَأْنِ زَوْجِي، فَقَالَ: **«امْكُثِي فِي بَيْتِكِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ»** قَالَتْ: فَاعْتَدَدْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً، قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه أَرْسَلَ إِلَيَّ فَسَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَاتَّبَعَهُ وَقَضَى بِهِ[1].

وما عسى أن تفعل المؤمنة المسلمة المبايعة غير أن تطيع الذي بايعته على السمع والطاعة؟ لقد اعتدَّت الفريعة أربعة أشهرٍ وعشراً، ثم خطبها رجل من أنصار بني ظفر فتزوجته، وباتت الفريعة رضي الله عنها - مرجعاً لهذا الحديث ترويه لكل من يسألها عنه.

---

(1) رواه: مالك/ كتاب: الطلاق/ باب: مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل/ برقم: (1081).

محبة أهلها للجهاد

كانت أسرة الصحابي الجليل مالك بن سنان محبة للجهاد، وملازمة لمجالس رسول الله ﷺ.

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر كان مالك مع الذين ظنُّوا أن لن يكون قتال، لذلك لم يخرج إلى بدر، ولم يُكحِّل عينيه برؤية سادة قريش وزعمائها وهم يتهاوون صرعى على أرض بدر، ولا سيما أولئك الذين آذوا رسول الله ﷺ كأبي جهلٍ، وعقبة بن أبي معيط، وغيرهما من كبار السفهاء والمشركين.

حتى إذا كان يوم أُحد علم رسول الله ﷺ أن قريشاً قد حشدت له الحشود، وألَّبت عليه القبائل من تهامة وغطفان، وتحالفت مع الأحابيش، فشاور أصحابه - كعادته - قبل الخروج، فكان رأي كل الذين لم يخرجوا يوم بدر أن يخرجوا ليعوِّضوا ما فاتهم من الخير.

وكان مالك بن سنان من أشد المتحمسين للقاء العدو، فقد وقف يقول: يا رسول الله؛ نحن والله بين إحدى الحسنيين، إما أن يظفرنا الله بهم، فهذا الذي نريد، فيذلهم الله لنا، فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر، فلا يبقى منهم إلا الشريد؛ والأخرى يا رسول الله، يرزقنا الله الشهادة، والله يا رسول الله، ما أُبالي أيهما كان، إنَّ كلاً لفيه الخير.

ولما تقرَّر الخروج وقف رسول الله ﷺ يرتِّب جنده ويستعرضهم فرأى بعض الغلمان فردَّهم لصغرهم وعدم أهليتهم للمشاركة في القتال، وكان بين الذين ردَّهم رسول الله ﷺ أبو سعيد الخدري الذي كان بصحبة أبيه المجاهد مالك بن سنان.

وعاد أبو سعيد وهو يبكي بحرارة لحرمانه من شرف الجهاد، وتلقَّت الفريعة أخاها أبا سعيد، وراحت تكفكف دموعه، وتمنِّيه بالخروج في غزوات أخرى قادمة حتى يزهق الشرك وتعلو راية الإيمان.

وأخذت الفريعة وصواحبها يتلقَّفن أخبار ما يجري في ساحة المعركة،

وأشاع أحد المشركين أن محمداً ﷺ قد قتل، ودبَّت الفوضى بين صفوف المسلمين، فمنهم من دفعه الخبر إلى اليأس والاستسلام، ومنهم من شحذ عزيمته، وملأه حماسة فاندفع إلى الأمام كأنس بن النضر الذي لم يتأكَّد من الخبر، لكنه آثر الموت على ما مات عليه الحبيب الأعظم ﷺ، والتحم بالعدو وظل يقاتل حتى رزق الشهادة.

والحقيقة أن رسول الله ﷺ قد كسرت رباعيته، وشج وجهه، وشقت شفته، وخضَّب الدم وجهه الشريف، فهبَّت ثلة من الصحابة إلى مكان وجوده مستلقياً على الأرض وجعلوا من أنفسهم تروساً ليحولوا دون وصول أي شيء يضره من العدة إليه.

وأسرع أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ لينتزع بأسنانه حلقتين من حلقات المغفر انغرزتا في ذلك الوجه المنير، وبادر مالك بن سنان، والد الفريعة وأكبَّ على وجه النبي ﷺ يلعق الدم الذي غطَّاه، ونظر إليه رسول الله ﷺ فوجده يبتلعه، فقال له ﷺ: **«مُجَّهُ»**، فقال مالك: والله، لا أمجُّه أبداً! وخالط دمه دم رسول الله ﷺ فوقى نفسه من النار، لأن النار قد حُرِّمت على كل جزء من جسد رسول الله ﷺ.

استشهاد أبيها

وأخذ مالك ينافح عن رسول الله ﷺ حتى سقط دونه شهيداً، وأقبل طلحة بن عبيد الله فانحنى حتى نزل بجسمه تحت جسد رسول الله ﷺ ثم نهض به ومضى إلى صخرة خلف معسكر القتال فأضجعه عليها، وسمع الصحابة رسول الله ﷺ يقول: **«أَوْجَبَ طَلْحَةُ»**، أي وجبت له الجنة.

لقد دخل مالك بن سنان امتحان الشهادة فاجتازه بتفوُّقٍ كبير، وبأحسن تقدير، ذلك أنه لم يمت حتى كانت ملامسته لجسد رسول الله ﷺ ولعقه لدمه الزكي الشريف آخر عهده بالحياة.

وخسر المسلمون الجولة يوم أُحُد، لأن رماتهم خالفوا أوامر رسول الله ﷺ حين تركوا مواقعهم التي جعلهم فيها، وأمرهم ألَّا يبرحوها، وتوقَّف

هدير القتال، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، وخرج الناس يتفقَّدون العائدين معه، فالتقى أبو سعيد الخدري برسول الله ﷺ فابتدره رسول الله ﷺ بقوله: «**سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ؟**» قال: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وانحنى أبو سعيد على رسول الله ﷺ يقبِّل ركبتيه الشريفتين، فقال له رسول الله ﷺ: «**آجَرَكَ اللهُ فِي أَبِيكَ يَا سَعْدُ**».

وكانت الفريعة بنت مالك رضي الله عنها - وجميع أهلها قلقين على رسول الله ﷺ، فلما عاد إليهم أبو سعيد زفَّ إليهم نبأ سلامة رسول الله ﷺ بادىء ذي بدء، ثم قال لهم: واتَّخذ الله تعالى من المؤمنين شهداء، كان أبي بينهم، فاسترجع القوم، وحمدوا الله على سلامة نبيهم ﷺ، وقالوا: «كل مصيبة بعد رسول الله ﷺ جَلَلٌ»[1].

واحتسبت الفريعة والدها عند الله، واستسلمت لمشيئته، واستعانت بالصبر والصلاة كما أمر، رب الخلائق والبشر، ومن أحق منها بذلك وقد ربَّاها والدها على الإيمان، وتفيَّأت ظلال القرآن؟ فلتوطِّن نفسها على لقائه في إحدى الجنان.

روايتها الحديث

كانت الفريعة ذات عقل راجحٍ، وفكرٍ واعٍ، وقد أهَّلها حضورها لمجالس رسول الله ﷺ إلى تلقِّي الحديث عنه وبلوغ سدَّة الرواية، وبلغ عدد الأحاديث التي روتها عن رسول الله ﷺ ثمانية، ومما يدل على مكانتها الرفيعة أخذ عثمان بن عفان رضي الله عنه عنها حديث عدة المتوفَّى عنها زوجها الذي ورد آنفاً، وقضى به، كما عمل به فقهاء المدينة والحجاز ومصر والشام والعراق.

إنه لشرف كبير بلغته الفريعة يوم فتحت قلبها للنفحات التي تحفُّ بمجالس العلم التي كان يديرها المعلِّم الأول أعلم الناس، لأنه تلقَّى علمه

(1) جَلَل: هينة.

عن العليم العلاَّم، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، لقدكان معلِّم الناس الخير، ولم يكن للشر في علمه نصيب.

اشتراكها في بيعة الرضوان

لقد تشرَّفت الفريعة بمرافقة رسول الله ﷺ مع بعض صواحبها من نساء الأنصار إلى الحديبية، ونالت من ربها الرضوان.

لقد قال الله تعالى في كتابه العزيز واصفاً أولئك المبايعين والمبايعات: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: 18، 19].

وفازت ببشارة دخول الجنة فقد أخرج الترمذي عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ خِدَاشٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إلا صَاحِبَ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ**» قَالَ أَبُو عيسَى الترمذي: «هَذَا حَديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»(1).

وَحَدَّثَ قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»، قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»(2).

وكانت الفريعة ممن بايعن النبي ﷺ يومئذٍ وقد روى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ

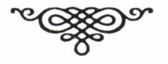
---

(1) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: فيمن سب أصحاب رسول الله ﷺ/ برقم: (3798).

(2) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: في فضل من بايع تحت الشجرة/ برقم: (3795).

قَالَتْ: جَاءَ غُلامُ حَاطِبٍ، فَقَالَ: واللهِ لا يَدْخُلُ حَاطِبٌ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كَذبْتَ قَدْ شَهِدَ بَدْراً وَالْحُدَيْبِيَةَ»**[1].

رحم الله الفريعة وأهلها وحشرهم مع خاتم المرسلين، يوم يقوم الناس لرب العالمين.



(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم مبشر امرأة زيد بن حارثة/ برقم: (25800).

35 - السيدة كبشة بنت رافع

قصة إسلام عائلتها

اسمها كبشة، والدها رافع بن معاوية، وابنها سعد بن معاذ سيد الأوس، تزوَّجت معاذ بن النعمان وكان من ثمرة هذا الزواج: سعد، وعمرو، وإياس، وعقرب، وأم حزام.

أسلمت كبشة وأختاها الفريعة - أو الفارعة - وسعاد وهي أم النقيب أسعد بن زرارة، فيكون سعد ابن خالته، ولكن من أية الطرق دخلت نسمات الإسلام إلى قلوب هؤلاء، فأمسوا بفضلها سعداء؟

كان وفد من أهل المدينة قد خرج إلى مكة لأمرٍ ما والتقى الوفد فيها برسول الله ﷺ، ولما حدَّثهم عن الإسلام، وتلا فيهم بعض آيات القرآن الكريم أسلموا جميعاً، ولما أرادوا العودة إلى بلدهم سألوا رسول الله ﷺ أن يرسل معهم أحد أصحابه ليفقِّههم في الدين، ويعلِّمهم الإسلام، ويقرأ فيهم القرآن.

واختار رسول الله ﷺ شاباً ذكياً واعياً شديد الحماسة لنشر الإسلام، وإعلاء رايته، ذلكم هو السفير المقرىء مصعب بن عُمَيْر الذي هجر أمه ذات الثراء الواسع، وآثر الفقر، وأعرض عن طيبات الحياة الدنيا الفانية حباً لله ولرسول الله ﷺ والتماساً لنعيم الآخرة الباقية، ونزل مصعب ضيفاً على أسعد بن زرارة أحد وفد المؤمنين.

وبدأ الناس يؤمُّون دار ابن زرارة ليتعلَّموا من مصعب مما علَّمه الله ورسوله ﷺ.

وذات يوم خرج أسعد ومصعب إلى بستان يتفيآن ظلاله، ويتحدثان إلى الناس، ولما أخذا مكانهما في ظلاله راح يقصدهما بعض الناس، ويجلسون إليهما ورأى ذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حُضَير، قال سعد لصاحبه: أرأيت يا أُسيد إلى هذين الرجلين؟ لقد أتيا ديارنا، ليفسدا أبناءنا، وسيجر ذلك علينا الشر، لذلك أريد أن تذهب إليهما وتطردهما، وحمل أُسيد حربته وتوجَّه إلى مجلس مصعب بن عُمَيْر فلما وقف عليهم ألقى وابلاً من الشتائم، ولكن مصعب العاقل المهذب الذي صقل الإسلام سلوكه قال له: ألا تقعد فتسمع؟ فإن سرك ما سمعت قبلته، وإن ساءك كففنا عنك ما تكره، وانصرفنا، فقال أسيد: ما عدوت الإنصاف، هاتِ ما لديك.

ثم ركز حربته وقعد، ولما تلا مصعب على مسامعه بعض آيات القرآن الكريم، أشرق وجهه بالبشر والسرور، وامتلأت نفسه بالفرحة والحبور، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وما أجمله!! كيف يصنع من أراد الدخول في هذا الدين؟ فقال له مصعب: اذهب واغتسل، ثم طهِّر ثيابك، وعد إليَّ.

وانطلق أُسيد إلى داره فصنع الذي طلبه مصعب ثمَّ عاد بعد قليل والماء يقطر من رأسه فعلمه أن يشهد شهادة الحق ويصلي ركعتين، وبات أسيد في عداد المسلمين.

ثم حمل أسيد حربته، وعاد إلى سعد وهو في نادي قومه، فلما دنا منه قال له سعد: أحلف أنك عدت بغير الوجه الذي فارقتني به! ثم قال له: ماذا صنعت؟ قال: أمرتهما بترك المكان فلم يعارضا، فقال سعد: إنك لم تصنع شيئاً، ثم أخذ منه الحربة، وتوجَّه إلى مجلس مصعب فلما وقف عليه أطلق بعض الشتائم فقال مصعب: أو تقعد فتسمع؟ فإن سرك ما سمعت قبلته ورضيته، فبها ونعمت، وإن ساءك ابتعدنا عنك بما تكره، وانصرفنا، فقال سعد: أنصفت، فهات ما عندك.

ثم ركز حربته وقعد ولما تلا مصعب على مسامعه بعض آيات القرآن الكريم أشرق وجهه وقال: ما أحسن هذا الكلام وما أجمله!! ما يفعل من

أراد أن يدخل في هذا الدين؟ فقال له مصعب: اذهب واغتسل، ثم طهِّر ثيابك، وعد إليّ.

وانطلق سعد إلى داره فنفَّذ رغبة مصعب ثمَّ انقلب إليه والماء يقطر منه فعلمه أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلي ركعتين، وأضحى سعد أحد المسلمين.

ثم أخذ الحربة وقصد نادي قومه، فلما اقترب منهم، قالوا: نحلف أنك عدت إلينا بغير الوجه الذي غادرتنا به، ونظر إلى أُسيد فأدرك أنه لم يكن يريد أن يخبره عما دار بينه وبين مصعب حتى يسمع بنفسه، ثم التفت إلى قومه، وقال لهم: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا، وأفضلنا رأياً، فقال لهم: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام، حتى تؤمنوا بالله ورسوله ﷺ، فما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وقد أسلموا جميعاً.

وكانت أم سعد أول اللواتي أعلنَّ إسلامهنَّ، وأدركت أن واجبها يفرض عليها أن تسهم في نشر هذا الدين بين نساء الأنصار، ونفَّذت ذلك.

محبتها وآل بيتها للجهاد

وكانت كبشة أم سعد وآل بيتها يؤمنون أن الإيمان لا يكمل بغير الجهاد، وأن على كل مسلم أن يحدِّث نفسه به.

حَدَّثَ عُبَيْدَةُ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ مَخْرَجَهُ إِلَى بَدْرٍ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتَشَارَ عُمَرَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ فَقَالَ بَعْضُ الأَنْصَارِ: إِيَّاكُمْ يُرِيدُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذ: تَسْتَشِيرُنَا يَا نَبِيَّ اللهِ؟ إِنَّا لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا

قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: 24]، وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ - قَالَ ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ: إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ - لاتَّبَعْنَاكَ[1].

وفي رواية أن سعد بن معاذ قال: يا رسول الله، لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وقد أعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً! إنا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منّا ما تقرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشَّطه ذلك، ثم قال: **«سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»**.

أمّ الشهداء

وخرج مع سعد بن معاذ يوم بدر أخوه عمرو بن معاذ، وعادا إلى أمهما كبشة بالنصر المبين، وكانت فرحة عمَّت بيوت المسلمين، وخزياً على أعداء الله والدين، واستقرَّ زعماء الشرك في قليب بدر، ولكن قريشاً تداعت إلى دراسة أوضاعها بعد فقدها لصفوة رجالها وخيرة فرسانها، فأجمعت أمرها على الثأر لهم والانتقام لهم، وراحت تدعو القبائل العربية لمساعدتها في القضاء على المسلمين، حتى لا يلحق بهم أذاهم كما لحق بها، ولما أتمَّت استعداداتها، جعلت الموعد في أُحد، وخرج سعد بن معاذ وأخوه عمرو بن معاذ مع رسول الله ﷺ إلى أُحد، ورُزق عمرو الشهادة مع عددٍ من المؤمنين الذين اتَّخذهم الله شهداء، وكان الذي قتله ضرار بن الخطاب.

كان رسول الله ﷺ قد أمر الرماة يوم أُحد أن يحموا ظهور إخوانهم من

(1) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند المكثرين/باب: مسند أنس بن مالك رضي الله عنه/برقم: (12486).

مواقعهم في قمة الجبل، وألَّا يغادروها مهما يكن سير المعركة، غير أنهم حين وجدوا المشركين - سواء منهم من قُتل أو من لاذ بالفرار - قد ملأوا الأرض بأسلابهم تركوا مواقعهم، وتبادروا إلى الغنائم، فانقضَّ عليهم من خلفهم خالد بن الوليد وكان على فرسان المشركين يومئذٍ، وأعمل فيهم القتل.

وقد أشاع المشركون أن رسول الله ﷺ قد قُتل فدبَّت الفوضى بين صفوف المسلمين، ولاذ بعضهم بالفرار، وأحاطت ثلة من الصحابة برسول الله ﷺ جاعلين من أنفسهم تروساً لتقيه من أية ضربة من جهة العدوّ، وكان من أبرز هؤلاء سعد بن معاذ رضي الله عنه.

وكانت هند بنت عتبة قد وعدت عبداً حبشياً يقال له وحشي بن حرب بجائزة مجزيةٍ إن هو قتل لها حمزة بن عبد المطلب ثأراً لأبيها عتبة بن ربيعة وعمها شيبة بن ربيعة وأخيها الوليد بن عتبة الذين قتلوا يوم بدر.

وأخذ وحشي يراقب تحرُّك حمزة وحربته جاهزة في يده حتى إذا أيقن بالإصابة سدَّدها إليه بقوة، فاستقرت أسفل بطنه في جسده الطاهر، وسقط سيد الشهداء صريعاً؛ فأسرعت هند إلى جثته فبقرت بطنه، واستخرجت كبده، ثم قضمت مضغة منها ولاكتها ولكنها لم تُسِغها فلفظتها، ومثَّلت بجثته أبشع تمثيل فَصَلَمَتْ أُذُنيه، وَجَدَعَتْ أنفه.

وقد سقط في المعركة عدد آخر من الشهداء من أبرزهم المقرىء السفير مصعب بن عُمَيْر وكان هو الذي يحمل لواء المسلمين، وقد قتله ابن قميئة وهو ينافح بسيفه عن رسول الله ﷺ، واستُشهد النقيبان سعد بن الربيع، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وآخرون كعمرو بن الجموح، وحنظلة الغسيل.

ولما رأى رسول الله ﷺ ما فُعل بعمه حمزة بكاه وحزن له، وحين عاد إلى المدينة راحت النساء تبكي قتلاها، وقد روى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِنِسَاءِ عَبْدِ الأَشْهَلِ يَبْكِينَ هَلْكَاهُنَّ يَوْمَ

أُحُدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَكِنَّ حَمْزَةَ لا بَوَاكِيَ لَهُ**» وَطَرَقَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ مَسَمِعَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَتَوَجَّهَ إِلَى دُورِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ وَأَمَرَ نِسَاءَهُنَّ أَنْ يَذْهَبْنَ لِيَبْكِينَ حَمْزَةَ، فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**وَيْحَهُنَّ! مَا انْقَلَبْنَ بَعْدُ؟ مُرُوهُنَّ فَلْيَنْقَلِبْنَ وَلاَ يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ**»[1].

دعاء النبي ﷺ لها

وكانت كبشة أم سعد بين الباكيات، ولما أُخبر رسول الله ﷺ أن نساء الأنصار يبكين حمزة، قال: «**رَضِيَ اللهُ عَنْكُنَّ وَعَنْ أَوْلادِكُنَّ**»، وواسى رسول الله ﷺ كبشة بابنها عمرو فقالت: يا رسول الله، أما إذا رأيتك سالماً فقد أَشْوَتِ[2] المصيبة، ثم قال رسول الله ﷺ للنسوة المجتمعات على بكاء حمزة: «**ارجِعْنَ، رَحِمَكُنَّ اللهُ، لَقَدْ وَاسَيْتُنَّ مَعِي، رَحِمَ الأَنْصَارَ، فَإِنَّ المُوَاسَاةَ فِيهِمْ مَا عَلِمْتُ قَدِيمَةٌ**».

وقال رسول الله ﷺ: «**يَا أُمَّ سَعْدٍ، أَبْشِرِي، وَبَشِّرِي أَهْلِيهِمْ أَنَّ قَتْلاَهُمْ قَدْ تَرَافَقُوا فِي الجَنَّةِ جَمِيعاً، وَقَدْ شُفِّعُوا فِي أَهْلِيهِمْ**»، فقالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟!!، ثم قالت: يا رسول الله، ادعُ لمن خُلِّفوا، فقال: «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ حُزْنَ قُلُوبِهِمْ، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ، وَأَحْسِنِ الخَلَفَ عَلَى مَنْ خُلِّفُوا**»، فما أجمل بُشراك يا أم سعد! إنها جنة عرضها السموات والأرض أُعدَّت للمتقين!!

اهتز عرش الرحمن لموت ابنها

ويوم الخندق كان دور ابنها الثاني، فقد أُصيب سعد، وقد روى ذلك

---

(1) رواه: ابن ماجه/ كتاب: ما جاء في الجنائز/ باب: ما جاء في البكاء على الميت/ برقم: (1580).

(2) أشوَتِ: هانت.

الإمام أحمد بتفصيل عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ قَالَ: أَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو آثَارَ النَّاسِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الأَرْضِ وَرَائِي - يَعْنِي: حِسَّ الأَرْضِ - قَالَتْ: فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ يَحْمِلُ مِجَنَّهُ، قَالَتْ: فَجَلَسْتُ إِلَى الأَرْضِ فَمَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ، قَالَتْ: وَكَان سَعْدٌ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ، قَالَتْ: فَمَرَّ وَهُوَ يَرْتَجِزُ، وَيَقُولُ:

لَبِّثْ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا جَمَلْ ... مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الأَجَلْ

قَالَتْ: وَيَرْمِي سَعْداً رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِقَةِ بِسَهْمٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَطَعَهُ، فَدَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَعْدٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ قَالَتْ: وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَتْ: فَرَقَى كَلْمُهُ.

وَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَضَعَ السِّلاحَ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَضُرِبَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَقَامَتْ رُفَيْدَةُ الأَسْلَمِيَّةُ بِتَمْرِيضِهِ.

وَحِينَ نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَضُوا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ بَعْضَ قَوْمِهِ لِيَأْتُوهُ بِهِ مِنْ خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ الأَسْلَمِيَّةِ.

فَأُتِيَ بِهِ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ، قَالَتْ: وأَنَّى لا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً، وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمْ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: قَدْ آنَ لِي أَنْ لا أُبَالِيَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْكُمْ فِيهِمْ يَا سَعْدُ**» قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ

فِيهِمْ أنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَحُكْمِ رَسُولِهِ»**[1].

وفي رواية أنه قال له: **«يَا سَعْدُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»**[2].

ثم انتقض جرح سعد فمات، فصاحت أمه، فقال النبي ﷺ: **«كُلُّ بَاكِيَةٍ تَكْذِبُ إِلا أُمُّ سَعْدٍ»**، ثم قال لها: **«أَلا يَرْقَأُ دَمْعُكِ، وَيَذْهَبُ حُزْنُكِ؟ فَإِنَّ ابْنَكِ أَوَّلُ مَنْ ضَحِكَ اللهُ إِلَيْهِ وَاهْتَزَّ لَهُ العَرْشُ»**.

ثم لحقت كبشة بولديها بعد حين، رحم الله كبشة أم سعد، ورحم شهيديها عمراً وسعداً وشهداء المسلمين.



(1) رواه: الإمام أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (23945).

(2) أرقعة: جمع رقيع، وهو السماء.

36 - السيدة أم أيمن

حاضنة رسول الله ﷺ

اسمها بركةُ، والدها ثعلبةُ بنُ عمرٍو، وكنيتها أم أيمن الحبشية تزوجت عبيدَ بنَ زيد فأنجبت له أيمن، ثم تزوجت حِبَّ رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فولدت له حِبَّ حِبِّ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد.

توفي عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ وآمنة بنت وهب ما تزال حاملاً به وترك فيما ترك جارية له تدعى بركة الحبشية، فأصبحت حاضنته، وكان يناديها: «**يَا أُمِّي**».

وقد غمرته بعطفها وحنانها ولا سيما حين فقد أمه في السادسة من عمره، ولما توفي جده عبد المطلب في الثامنة من عمره كفله عمه أبو طالب وكانت أم أيمن ترعاه مع أمه الثالثة فاطمة بنت أسد زوج أبي طالب.

وتذكر ما رأته أم أيمن من بركة رسول الله ﷺ فتقول: ما رأيت رسول الله ﷺ شكا جوعاً قط ولا عطشاً، فكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة، فربما عرضنا عليه الغداء فيقول: «**لا أُرِيدَ أَنَا شَبْعَانُ**»، وما أكل شيئاً في يومه.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بنو أبي طالب يصبحون رُمْصاً شُعْثاً، ويصبح محمد ﷺ دهيناً كحيلاً، وكان أبو طالب يحبه حبّاً شديداً.

ولما تزوَّج رسول الله ﷺ السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أعتق أم أيمن برّاً بها ووفاءً لها، واعترافاً بفضلها، وتقديراً لإخلاصها في تربيته، فتزوجت عبيد بن زيد الخزرجي، وأثمر الزواج عن أيمن، ولكن بركة فقدت ابنها بعد أن سقط شهيداً يوم حنين.

وكان لرسول الله ﷺ فيها أقوال كثيرة، فتارة يقول لها: «**يَا أُمَّه**»، وتارة يقول: «**أُمُّ أَيْمَنَ، أُمِّي بعْدَ أُمِّي**»، ونظر إليها ذات مرة فقال: «**هَذِهِ بَقِيَّةُ أَهْلِ بَيْتِي**»[1].

امرأة من الجنة

ولقد تعرَّضت أم أيمن لأزمة بعد أن أشرقت شمس الإسلام، فقد بادرت إلى تصديق رسول الله ﷺ والإيمان برسالته فاشترت نفسها من النار، غير أن زوجها عبيد بن زيد أبى الإسلام واستكبر، وأقام على شركه، فكان الفراق والانفصال عن أم أيمن محتوماً.

وأما زواجها الثاني فقد روى سفيان بن عقبة قال: كانت أم أيمن تَلْطُفُ[2] رسول الله ﷺ وتقوم عليه فقال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الجَنَّةِ فَلْيَتَزَوَّجْ أُمَّ أَيْمَنَ**»[3].

قال: فتزوَّجها زيد بن حارثة، وزيد رضي الله عنه أحد سادات الصحابة، وحِبُّ رسول الله ﷺ ومولاه، وأحد السابقين إلى الإسلام، فلما سمع هذا الحديث من النبي ﷺ سارع فتزوَّجها، فولدت له أسامة بن زيد الحِبَّ ابن الحِبِّ، وما أدراك ما الحِبُّ ابن الحِبِّ؟ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أجمعين.

ولو قلَّبنا صفحاتٍ من حياة أم أيمن لعلمنا أنها ليست بالمرأة العادية كباقي النساء، ولرأيناها تفيض بالإشراق والضياء، فبعد أن حظيت بحب رسول الله ﷺ لها وتكريمه إياها، أصابها من كرم الله تعالى ما دلَّ على رفعة منزلتها وعلوِّ شأنها.

وقد أخرج ابن سعد في طبقاته فقال: لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء فعطشت وليس معها ماء، وهي صائمة فجهدها

---

(1) طبقات ابن سعد (8/ 223).

(2) تَلْطُفُ: تُكْرِمُ.

(3) الإصابة (13/ 178)، وحلية الأولياء (2/ 68)، وطبقات ابن سعد (8/ 224).

العطش، فدُلِّي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فأخذته فشربت منه حتى رويت.

فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطشٌ، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة، وإني كنت لأصوم في اليوم الحار فما أعطش[1]، فهنيئاً لك تلك الشربة التي خصَّك بها الرحمن، وأي شرابٍ أعذب من ماء الجِنان؟

ولقد كانت لأم أيمن هجرتان، كانت الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة حين رافقت آل بيت رسول الله ﷺ، وفي هذا من الفضل ما فيه، وقليلٌ من يصل إليه أو يدانيه.

شجاعتها ومحبتها للجهاد

ولو تساءلنا عن شجاعة أم أيمن لرأينا أنها لا تقلُّ عن الرجال في شجاعتهم، وقوة شكيمتهم، وشدة بأسهم، بل إنها تفوَّقت على كثيرٍ منهم يوم ولوا مدبرين، ولاذوا بالفرار يوم أُحد، ودهشت مما يصنعون، ثم أخذت أم أيمن رضي الله عنها تحثي التراب كلما مرَّ بها فارٌّ، وتقول له: «هاك المغزل فاغزل به، وهَلُمَّ سيفك»[2]، تقصد أنه امرأة ولو كان رجلاً لقاتل.

وتألمت أم أيمن لما أصاب رسول الله ﷺ من كسر رباعيته، وشق شفته، والدماء التي غطَّت وجهه الشريف، ولكنها قرَّت عيناً بعد أن رأته واطمأنت على سلامته، وقد رماها أحد المشركين بسهم فسقطت أرضاً، وحين رآها رسول الله ﷺ ناول سعد بن أبي وقَّاص سهماً من غير نصلٍ، وقال له: «**اِرْمِ سَعْدُ**»، فرمى سعدٌ من رماها فأصابه، فقال رسول الله ﷺ: «**اِسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ، أَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ، وَسَدَّدَ رَمْيَتَكَ**».

وتابعت أم أيمن سقايتها للعطاش وتضميدها للجراح، ولما كان يوم

---

(1) طبقات ابن سعد (8/ 224).

(2) دلائل النبوة للبيهقي (3/ 311).

خيبر لم تتخلَّف أم أيمن عن الخروج مع النسوة اللاتي شهدن فتح خيبر، وحضرت وصول جعفر بن أبي طالب مع المهاجرين العائدين من الحبشة، وسمعت قول رسول الله ﷺ له: «**مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أُسَرُّ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ، أَمْ بِقُدُوْمِ جَعْفَر؟**».

كانت أم أيمن عالية الهمة موفورة النشاط، وقد لامت ابنها أيمن لعدم خروجه إلى خيبر، غير أن أيمن كان معروفاً بشجاعته، ولم يكن تخلُّفه عن جبنٍ أصابه بل بسبب مرضٍ مهره يومئذٍ.

استشهاد زوجها

ودَّع زيد بن حارثة زوجه أم أيمن بعد أن استعمله رسول الله ﷺ مع جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة على الجيش الذي عزم على إرساله إلى مؤتة لقتال الروم، ولم يَدْرِ في خلدها أن ذلك الوداع لا لقاء بعده، وكان زيد أول الأمراء الثلاثة استشهاداً، ثم تلاه جعفر، وتبعهما ابن رواحة، ولما سمعت أم أيمن رسول الله ﷺ ينعي للمسلمين شهداء مؤتة لم تجد إلاّ أن تعتصم بالصبر وتستسلم لمشيئة صاحب الأمر تعالى شأنه وعلا سلطانه.

فلما كان يوم حنين دفعت أم أيمن بابنيها أيمن وأسامة ليخرجا مع المسلمين، وتأكَّد لها أن ابنها أيمن لم يكن مع الجبناء الذين فرُّوا، ولكن كان بين الثلة التي صمدت حول رسول الله ﷺ، واستُشهد يومها دونه - رحمه الله تعالى - واحتسبت أم أيمن ولدها، وغبطت لحاقه بزوجها زيد إلى دار الأبرار، مع الخالدين.

مكانتها من رسول الله ﷺ

وكان رسول الله ﷺ يحسن معاملة أم أيمن أيما إحسان، ويمازحها في بعض الأحيان، فقد جاءت إليه ذات مرة فقالت له: «يا رسول الله، احملني»، فقال لها ﷺ: «**أَحْمِلُكِ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ**»، فقالت: «يا رسول الله،

إنه لا يطيقني، ولا أريده» فقال ﷺ: «**لاَ أَحْمِلُكَ إِلاَّ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ**»؛ وكان قوله الحقَّ فالإبل كلها من ولد النوق[1].

ولم تكن أم أيمن لتتحرَّج في أن تتدلَّل على رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ لحسن معشره، وكريم أخلاقه يسايرها ولا يردها عن تصرُّفٍ قد تتجاوز فيه الحدَّ، وما ذاك إلاَّ لمكانتها عنده، وتقديره الكبير لها، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: شرب رسول الله ﷺ يوماً وأم أيمن عنده، فقالت: يا رسول الله، اسقني فقلتُ لها: ألرسول الله ﷺ تقولين هذا؟!!! فقالت: ما خدمته أكثر، فقال النبي ﷺ: «**صَدَقَتْ أُمُّ أَيْمَنَ**»، فسقاها بيده الكريمة.

وأية غرابة أن يصدر مثل هذا عن رسول الله ﷺ، إذا كان خالقه يقول عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 6].

مشاركتها بيوت النبوة أحزانها وأفراحها

كانت أم أيمن رضي الله عنها - وكأنها من بيت النبوة، تفرح إذا فرحوا، وتحزن إذا نزلت بهم الأحزان، وكانت تنصر الحق حيثما كان، وتحارب الكذب والبُهتان، ويوم حادثة الإفك التي وقعت لأم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما سألها رسول الله ﷺ: «**يَا أُمَّ أَيْمَنَ، أَيُّ امْرَأَةٍ تَعْلَمِيْنَ عَائِشَةُ؟**»، فردَّت أم أيمن رضي الله عنها: حاشى سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها إلَّا خيراً، إن الإسلام الذي هذَّب أم أيمن وهداها بنوره لم يمل بها عن الحق قيد شعرة، وخسر وخاب المفترون! لقد ظلموا أمنا بافتراءاتهم وتخرُّصاتهم وبهتانهم، ولكن العلي الكبير الذي حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرَّماً، بعث أمينه جبريل عليه السلام بآياتٍ بيِّناتٍ من الهدى والفرقان، فزهق الباطل، ودحض البهتان، فما أعظم من يدافع عنها الملك الديّان!!

---

(1) طبقات ابن سعد (8/ 224).

وشهدت بركة بنت ثعلبة رضي الله عنها وفاة أم المؤمنين السيدة خَدِيْجَةَ رضي الله عنها وغسلتها بيديها، فيا لهاتين اليدين اللتين لامستا جسد الطاهرة المطهَّرة!! ويا للطيب الذي ضمَّخهما!! وغسلت أيضاً زينب بنت رسول الله ﷺ مع بعض النسوة اللواتي حضرن غسلها، وكذلك غسلت سودة بنت زمعة، وأم سلمة رضي الله عنهما.

أما مشاركة أم أيمن في أفراح البيت النبوي فتمثَّلت في حضورها زفاف سيدة النساء فاطمة الزهراء رضي الله عنها من فارس الإسلام علي بن أبي طالب – كرَّم الله وجهه –، وشهدت ذلك العرس الفذَّ معها يومئذٍ أسماء بنت عميس الصحابية الفريدة، ودعا لها رسول الله ﷺ لأجل حضورها، وكان عرساً مشهوداً ضمَّ بعض أهل الأرض، وبعض أهل السماء، فما كان أجمله من لقاء!!

حزنها الشديد لدى وفاة النبي ﷺ

وكان أعظم ما دهيت به أم أيمن رضي الله عنها يوم انتقل ربيبها ورسولها الحبيب الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فقد بهظها الخطب، وهدَّها الكرب، وغمرتها الأحزان، وفاضت بها الآلام، وعلى الرغم من أنها كانت عثراء اللسان كما كان يقول عنها رسول الله ﷺ فقد رثته بهذه الأبيات المعبِّرة عن مكنون حبِّها وولائها وتقديرها لمن كان معها كريماً، وبها شفوقاً رحيماً، فقالت:

عَيْنُ جُودِي فَإِنَّ ذَلِكَ لِلدَّمْـ ... ـعِ شِفَاءٌ فَأَكْثِرِي مِن البُكَاءِ
حِيْنَ قَالُوا: الرَّسُولُ أَمْسَى فَقِيْداً ... مَيِّتاً كَانَ ذَاكَ كُلُّ البَلاَءِ
وَابْكِيَا خَيْرَ مَنْ رُزِئْنَاهُ فِي الدُّنْـ ... ـيَا وَمَنْ خَصَّهُ بِوَحْيِ السَّمَاءِ
بِدُمُوعٍ غَزِيْرَةٍ مِنْكَ حَتَّى ... يَقْضِي اللهُ فِيْكَ خَيْرَ القَضَاءِ
فَلَقَدْ كَانَ مَا عَلِمْتُ وَصُولاً ... وَلَقَدْ جَاءَ رَحْمَةً بِالضِّيَاءِ
وَلَقَدْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ نُوراً ... وَسِرَاجاً يُضِيْءُ فِي الظَّلْمَاءِ

طَيِّبَ العُودِ وَالضَّرِيْبَةِ وَالمَعْـ ـدِنِ وَالخَتْمِ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ

لقد أطلق الله تعالى لسانها بهذه الأبيات إكراماً لنبيه الكريم، ورسوله السند العظيم، عليه صلوات الله وسلاماته إلى يوم الدين، فيا لها من مكرمةٍ لم تتح إلاَّ للأقلِّين!!

وكان آخر جيش جيَّشه رسول الله ﷺ جيش أسامة بن زيد، ابن أم أيمن، وقبل أن ينطلق أسامة رضي الله عنه وَجِعَ رسول الله ﷺ، وجاء الصحابة وفيهم أسامة رضي الله عنه، ثم فاض الروح الطاهر الشريف إلى بارئه، وبعد أن وروي ﷺ الثرى سمع الصِّدِّيق رضي الله عنه أصواتاً تهمس معترضة على إمارة أسامة، ثم علت تلك الأصوات مطالبة بتأمير من هو أسنُّ منه، ولكن الصِّدِّيق أبى أن ينقض ما أبرمه رسول الله ﷺ، واستأذن أسامة أن يُبْقِي له عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، ليستعين به في خلافته لرسول الله ﷺ، فأذن له أسامة، ثم انطلق بجيشه، فأدَّى مهمته، ثم عاد بالنصر المؤزَّر.

أرأيتم أيها الناس كم هو عظيم الإسلام، الذي أعطى أسامة وأمه وأباه، تلك المكانة الرفيعة التي جعلت خليفة المسلمين يستأذنه وكبار الصحابة يأتمرون بما يأمر به؟! فما أكرمه من دين! وما أسماه من يقين!

تقدير الصحابة لها

وبقيت أم أيمن رضي الله عنها محل تقدير لها، وموضع احترامهم، لما يعرفونه من مكانتها عند رسول الله ﷺ، وقد روى أَنَسُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، ولَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا[1].

(1) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أم أيمن/ برقم: (4492).

وقد روى مسلمة بن محاربٍ قال: قال معاوية بن أبي سفيان لأسامة بن زيد رضي الله عنهما: رحم الله أم أيمن، كأني أرى ساقيها وكأنهما ساقا نعامة، فقال أسامة رضي الله عنه: كانت والله خيراً من هندٍ - أم معاوية - وأكرم، فقال معاوية: وأكرم أيضاً؟!! فقال أسامة: نعم والله، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: 13]، فهل بعد قول الله قولٌ لقائلٍ؟ فسكت معاوية.

وبعد رحيل رسول الله ﷺ بخمسة أشهر تقريباً فارقت بركة أم أيمن الحياة، رحمها الله تعالى، ورضي عنها.



37 - السيدة درّة بنت أبي لهب

عداوة أمها وأبيها للنبي ﷺ

اسمها دُرَّةُ، والدها عبد العُزَّى بن عبد المطلب، الملقَّب بأبي لهب، كان عم النبي ﷺ، وأشد الناس عداوة له وإيذاء، وكان يتنافس مع أبي جهل في هذا المجال، فيمشي وراء النبي ﷺ فإذا وجد أُناساً ووقف يدعوهم إلى دين الله، كان أبو لهب يقول لهم في خلفه: لا تصدِّقوه.

لقد اختار أبو لهب لنفسه ناراً وسعيراً، وأبى جنة وحريراً، وكان لفرط جهله، وسقم فكره يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقّاً، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي، ولكن هيهات!! لما يمنِّي نفسه به، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 88، 89].

كانت أمام أبي لهب طريقان، **الأولى**: وعرةٌ، شائكةٌ مخوفةٌ؛ **والثانية**: سهلةٌ، ممهَّدةٌ، آمنةٌ؛ فرضي بالأولى فسلكها حتى منتهاها، وأعرض عن الثانية فحُرم خيرها ونعماها، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

وكانت زوجه أم جميل، وتدعى أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان بن حرب، عوناً لزوجها في الحقد على رسول الله ﷺ، ومناصبته العداء، دون خجل ولا حياء.

ونظراً لسوء طبعها، وفساد طويَّتها فقد منحها الله لقباً يليق بها، فدعاها: «حمَّالة الحطب»، لأنها كانت تحمل حزم الشوك والحسك وتلقيها على طريق النبي ﷺ تريد أن تؤذيه، دون أن تدري أن الله خيرٌ حافظاً

لنبيه ﷺ، وهو أرحم الراحمين به، وبعباده المؤمنين؛ وأما المشركون والكافرون والقاسطون فكانوا لجهنم حطباً.

وكانت أم جميل تدخل البيوت في مكة لتحذِّر النسوة من هذا الدين الذي يدعو إليه رسول الله ﷺ، وتوصيهنَّ بالتمسُّك بدين الآباء والأجداد حفظاً لعهدهم، ووفاء لهم.

ووسط هذا الجو المحموم، والممتلىء بالحقد، والكراهية، والبغضاء لرسول الله ﷺ عاشت دُرَّة.

ولقد أبى علاّم الغيوب، مقلِّب القلوب أن يوجِّه قلب درة إلا إليه، وأن يجعل اعتمادها إلا عليه، فزيَّن إليها الإسلام والإيمان، وكرَّه لها الشرك والعصيان.

تزوَّجت درة بنت أبي لهب في الجاهلية من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد أنجبت له ثلاثة ذكور، هم: عقبة، والوليد، وأبو مسلم؛ وكان بين مشركي قريش يوم خرجت إلى بدرٍ، وأمسى بين صرعاها، دفين القليب.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: 214]، صدع رسول الله ﷺ بالأمر، ودعا قريشاً إلى الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما صَعِدَ رسول الله ﷺ ذات يومٍ الصفا، فقال: «**يا صَبَاحَاهُ!!**»، فاجتمعت إليه قريش فقالوا: ما لك يا محمد؟ قال: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ أَوْ مُمْسِيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي؟**»، فقالوا: بلى، ما أنت عندنا بمتَّهمٍ، بل الصادق الأمين قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»، فقال له عمه أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا دعوتنا – أو: جمعتنا–؟!! فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [المسد: 1–5].

وصُعق أبو لهب، وجُنَّ جنون امرأته أم جميل حين سمعا هذه السورة، وقد روى ابن إسحاق: أن أم جميل حمَّالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وفي يدها فِهْرٌ من حجارة[1].

فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله عز وجل فلم ترَ إلاَّ أبا بكرٍ، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدتُه لضربتُ بهذا الفِهْرِ فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم انصرفت، فقال أبو بكرٍ: يا رسول الله، ما لها؟ أما تراها رأتك؟، فقال: **«مَا رَأَتْنِي، لَقَدْ أَخَذَ الله بِبَصَرِهَا عَنِّي»**.

ثم بدأ لأم جميل أن أشد ما يؤذى به رسول الله ﷺ هو ردُّ ابنتيه رقية، وأم كلثوم رضي الله عنهما إليه، فأخبرت زوجها أبا لهبٍ بذلك واتَّفقا أن يأمرا ابنيهما عتبة، وعتيبة بطلاقهما، ولِمَا أراد الله بابنتي رسول الله ﷺ من الخير وبخطيبيهما من الهوان، أخرجهما من تحت أيديهما قبل أن يدخلا بهما، وردَّهما كريمتين إلى بيت أبيهما.

إسلامها وهجرتها

وخرجت درة بعد مقتل زوجها مهاجرة إلى الله ورسوله ﷺ في المدينة، وتزوَّجت فيها من دحية الكلبي الذي كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ بصورته، وعاشت بين نساء الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنهُنَّ جميعاً.

ولكن بعض تلك النسوة كُنَّ يُعَيِّرْنَهَا بأبيها، فهذه تقول لها: أنت ابنة عدوِّ الله، وتلك تقول لها: لقد قال الله تعالى في أبيك وأمك: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: 1-5] ولن تفيدك هجرتك شيئاً.

---

(1) الفِهْرُ: قطعةٌ من الحجارة تملأ الكفَّ.

وعزَّ على درة المؤمنة، المهاجرة، الصادقة أن تسمع ذلك منهنَّ، فقرَّرت أن تشكوهن إلى النبي ﷺ، ولما دخلت على رسول الله ﷺ وأخبرته بما قالت النسوة لها هدَّأ من روعها، ثم قام إلى صلاة الظهر، فلما صلَّى بالناس صَعِدَ المنبر ثم قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ مَا لِي أُوْذَى فِي أَهْلِي؟ فَوَاللهِ إِنَّ شَفَاعَتِي لَتَنَالُ قَرَابَتِي، حَتَّى إِنَّ صُدَاءَ وَحَكَماً وَسَلَماً لَتَنَالُهَا يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وقال صاحب «درُّ السَّحابة»: إن رسول الله ﷺ قال لدرة: «**أَغْضَبَ اللهُ مَنْ أَغْضَبَكِ**»[1].

مكانتها من رسول الله

وقد يسَّرت قرابة درة بنت أبي لهب من رسول الله ﷺ لها أن تكثر التردُّد لزيارته في بيت عائشة رضي الله عنها فوجدت فرصتها لتعبَّ من الهدي النبوي، وأحاديث رسول الله ﷺ قدراً مكَّنها من أن تحتلَّ مقعداً لها بين رواة الحديث الثقات، وقد ساعدها على ذلك عقلها الراجح، وذكاؤها الفذُّ، وحسن تلقِّيها لِمَا يُروى على مسامعها، وذكرت بعض كتب السنة جانباً مما روته أحاديث.

وكانت درة فصيحة بليغة، وقد استطاعت أن تتَّخذ لها مقعداً بين شواعر النساء المجيدات، وذلك من أيام الجاهلية.

وإذا أردنا أن نتعرَّف على مكانها درة بنت أبي لهب لدى رسول الله ﷺ، فها هي درة تحدثنا بنفسها عما حدث في إحدى زياراتها للسيدة عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ، فقال لها: «**اِيْتُونِي بِوَضُوْءٍ**»، فركضت عائشة، وسبقتُها، فأخذتُ منها الكوز، وتوضَّأ رسول الله ﷺ، وبعد أن أتمَّ وضوءه ﷺ رفع عينيه إليَّ، وقال لي: «**أَنْتِ مِنِّي، وَأَنَا مِنْكِ**».

فهل علمتم أية منزلةٍ بلغتها تلك المؤمنة؟ وإلى أين وصل بها إيمانها؟ وإلى أي دَرَكٍ نزل أبوها؟!!

---

(1) در السحابة (542).

شتَّان! شتَّان بين من آمن فارتقى، ومن كفر فهوى به كفره إلى وادٍ في جهنم سحيق!! رحم الله درة، وأحسن نزلها، ورضي عنها.



38 - السيدة جويرية بنت أبي جهل

اسمها جويرية، والدها أبو الحكم بن هشام، أو عمرو بن هشام المعروف بأبي جهل، كان أشقى قريش وأشدها عداء، وأكثرها إيذاءً للنبي ﷺ وأبعدها عن معرفة الحق.

سبب عداوة أبي جهل

ورب سائلٍ يقول: ما سبب هذه العداوة؟ ولم كان يحقد على رسول الله ﷺ كل ذلك الحقد الذي حاد به عن الإسلام، فنبذ النور وعاش في الظلام؟

لِنُصْغِ إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «**ازْدَحَمْتُ أَنَا وَعَمْرو بْنَ هِشَام عَلَى مَائِدَةٍ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ، وَنَحْنُ غُلامَانِ، وَكُنْتُ أَسَنَّ مِنْهُ**[1]، **فَدَفَعْتُهُ، فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتِهِ فَجُحِشَ**[2] **عَلَى إِحْدَاهُمَا جَحْشاً لَمْ يَزَلْ أَثَرُهُ بِهِ**»، وهذا سببٌ أَوَّلٌ!!

وبعد أن آمت السيدة خَدِيْجَةُ بنت خويلد من زوجها في الجاهلية أبي هالة، ويُدعى مالك بن نبَّاش، خلفه عليها بعد وفاته عتيق بن عائذٍ، فلما مات تقدَّم إلى خطبتها الأكابر من قريش، وصفوة زعمائها، وكلهم يتمنَّى أن تصبح الطاهرة له زوجاً، وكان أبو جهل أحد الذين تمنَّوا الزواج منها، ولكنها رفضتهم جميعاً لأنها لم تجد فيهم الرجل الذي يناسبها، وأسف أبو جهل لأنه لم يَحظَ بقبولها، وحزن كثيراً لرفضها إياه، غير أن أسفه وحزنه

---

(1) أسنُّ منه: أكبر منه يسيراً.
(2) جُحِشَ: خُدِشَ خدشاً بسيطاً.

تحوَّلا إلى حقدٍ بالغ على الذي رضيت به بعد ذلك، وآثرته على كل الذين تنافسوا في خطب وُدِّها، والظفر بقلبها.

وكان الذي حظي برضاها، واستراح إليه هواها، خيرة الله من خلقه، سيدنا محمد ﷺ، فلما سمع بذلك أبو جهل قال بأسًى شديدٍ: ألم تجد غير يتيم قريش، وربيب أبي طالب؟!! وهذا سببٌ ثانٍ!!

ولم يستطع أبو جهلٍ كتمان هذا الأمر في صدره حتى أظهره للناس، والألم ينهش فؤاده، ويفتِّت كبده.

وانصرمت عشر سنواتٍ بعد ذلك على زواج الطاهرة المبارك من رسول الله ﷺ، فتعرَّضت مكة لسيلٍ هائلٍ، غمر المسجد الحرام، فخشيت قريش على الكعبة المشرَّفة من التداعي فعزمت على تجديدها، وشاركت كافة القبائل العربية في هذا العمل المشرِّف حتى لا يكون لواحدةٍ منها زيادة فضل في بناء الكعبة.

ولما وصلوا في البناء إلى موضع الحجر السود نشب الخلاف بين القبائل حول أية قبيلة ينبغي لها أن تضع ذلك الحجر في مكانه، وكادت تستعر بينها نار حربٍ شعواء لأن كلاً منها كانت تريد الحصول على هذا الشرف الكبير.

ولما كان أبو أُمية بن المغيرة أكبر القوم سناً فقد اقترح عليهم أن يجعلوا أول داخلٍ من باب المسجد حكماً بينهم، فوافق رأيه هوًى في نفوسهم، ورضوا به، وأخذوا ينظرون إلى الباب، فكان أول الداخلين سيدنا محمد ﷺ، فهتف الجميع: هذا الأمين، رضينا به.

ولما أخبروه بما شَجَرَ بينهم قال: «**هلمَّوا إليَّ ثوباً**»، فناوله الوليد بن المغيرة ثوباً، فبسطه رسول الله ﷺ أرضاً ثم أخذ الحجر بيديه الشريفتين ووضعه عليه، ثم قال: «**لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعاً**»، وحين بلغوا مكان الحجر الأسود حمله النبي ﷺ بيديه الكريمتين

وأثبته موضعه، وبات القوم راضين، بما صنعه الأمين، المحاط بعناية رب العالمين؛ وهذا سببٌ ثالثٌ!!

ولقد روى هذه القصة الإمام أحمد في مسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ مَوْلَاهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: وَلِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ بِيَدَيَّ أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ الَّذِي أَنْفَسُهُ عَلَى نَفْسِي فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ فَيَبُولُ، فَبَنَيْنَا حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ حِجَارَتِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ، فَقَالَ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَماً، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ: فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ مَكَانَهُ[1].

بَيْدَ أَنَّ رابع الأسباب كان أشدَّها وطأةً على أبي الحكم بن هشام، بل أبي جهلٍ وكبير الأشقياء! فكيف يُبعث إلى محمد بن عبد الله دونه ودون بقية زعماء قريش من ذوي الجاه والمال والسيادة؟ وفيما كان رسول الله ﷺ في الطريق مرَّ به أبو جهلٍ والمغيرة بن شعبة - قبل إسلامه رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «**يَا أَبَا الحَكَم هَلُمَّ إِلَى الإِسْلَامِ، هَلُمَّ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ، أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ**»، فقال أبو جهل: يا محمدُ، هل أنت منتهٍ عن سبِّ آلهتنا؟ هل تريد أن نشهدَ أنَّك قد بلَّغت؟ فنحن والله - نشهد أنْ قد بلَّغت، فكُفَّ عنَّا، فوالله لو أعلم أن ما تقوله حقٌّ لاتَّبعتك منذ زمنٍ.

فلما انصرف عنهما رسول الله ﷺ قال أبو جهلٍ لصاحبه المغيرة: والله إني لأعلم أن ما يقوله يتيم بني هاشم حقٌّ، ولكن يمنعني شَيْءٌ لا أملك دفعه

(1) رواه: أحمد/كتاب: مسند المكيين/باب: حديث السائب بن عبد الله رضي الله عنه/برقم: (14957).

فسأله المغيرة: وما هو يا أبا الحكم؟ فقال: إن بني قُصَيٍّ قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم؛ ثم قالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم؛ ثم قالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم؛ ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم؛ ثم أطعموا وأطعمنا حتى تحاكَّت الركب فقالوا: منَّا نبيٌّ يُوحى إليه، والله لا أفعل.

إذاً، فالقضية عند أبي جهلٍ تنافسٌ ومصاولة بينه وبين بني قصي، إن أبا جهلٍ عرف الحق، ثم أعرض عنه غيرةً وحسداً واستكباراً وعناداً، فكان من الخاسرين.

وكان أبو جهلٍ وأهل بيته أكثر أهل مكة حقداً على رسول الله ﷺ لأن ظهوره منع أبا جهلٍ من أن يكون زعيم قريش في مكة دون منازع، كما حرم رأس المنافقين عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول من أن يتوَّج ملكاً على يثرب بعد أن أجمع الأوس والخزرج أمرهم عليه، وكاد أن يتمَّ له السلطان.

موت أبي جهل

وجاء يوم بدرٍ، ذلك اليوم الذي لقيت فيه قريش شرَّ أيامها، ففقدت كبار زعمائها، وأعز رجالها، وتمكَّن عوف ومعاذ ابنا الحارث وعفراء من قتل أبي جهلٍ، ثم مرَّ به عبد الله بن مسعودٍ وكان به رمق، فأجهز عليه، ثمَّ احتزَّ رأسه، وحمله إلى رسول الله ﷺ وألقاه بين يديه، فحمد الله تعالى، ثمَّ وقف رسول الله ﷺ على ابني عفراء فترحَّم عليهما، وقال: «**رَحِمَ اللهُ ابْنَيْ عَفْرَاء، اشْتَرَكَا فِي قَتْلِ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَرَأْسِ أَئِمَّةِ الكُفرِ**»، فقيل: «يا رسول الله، من قتله معهما؟ قال: «**المَلائِكَةُ، وَذَفَّفَ عَلَيْهِ ابْنُ مَسْعُود**»، وفرح المؤمنون بنصر الله.

ثمَّ انقلبوا عائدين مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وعلى هاماتهم أكاليل الغار، تعلوها رايات الانتصار، وكان مصرع أبي جهلٍ باعثاً على زيادة الكراهية في صدر عكرمة وأخته جويرية لرسول الله ﷺ، وظلاً على ذلك

حتى أقبل يوم الفتح العظيم، يوم دخلت كتائب المؤمنين إلى مكة يقودها رسول الله ﷺ لتطهِّرها من أوثانها وأصنامها وأرجاسها وظلماتها.

إسلام جويرية وأخيها

وفرّ عكرمة يريد السفر إلى اليمن عن طريق البحر، وصعد بلال رضي الله عنه ظهر الكعبة المشرفة ليرفع صوته بالأذان، وانسابت كلماته عبر الهواء فمسَّت القلوب والآذان.

واقتربت من رسول الله ﷺ ثلاث نسوة، هنَّ: هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب، وأم حكيم زوج عكرمة بن أبي جهلٍ، وجويرية بنت أبي جهلٍ فبايعن رسول الله ﷺ، وشهدن شهادة الحق.

ثم استأمنت أم حكيم لزوجها عكرمة، وكان رسول الله ﷺ قد أهدر دمه، فأمَّنه، فلحقت به أم حكيم فرأته وقد أوشك أن يركب البحر، فقالت له: لقد جئتك بالأمان، من عند خير الناس، وأبر الناس، وأكرم الناس، فعاد معها وأسلم.

خطبة علي لها ثم تركها

ولقد أراد علي بن أبي طالب أن يخطب جويرية بنت أبي جهلٍ فلم تَرُقِ الخطبة لرسول الله ﷺ فيما روى البخاري أنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: **«أَمَّا بَعْدُ، أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللهِ لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ»**.

قَالَ: فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ، وَزَادَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَة، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مِسْوَرٍ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ صِهراً لَهُ

مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ، قَالَ: «**حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَى لي**»[1].

وفي رواية مسلم عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ ابْنُ يُونُس: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ، أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ، إِلاَّ أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**»[2].

وروى أبو داود عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ الدِّيْلِيُّ، أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ حَدَّثَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حَدَّثَهُ أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما لَقِيَهُ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: لا، قَالَ: هَلْ أَنْتَ مُعْطِيَّ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، وَايْمُ اللهِ لَئِنْ أَعْطَيْتَنِيهِ لا يُخْلَصُ إِلَيْهِ أَبَداً حَتَّى يُبْلَغَ إِلَى نَفْسِي، إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ رضي الله عنها فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ، فَقَالَ: «**إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا**»، قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ صِهْراً لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ فَأَحْسَنَ، قَالَ: «**حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلالاً وَلاَ أُحِلُّ حَرَاماً وَلَكِنْ وَاللهِ لا**

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المناقب/ باب: ذكر أصهار النبي ﷺ، منهم أبو العاص بن الربيع/ برقم: (3450).

(2) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ/ برقم: (4482).

تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ مَكَاناً وَاحِداً أَبَداً»، قَالَ: فَسَكَتَ عَلِيٌّ عَنْ ذَلِكَ النِّكَاحِ[١].

وتزوَّج عتَّاب بن أُسيد أمير مكة من جويرية، وبقيت عنده حتى ماتت، رحمها الله تعالى، ورضي عنها.



(1) رواه: أبو داود/ كتاب: النكاح/ باب: ما يُكره أن يجمع بينهن من النساء/ برقم: (1772).

39 - السيدة عزَّة بنت أبي سفيان

أخت أم المؤمنين

اسمها عزَّة، والدها أبو سفيان بن حرب أحد زعماء قريش في الجاهلية، ومن أبرز أشرافها، وأختها أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان زوج رسول الله ﷺ.

فرَّت أم حبيبة بدينها إلى الحبشة مهاجرة مع زوجها عبيد الله بن جحش، حين أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة ليعيشوا بجوار ملكٍ لا يُظلم على أرضه أحدٌ.

واستيقظ زوجها ذات صباح ليخبرها أنه تحوَّل إلى دين النصرانية التي كان عليها قبل إسلامه لأنه رآها خيراً له من الإسلام ثم أكبَّ على شرب الخمر حتى مات.

واعتدَّت أم حبيبة رضي الله عنها وما أن انتهت عدَّتها حتى وجدت أبرهة رسول النجاشي تستأذن عليها لتخبرها أن رسول الله ﷺ قد كتب إلى سيدها ليزوِّجه منها فقالت لها: بشَّركِ الله بخير.

وقد بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أُميَّةَ الضمري إلى النجاشي فزوَّجه إياها، وأجرى العقد خالد بن سعيد بن العاص، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وبعثها مع شرحبيل بن حسنة، وجهَّزها من عنده، وأقام وليمة العرس، فحضرها جعفر بن أبي طالب وجميع المسلمين المهاجرين إلى الحبشة.

وحين أُخْبِرَ أبو سفيان أن صهره عبيد الله بن جحش قد تنصَّر في الحبشة ومات على ذلك استبشر بعودة ابنته أم حبيبة إليه نادمة لأنها أسلمت وهاجرت دون علمه، حتى إذا أُخبر أنها أصبحت زوجةً للنبي ﷺ وقيل له

يومئذٍ – وهو مشركٌ مُحارِبٌ رسولَ الله ﷺ: إن محمداً قد نكح ابنتك، قال: فذاك الفحل، لا يُقْدَعُ أنفه[1] [2].

وبعد عودة المهاجرين من الحبشة هاجرت أم حبيبة هجرتها الثانية إلى المدينة، ولِمَا أراد الله تعالى بأختها عزَّة من الخير نوَّر قلبها، وهداها إلى الإسلام، فأسلمت في مكة دون علم والدها أبي سفيان بن حرب، ثم هاجرت إلى المدينة، والتقت بأختها أم حبيبة رضي الله عنهما.

وفي المدينة بلغ أم حبيبة أن رسول الله ﷺ يخطب فسارعت تبحث عن الخير لأختها عزَّة فيما رواه البخاري عن الزُّهَرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: «**أَوَ تُحِبِّينَ ذَلِكَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ ذَلِكَ لا يَحِلُّ لِي**»، قُلْتُ: فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: «**بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ**»، قُلْتُ: نَعَمْ فَقَالَ: «**لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلا أَخَوَاتِكُنَّ**».

قَالَ عُرْوَةُ: وثُوَيْبَةُ مَوْلاةٌ لأَبِي لَهَبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ، غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ[3].

---

(1) أي: أنه كفءٌ كريم لا يرد.

(2) الحاكم في المستدرك (4/ 22)، والطبقات الكبرى لابن سعد (8/ 99)، وأبو عمر في الاستيعاب (4/ 1844).

(3) رواه: البخاري/ كتاب: النكاح/ باب: وأمهاتكم اللائي أرضعنكم ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب/ برقم: (4711).

إسلام أبيها

ولما توجَّه رسول الله ﷺ إلى مكة يوم الفتح المبين فتح مكة أذن الله لأبي سفيان بالخير العميم فأسلم، حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ - يَعْنِي: ابْنَ الْفَضْلِ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ قَالَ الْعَبَّاسِ: قُلْتُ: وَاللهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ.

فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَجِدُ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي أَهْلَ مَكَّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ، فَإِنِّي لأَسِيرُ إِذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا لَكَ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ، قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قَالَ: أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَوْ ظَفِرَ بِكَ لَكُنْتَ فِي الهَالِكِيْنَ، وَهَذِهِ بَغْلَتُهُ مَعِي فَارْكَبْ عَجُزَهَا حَتَّى نَمْضِي إِلَيْهِ، وَأَسْتَأْمِنَهُ لَكَ فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبُهُ، وَانْطَلَقَ الرَّجُلانِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَفْسَحُونَ لَهُمَا الطَّرِيْقَ، وَرَآهُمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَالَ: عَدُوُّ اللهِ أَبُو سُفْيَانَ؟ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ دُوْنَ عَقْدٍ وَلاَ عَهْدٍ وَحَاوَلَ الإِمْسَاكَ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنَّ البَغْلَةَ سَبَقَتْهُ، فَعَدَا عُمَرُ وَرَاءَهَا قَاصِداً رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرِيْدُ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُ فِي قَتْلِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَدَخَلَ العَبَّاسُ وَأَبُو سُفْيَانَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعُمَرُ فِي إِثْرِهِمَا، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ، وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي لأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ العَبَّاسُ مُحْتَدّاً: مَهلاً يَا عُمَرُ، لَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ[1] لَمَا قُلْتَ مِثْلَ هَذَا، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، فَقَالَ

(1) بنو عدي بن كعب: قوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عُمَرُ: مَهْلاً يَا عَبَّاسُ، فَوَاللهِ لإِسْلامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلامِ الخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلاَّ أَنِّي عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِسْلامِ الخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ، وَقَالَ: اذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِي بِهِ، وَلَكِنَّ أَبَا سُفيَانَ لَمْ يُغْمِضِ الأَجْفَانَ، وَقَضَى اللَّيْلَ سَهْرَانَ، لأَنَّهُ يَجْهَلُ مَصِيْرَهُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا بِهِ العَبَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا دَخَلا عَلَيْهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لا إِلَه إِلاَّ اللهُ؟**»، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ لَمَا أَغْنَى عَنِّي شَيْئاً بَعْدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**»، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! أَمَّا هَذِهِ فَفِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَكَانَ العَبَّاسُ قَلِقاً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ لأَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ يَنْتَظِرُ الإِشَارَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يُطِيحَ بِعُنُقِ أَبِي سُفْيَانَ لِذَلِكَ قَالَ لَهُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَسْلِمْ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقَكَ، فَأَسْلَمَ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الحَقِّ فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئاً قَالَ: «**نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ**» قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ[1].

يوم فتح مكة

وروى البخاري حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشاً خَرَجَ

---

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الخراج والإمارة والفيء/ باب: ما جاء في خبر مكة/ برقم: (2627).

أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: «**احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْخَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ**» فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ.

فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ، قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارَ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الأَنْصَارُ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمَ الذِّمَارِ، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ، وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ، فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ قَالَ: «**مَا قَالَ؟**» قَالَ: كَذَا وَكَذَا فَقَالَ: «**كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ**».

قَالَ: وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُرْكَزَ رَايَتُهُ بِالْحَجُونِ، قَالَ عُرْوَةُ: وَأَخْبَرَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ يَقُولُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، هَاهُنَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تَرْكُزَ الرَّايَةَ؟ قَالَ: وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رضي الله عنه أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ، وَدَخَلَ

النَّبِيُّ ﷺ مِنْ كُدًا، فَقُتِلَ مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه يَوْمَئِذٍ رَجُلاَنِ: حُبَيْشُ بْنُ الأَشْعَرِ، وَكُرْزُ بْنُ جابِرٍ الْفِهْرِيُّ[1].

وانقلب أبو سفيان إلى قومه قبل أن يدخل جند الله إلى مكة، وأخذ يناديهم: يا قوم، ألا إني قد أسلمت فأسلموا، إن محمداً آتيكم بما لا قِبَلَ لكم به، وصعقت هند بنت عتبة حين سمعت ما يقوله أبو سفيان زوجها، فسارعت إليه تقول له: بئس طليعة القوم أنت! يا أهل مكة، اقتلوا هذا الهائج، قُبِّح من طليعة قوم، فقال أبو سفيان: ويلكم! لا تغرنَّكم هذه بما تقول، فإنه سينزل بكم ما لا تطيقون!

ودخل الفاتح الأعظم ﷺ وأمر بإزالة الأصنام من داخل الكعبة وما حولها، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، ورأت هندٌ أن قريشاً لن تقوم لها قائمة بعد اليوم فاصطحبت بعض النسوة، وانطلقن جميعاً إلى رسول الله ﷺ لمبايعته.

ولما دخلن عليه كانت هند متنقبةً، فحسرت عن وجهها، وقالت: أنا هند بنت عتبة، وقد جئت أبايعك على الإسلام، فقال لها رسول الرحمة ﷺ: «**مَرْحَباً بكِ**»، وأسلم آل أبي سفيان، والتمَّ شملهم بعزَّة وأم حبيبة، حتى جاءهم هازم اللذات، ومفرِّق الجماعات، رحمهم الله تعالى.



(1) رواه: البخاري/كتاب: المغازي/باب: أين ركز النبي ﷺ رايته يوم الفتح/برقم: (3944).

40 - السيدة حمنة بنت سفيان

أم سعد المسلم

اسمها حمنة، والدها سفيان بن أُمية، وابن عمها أبو سفيان بن حرب، تزوَّجت في الجاهلية مالك بن أُهيب، وهو أبو وقاص، فولدت له بعض الأولاد من بينهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، ومن السابقين الأوائل إلى الإسلام.

لقد رأى سعد نفسه في المنام يسبح في ظلام كثيفٍ، وفجأة أضاء له قمر، فنظر أمامه، فوجد ثلاثة قد سبقوه، فلما حدَّقَ إليهم عرفهم، إنهم أبو بكرٍ الصِّدِّيق، وعلي بن أبي طالبٍ، وزيد بن حارثة رضي الله عنهم.

ولاحظت حمنة أن ابنها قد استيقظ على غير عادته فهو بادي القلق، ولما سألته عما به، قال: لا شيء، وسألته: هل قدَّمت واجبات الولاء اليومية للآلهة؟ فردَّ عليها بتثاقلٍ: لا، لا، وشرد سعد، وسرح بفكره، وراح يسأل نفسه: ما الذي تعنيه هذه الرؤيا؟ ولِمَ سبقني هؤلاء الثلاثة؟

وذهب سعد إلى عمله في بري السهام، وبعد قليلٍ أقبل إليه ثلاثة من فتيان قريش وخيرة شبابها ممن أُولعوا بالصيد ليبري لهم سهامهم، فقضى لهم حاجاتهم، وفكره لا يزال مشغولاً بتلك الرؤيا التي رآها في ليلته الفائتة، وما إن انصرفوا عنه، حتى أتاه أبو بكرٍ وقبل أن يهمَّ سعد بإخباره عن رؤياه حتى يعبِّرها له، بادره أبو بكرٍ بقوله: اسمع يا سعد، لقد جئتك في أمرٍ ذي بال، قال: أي أمرٍ هذا؟ قال أبو بكر: إنك خال محمد بن عبد الله، وأنت أعلم الناس بصدقه وأمانته، قال سعد: ليس محمد عندي بمتهم، قال أبو بكر: لقد نزل عليه الوحي وأخبره أنه نبي هذه الأمة، وأمره بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده.

قال سعد: وهذه الآلهة، ما يصنع بها؟ قال أبو بكر: إنها أصنام لا تُبصر ولا تسمع، ولا تضر ولا تنفع قال سعد: وهل تبعه أحد؟ قال أبو بكر: أجل أنا وعلي وزيد.

وذكر سعد رؤيا الأمس، نعم، إنهم الثلاثة الذين رآهم في منامه، إنه حقيقة وليس بمنامٍ إذن، وطلب سعد من أبي بكر أن يصحبه إلى رسول الله ﷺ في الحال، وبعد أن سلَّما عليه، نطق سعد بكلمة التوحيد، وشعر براحةٍ واطمئنانٍ لم يشعر بمثلهما من قبل، وبدأ سعد مسيرته مع الإسلام.

كان سعد شديد البر بأمه، حتى إنه كان يطعمها بيديه، وكان حبه المفرط لها يمنعه من إغضابها، والتفكير في إيذائها، كان سعد مواظباً على القرب من رسول الله ﷺ والجلوس إليه لينهل من نفحاته المباركة، ويسمع حديثه العذب، ويعبُّ من نبع حكمته الصافية.

وذات يومٍ صفَّ سعد قدميه بين يدي الله، وراح يصلي إليه ويدعوه، وفيما هو مستغرقٌ في صلاته دخلت عليه أمه حمنة وأخذت تتساءل: بأي شيْءٍ يحرِّك شفتيه، وما الذي يقوله في ركوعه وسجوده؟ وإلام يسجد وليس من صنم أمامه؟ ثم إنها اعتادت إذا دخلت عليه أن يبادر إليها ويكلمها، فما الذي يشغله الآن عن أمه التي يحبها؟ ودنت منه، وأخذت تحدِّثه، ولكنها لم تحظ بجوابٍ، وكرَّرت سؤالها: ماذا تفعل يا سعد؟ وأي شيءٍ يمنعك من أن تردَّ عليَّ؟ وحين أخذ الغضب منها كل مأخذ كان سعد قد فرغ من صلاته، فالتفت يمنة، ثم التفت يسرة، ثم أقبل عليها وقال: كنت في صلاة يا أمي، وما ينبغي لي أن أقطعها.

قالت حمنة: وأين الصنم؟ لقد سجدتَ وما من صنمٍ أمامك!! قال: كنت أصلي لله رب العالمين يا أماه قالت: ومن رب العالَمين؟ قال: الذي خلق السماوات والأرض، وخلقنا، وخلق كل شيء، قالت: أَوَتَسجد لغير

اللات والعُزَّى يا سعد؟ قال سعد: اسمعي يا أماه، إنها حجارة صمٌّ لا تضر ولا تنفع قالت: ما الذي أصابك يا سعد؟ أتدع آلهة آبائك، وتُسفِّه أحلامهم؟ ما أراك إلاَّ قد فقدت رشدك!!

ما صدقتِ يا أم سعد، لقد فقد سعد رشده يوم كان يقف أمام حجرٍ يناجيه ويتضرَّع إليه، وهو لا يملك إليه ضرّاً ولا نفعاً، ولكنه اليوم قد استعاد رشده حين وقف أمام من يبصر ويسمع، ويضر وينفع، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويفرِّق ويجمع، ويصل ويقطع، الخالق الرازق، من ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير.

إصرارها على دعوة ابنها للشرك

وأخذت حمنة تلح على ابنها سعد في ترك هذا الدين الجديد، والقيام على دين آبائه حتى لا يكون جاحداً لفضلهم، ولكن هيهات!! إن إيمان سعد أصبح أقوى من راسيات الجبال، فالجبال قد تتيسَّر إزاحتها، وتسهل إزالتها، ولكن إيمان سعد لا سبيل إلى انتقاص نقطة من بحره البعيد الأغوار.

ولما أسرفت حمنة على سعد في إلحاحها أراد أن يحسم الأمر معها، فقال لها: يا أمي، تعلمين كم أحبك، وكم أتمنَّى لك الخير، ولهذا أدعوك إلى الدخول في هذا الدين، لأبعدك عن النار المعدَّة لمن لا يعتنقونه، وباتوا على كفرهم مصرِّين، فقالت له: اسمع يا سعد، لئن أصررت على عنادك، فإني لن آكل ولن أشرب حتى أموت، فتُعيَّر بي، قال: لا تفعلي ذلك يا أمي، فتضري نفسك دون أن تحصلي مني على ما تريدين، فإني لست بتاركٍ ديني مهما فعلت، ولو كانت لك مئة نفسٍ فخرجت الواحدة تلو الأخرى، لما رجعت إلى الكفر بعد الإيمان، وكيف أرجع إليه بعد أن نجَّاني الله منه وهداني سبيل الرشاد؟!

وقد حدَّثَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالا: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بنُ مُوسَى، حَدَّثَنا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لا تُكَلِّمَهُ

أَبداً حَتَّى يَكْفرَ بِدينِهِ وَلاَ تَأْكلَ وَلاَ تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهذَا، قَالَ: مَكَثَتْ ثَلاثاً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: 8] ونزل قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ [لقمان: 15] وفيها ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15]. قَالَ: فَكَانُوا إِذَا أَرَادوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا بِعَصاً ثُمَّ أَوْجَرُوهَا.

ابتعاد ابنها عنها وهجرته

قال: وأصاب رسُولُ اللهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ فَقُلْتُ: «نَفِّلْنِي هَذَا السَّيْفَ، فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ» فَقَالَ: «**رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ**» فَانطَلَقْتُ، حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبَضِ لامَتْنِي نَفْسِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقلْتُ: أَعْطِنيهِ، قَالَ: فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ: «**رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ**» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: 1].

قَالَ: وَمَرِضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمْ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ، قَالَ: فَأَبَى، قُلْتُ: فَالنِّصْفَ، قَالَ: فَأَبَى، قُلْتُ: فَالثُّلُثَ، قَالَ: فَسَكَتَ، فَكَانَ بَعْدُ الثُّلُثُ جَائِزاً.

قَالَ: وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ، وَنَسْقِكَ خَمْراً، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ[1]، فَإِذَا رَأْس جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ.

قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ: فَذَكَرْتُ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ، فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ

(1) الحَشُّ: البُسْتَانُ.

الرَّأسِ، فَضَرَبَنِي بِهِ، فَجرَحَ بِأَنْفِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُه، فَأَنْزَلَ اللهُ عزوجل فِيَّ - يَعْنِي: نَفْسَهُ - شَأنَ الْخَمْرِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: 90].

وَحدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: أُنْزِلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ، عَنْ سِمَاكٍ، وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضاً: فَضَرَبَ بِهِ أَنْفَ سَعْدٍ فَفَزَرَهُ، وَكَانَ أَنْفُ سَعْدٍ مَفْزُوراً[1].

وكان سعد لا يتخلَّف عن الصلاة خلف رسول الله ﷺ وحضور مجالسه والجهاد معه، ويوم أُحد كان سعد واحداً من الصحابة الذين صمدوا مع رسول الله ﷺ، وفاز من رسول الله ﷺ بدعوة مباركة طيبة فيما رواه الترمذي عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ**».

قَالَ أَبُو عِيسَى: وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ**»[2].

كما روى عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُفَدِّ أَحَداً بِأَبَوَيْهِ إِلا لِسَعْدٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**» وَقَالَ الترمذيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»[3].

---

(1) رواه: مسلم/كتاب: فضائل الصحابة/باب: فضائل سعد بن أبي وقاص/برقم: (4432).

(2) رواه: الترمذي/كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/باب: مناقب سعد بن أبي وقاص/ برقم: (3684).

(3) رواه: الترمذي/كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/باب: مناقب سعد بن أبي وقاص/ برقم: (3688).

إسلامها

ولما كان يوم فتح مكة دخلها سعد مع رسول الله ﷺ، وجاءت ثلة من النساء لمبايعة النبي ﷺ، وقرَّت عين سعد حين رأى والدته حمنة بنت سفيان بين المبايعات، فاشترت نفسها من النار، وماتت على الإسلام، رحمها الله تعالى.



41 - السيدة أم عبد بنت عبد ود

إسلام ابنها

تزوَّجت أم عبد بنت عبد ودّ من مسعود بن غافل، وولدت له ولدين هما: عبد الله، وعتبة، ابنا مسعود، ثم وافته المنية دون أن يترك لهم شيئاً من المال يسد حاجاتهم، واضطر عبد الله إلى رعي غنم عقبة بن أبي معيط أحد وجهاء قريش، لقاء أجرٍ زهيدٍ يبلغه وأسرته عيش الكفاف.

وحين سمع عبد الله عن بعثة النبي ﷺ راح يسأل عن مكانه حتى يلقاه، فقيل له: يمكن أن تراه إما في بيته، وإما في المسجد الحرام.

وقد روى الإمام أحمد عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ غُلاماً يَافِعَاً أَرْعَى غَنَماً لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالاَ: يَا غُلامُ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا؟ قُلْتُ: إِنِّي مُؤْتَمَنٌ، وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ**؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا، فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرْعَ، وَدَعَا فَحَلَ الضَّرْعُ ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ، فَاحْتَلَبَ فِيهَا، فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ شَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «**اقْلِصْ**» فَقَلَصَ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: «**إِنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ**» قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ[1].

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: مسند عبد الله بن مسعود/ برقم: (4180).

إسلامها

وآمن عبد الله وأمه وأسلما، ولما علم عقبة سيده جاء إلى أم عبد وقال لها: أصحيحٌ أنكما صبوتما؟ قالت أم عبد: بل آمنَّا بمن جاءنا بخيري الدنيا والآخرة، فأدرك نفسك، والحق به قبل أن يأتيك أجلك فتكون من الخاسرين.

ولكن عقبة اختار أن يكون في صفِّ المعادين لرسول الله ﷺ، وبات ينافس أبا جهلٍ في إلحاق الأذى بالنبي ﷺ حتى تجرَّأ على وضع سلي الجزور على ظهره الشريف وهو ساجدٌ بين يدي ربه، وظل يتمادى في شره وأذاه حتى قتله الله يوم بدرٍ مع ثلة من سفهاء قريش، كان من أبرزهم أبو جهلٍ وابنا ربيعة عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأُمية بن خلف.

وعلى الرغم من صغر جسد عبد الله بن مسعود ونحول جسمه إلاَّ أنه تحدَّى جبروت قريش وكبرياءها، حين وقف في المقام على مرأى ومسمع من قريش وجهر بتلاوة القرآن، فقام إليه بعض فتيانها وضربوه حتى كادوا يهلكونه، فلما أتى أصحابه، قالوا له: هذا ما خشيناه عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأعودنَّ لمثلها غداً، فقالوا له: لقد أسمعتهم ما يكرهون، فحسبك ذلك.

وكان عبد الله ينقل إلى أمه كل ما يسمعه من النبي ﷺ، واجتهد في العبادة والجهاد حتى أصبح من كبار الصحابة، وأمكنه الله من قتل أبي جهل يوم بدر.

هجرتها إلى المدينة

وقد هاجر ابن أم عبد وأمه إلى المدينة مع المهاجرين، وفي المدينة لزما رسول الله ﷺ حتى كادا يصبحان من أهل بيته لشدة لزومهما له، فَعَنْ أبي مُوسى رضي الله عنه قَالَ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَمَكَثْنَا حِيناً مَا نُرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلاَّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلُزُومِهِمْ لَهُ[1].

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المغازي/ باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن/ برقم: (4033).

ولقد بلغ فضل ابن أم عبد درجة جعلت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَنْهُ: «**لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّراً أَحَداً مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ، لأَمَّرْتُ عَلَيْهِمُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ**»[1].

وقد أكَّد عمرو بن العاص حبَّ رسول الله ﷺ لابن أم عبد فيما رواه الإمام أحمد قَالَ: جَزِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عِنْدَ الْمَوْتِ جَزَعاً شَدِيداً، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: يا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا هَذَا الْجَزَعُ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُدْنِيكَ وَيَسْتَعْمِلُكَ؟!! قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ، إِنِّي وَاللهِ مَا أَدْرِي أَحُبًّا ذَلِكَ كَانَ أَمْ تَأَلُّفاً يَتَأَلَّفُنِي؟ وَلَكِنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَجُلَيْنِ أَنَّهُ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُمَا: ابْنُ سُمَيَّةَ، وَابْنُ أُمِّ عَبْدٍ[2].

لقد وفى عبد الله وأمه أم عبد بعهد الله وعهد رسول الله ﷺ حتى جاءهما الأجل، رحمهما الله تعالى.



(1) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: مناقب عبد الله بن مسعود/ برقم: (3744).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: مسند الشاميين/ باب: حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ/ برقم: (17113).

42 - السيدة رقيقة بنت أبي صيفي

نسبها القريب من النبي ﷺ

اسمها رقيقة، والدها أبو صيفي بن هاشم، عمها عبد المطلب، والعباس وإخوته أبناء عمها.

كان عبد المطلب يحنو على حفيده اليتيم محمد ﷺ حنوّاً شديداً، ويجلسه على فراشه في ظل الكعبة، وكان أعمامه لا يجلسون عليه إجلالاً لأبيهم، فإذا أرادوا أن يؤخِّروا محمداً عن الفراش قال لهم أبوهم عبد المطلب: دعو ابني، فإن له لشأناً.

ولما أصاب مكة قحطٌ شديدٌ خرج عبد المطلب بقومه ومعهم حفيده، وارتقوا جبل أبي قبيس ثم رفع يديه وقال: اللهمَّ سَادَّ الخَلَّةَ[1]، وكاشف الكُربةَ، أنت معلِّمٌ غير معلَّم، ومسؤولٌ غير مُبخَّلٍ، وهذه عبادك وإماؤك بِعَذَرَاتِ[2] حَرَمِكَ، يشكون إليك سِنِيَّهم[3] التي أذهبت الخُفَّ[4] والظلفَ[5]، اللَّهمَّ أمطر علينا مُغدقاً مرتعاً.

فما لبثو أن هملت السماء بوابلٍ خيِّرٍ أحيا البلاد والعباد وفاض بالخير على مكة وما حولها، فقال شيوخ قريش لعبد المطلب: هنيئاً لك أبا البطحاء، عاش بك أهل البطحاء.

---

(1) الخَلَّةَ: الحاجة.
(2) العَذَرَات: الأفنية، مفردها عَذِرَة: وهي الفناء.
(3) سِنِيَّهم: قحطهم.
(4) الخُفَّ: قدم الأغنام، وكنَّى به عن هلاك الماشية.
(5) الظلفَ: قدم الإبل، وكنى به عن هلاك النوق.

وقالت رقيقة بنت أبي صيفي تمدح عبد المطلب وتذكر ما أجرى الله من الخير على يديه:

بِشَيْبَةَ الحَمْدِ أَسْقَى اللهُ بَلْدَتَنا ... وَقَدْ فَقَدْنَا الحَيَا وَاجْلَوَّذَ المَطَرُ

فَجَاءَ بِالمَاءِ جُونِيٌّ لَهُ سِيَلٌ ... سَحاً فَعَاشَتْ بشهِ الأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ

مَنّاً مِنَ اللهِ بِالمَيْمُونِ طَائِرُهُ ... وَخَيْرُ مَنْ بُشِّرَتْ يَوْماً بِهِ مُضَرُ

مُبَارَكُ الأَمْرِ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ ... مَا فِي الأَنَامِ لَهُ عَدْلٌ وَلاَ خَطَرُ

ولما شعر عبد المطلب بدنوِّ أجله أوصى ابنه أبا طالب برعاية ابن أخيه محمد، فأولاه هو وامرأته فاطمة بنت أسد رضي الله عنها عنايتهما ورعايتهما.

إسلامها، وحبها للنبي ﷺ

ولما بُعث رسول الله ﷺ أسلمت فاطمة بنت أسد وبنوها، كما أسلمت رقيقة بنت أبي صيفي، واشتدت كثيراً على ولدها مخرمة بن نوفل لأنه لم يسلم، ونأى بنفسه عن الخير.

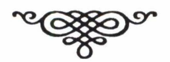
ولما اجتمعت قريش وعقدت عزمها على أن تختار فتى من كل قبيلة ليضربوا بأسيافهم رسول الله ﷺ ضربة رجلٍ واحدٍ حتى يضيع دمه بين القبائل، علمت رقيقة بأمرهم الذي بيَّتوا له، فجاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، إن قريشاً قد اجتمعت تريد بياتك الليلة[1] فأمر النبي ﷺ علياً بن أبي طالبٍ أن ينام في فراشه، وخرج بصاحبه أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه مهاجرين إلى المدينة.

لقد خافت رقيقة على نبيِّها ﷺ من أعدائه، فأخبرته بما كانوا يمكرون، وهذا دليلٌ على صدق إيمانها وحسن إسلامها، ووفائها بالعهد الذي عاهدت عليه يوم أسلمت بين يديه.

---

(1) تريد بياتك الليلة: أي تريد قتلك الليلة.

ولما أقبل رسول الله ﷺ بالكتائب المؤمنة يريد فتح مكة، جاءه مخرمة بن نوفل ابن رقيقة وأعلن إسلامه بين يدي رسول الله ﷺ فقرَّت عينها بإسلام ولدها، وظلاً على عهدهما حتى وافاهما الأجل، رحمهما الله تعالى ورضي عنهما.



43 - السيدة أُميمة بنت صُبيح

قصة إسلامها

اسمها أُميمة، والدها صُبيح بن الحارث، وابنها هو الصحابي الجليل أبو هريرة الدوسي.

لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي شاعر دَوْسٍ وسيدها بعد لقائه رسول الله ﷺ بمكة، عاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام فرفضوا إلاَّ ما كان من أبي هريرة فإنه أسلم، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فأسماه النبي ﷺ عبد الرحمن، وكُني بأبي هريرة، لأنه كان يحمل معه هرة في كمه.

ودعا أبو هريرة أمه إلى الإسلام ومتابعة رسول الله ﷺ فأسمعته في النبي ﷺ ما يكره فشكاها إلى رسول الله ﷺ فكان ذلك مفتاح خير لها، روى ذلك الإمام مسلم عَنْ أَبِي كَثِيرٍ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْماً فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ، فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِراً بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَد أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

دعاء النبي ﷺ لها ولابنها

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولُ اللهِ، أَبْشِرْ، قَدْ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ، وَهَدى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْراً، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا** - يَعْنِي: أَبَا هُرَيْرَةَ - **وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ الْمُؤْمِنِينَ**» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلاَ يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي[1]، ولا عجب في ذلك، إنها دعوة أبي القاسم ﷺ التي لا تخيب أبداً.

ولما يئس الطفيل بن عمرو من إيمان قومه خرج مع أبي هريرة إلى لقاء رسول الله ﷺ بالمدينة، وَحَدَّثَ أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ دَوْساً عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً وَأْتِ بِهِمْ**»[2].

وبينما كان رسول الله ﷺ في خيبر وقد فتحها الله عليه رأى موكباً ضخماً مقبلاً من بعيدٍ، فلما دنا الموكب، رأى رسول الله ﷺ وأصحابه الطفيل بن عمرو في مقدمته ومعه أبو هريرة وأمه، وثمانون بيتاً من دَوْسٍ جاؤوا مسلمين.

كان أبو هريرة برّاً بأمه، فقد أعطاه النبي ﷺ تمرتين فأكل واحدةً ورفع

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي/ برقم: (4546).

(2) رواه: البخاري/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم/ برقم: (2720).

الأخرى، فسأله رسول الله ﷺ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ لِمَ رَفَعْتَ هَذِهِ التَّمْرَةَ وَلَمْ تَأْكُلْهَا؟»**، قال أبو هريرة رضي الله عنه: رفعتها لأمي، فقال له النبي ﷺ: **«كُلْهَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَإِنَّا سَنُعْطِيكَ لَهَا تَمْرَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ»**، فأكلها أبو هريرة، وأعطاه النبي ﷺ ما وعده به، ومن أوفى منه ﷺ بالوعد؟!!!.

كانت أم أبي هريرة تكثر من سؤاله عن تفسير الآيات التي تقرؤها فيعلِّمها مما علَّمه الله ورسوله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يكثر من وصيته له، والدعاء له حتى حصَّل منه علماً كثيراً.

رحم الله أُميمة بنت صُبيح، وابنها أبا هريرة، وأحسن مثواها، وأكرم نزلها، ورضي عنها.



44 - السيدة ريطة بنت مُنَبِّه

قصة إسلامها وزوجها

اسمها ريطة، والدها هو مُنَبِّه بن الحجَّاج أحد قتلى قريش يوم بدر، وزوجها عمرو بن العاص بن وائل السهمي، أنجبت له العاص بن عمرو فلمَّا أسلم سمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله.

وقف عمرو من الإسلام موقفاً عدائياً، وكان في الوفد الذي أرسلته قريش إلى ملك الحبشة النجاشي كي يسلمهم المهاجرين المسلمين إلى بلده، وقد حملوا للملك وبطارقته هدايا كثيرة، لكن النجاشي استدعى جعفر بن أبي طالب والمهاجرين واستمع إلى سبب هجرتهم إلى بلده، وإلى ما يدعو إليه دينهم، فأسلم، ثم ردَّ لوفد قريش الهدايا وطردهم شر طردة.

وعلم عمرو أن أخاه هشاماً قد اتَّبع محمداً ﷺ فقرَّر أن يُنزل به العقاب الشديد، والعذاب الأليم، وحذَّر زوجه ريطة وابنها من الاستماع إلى ما يقوله أتباع الدين الجديد.

وسألت ريطة: ولكن من أين جاء ابن عبد الله بهذا العلم والحكمة والبيان؟ فقال ابنها: يقال: إن مَلَكاً يُدعى جبريل يأتيه به من السماء، فقال عمرو في حدَّة وغضب: إنه محض افتراء، وهل يكلِّم الله البشر؟ فقال العاص لأبيه: يقول: كلَّم الله موسى تكليماً، فقال عمرو: لا تصدِّق ما يقوله هؤلاء، ولا تجالس أحداً منهم أبداً، فقال العاص بن عمرو: لقد أخبرني عمي هشام أن من ذاق حلاوة الإيمان لا يعود إلى الشرك أبداً، ولو وضعوا على رقبته السيف، فانتهره أبوه، وأعاد طلبه بأن لا يكلم أيّاً منهم.

وذات يوم دخل العاص على أمه وأبيه وهو يلهث من شدة جريه، وقال

لهما: ألم تسمعا بما حدث؟ فقالا: وأي شيءٍ حدث؟ قال: لقد أسلم عمر بن الخطاب.

وأسرع عمرو بالخروج من بيته ليتأكَّد من صحة الخبر، ثم عاد من فوره واجماً حزيناً، وسألته امرأته ريطة: أصحيحٌ ما قاله ابنك؟ قال عمرو: نعم، وعقَّب ابنه بقوله: ولقد أسلم العاص أيضاً فأسرعا إلى خير الدنيا والآخرة.

ويوم أُحد قرَّر المشركون أن يخرجوا بأزواجهم معهم ليشجعنهم على قتال المسلمين، فخرجت ريطة بنت مُنَبِّه مع زوجها عمرو بن العاص، وخرجت هند بنت عتبة مع زوجها أبي سفيان، وخرجت أم حكيم بنت الحارث مع زوجها عكرمة بن أبي جهل؛ وربحت قريش الجولة لأن رماة المسلمين خالفوا أوامر قائدهم رسول الله ﷺ، وتركوا مواقعهم.

وهاجر إلى المدينة العاص بن عمر بن الخطاب، والعاص بن عمرو ابن العاص وبايعا النبي ﷺ على الإسلام، وسأل رسول الله ﷺ كلاً منهما عن اسمه، فأجاب: «العاص» فقال: أنتم عبيد الله.

ودخل عمرو على ريطة حزيناً، فقالت: ما بالك؟ قال: لقد فرَّ ابنك إلى المدينة، وتبع محمداً، قالت: وماذا أنت فاعلٌ؟ قال: أرى أن نلحق بهذا الدين لأن الناس قد دخلوا فيه أفواجاً.

وما لبث عمرو أن أعدَّ نفسه ومضى مهاجراً، والتقى وهو في طريقه إلى المدينة بخالد بن الوليد، وعثمان بن أبي طلحة، ودخل الثلاثة على رسول الله ﷺ فبايعوه وأسلموا.

ويوم فتح مكة جاءت ريطة بنت مُنَبِّه مع عددٍ من النسوة إلى رسول الله ﷺ وبايعنه، ولما زار رسول الله ﷺ بيت عمرو لقي من أهل البيت ترحيباً حاراً، روى طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ؛ لا أُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً لَمْ أَسْمَعْهُ إلاَّ أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاص** رضي الله عنه **مِنْ صَالِحِي رِجَالِ قُرَيْشٍ**».

قَالَ: وَزَادَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ وَرْدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ قَالَ: «**نِعْمَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَبْدُ اللهِ وَأَبُو عَبْدِ اللهِ وَأُمُّ عَبْدِ اللهِ**»[1].

وكانت ريطة كثيرة السؤال لابنها عن أمور الدين لتتعلَّمها، وثابرت على ذلك حتى وافاها الأجل المحتوم، رحم الله ريطة وعَمْراً وابنهما عبد الله وأحسن نزلهم.



(1) رواه: أحمد/ كتاب: مسند العشرة المبشرين بالجنة/ باب: مسند أبي محمد طلحة بن عبيد الله/ برقم: (1310).

45 - السيدة أم علقمة

في أحد بيوت المدينة المتواضعة كانت تعيش عجوزٌ اختلط سواد شعرها ببياضه، وكانت تدعى «أم علقمة»، وكانت سعيدة بدين الإسلام، شاكرة لله أن هداها إليه، حامدة له تلك النعمة التي أنقذها بها من النار، بمنِّه وكرمه وفضله.

ولكن كان هناك أمرٌ واحدٌ يُنَغِّصُ على أم علقمة حياتها، ويسبِّب لها الألم والحزن، ذلك أن ابنها علقمة لم يكن برّاً بها، لأنه كان يطيع زوجه، ويعقُّ أمه على الرغم من أوامر الإسلام ببر الوالدين، وتشديده النكير على الأبناء العاقِّين.

ولم يكن علقمة يفكر في عاقبة عقوقه لوالدته، وما ينتظره من سوء المصير، ذلك لأن الدنيا لفَّته بُملاءتها، وشغلته عن الآخرة وألهته عن حق المرأة التي ربَّته حتى أصبح زوجاً، ولم يدر بخَلَدِ علقمة أن الموت لا يبدأ بالكبير ولا يؤجِّل الصغير، فكم من طفلٍ ترك الحياة وأجداده فوق الأرض يتحرَّكون!!

ومرض علقمة، ولزم فراشه، وجاء أصحابه يعودونه، وأخذ مرضه يشتدُّ شيئاً فشيئاً حتى أصبح على شفا الهلاك، فقام رجلٌ منهم، ودنا منه، وقال له: يا علقمة، قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وحاول علقمة ذلك عدة مرات، غير أنه لم يستطع.

وفزع الرجل على صاحبه وراح يعدو إلى رسول الله ﷺ، فلما دخل عليه وهو بين أصحابه قال لاهثاً: يا رسول الله، إن علقمة يموت وسألته أن ينطق بالشهادة إلاَّ أنه لم يستطع، وسأله النبي ﷺ: **«هَلْ كَانَ يُصَلِّي؟»** قال: نعم، يا رسول الله، فقام النبي ﷺ وأصحابه إلى دار علقمة، فلما رآه قال له:

«**يَا عَلْقَمَةُ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، قال: إني لا أستطيع يا رسول الله، فسأله النبي ﷺ: «**وَلِمَ؟**» فقال بعض أهل بيته: كان يطيع زوجه، ويعقُّ أمه، فقال رسول الله ﷺ: «**أَحَيَّةٌ وَالِدَتُهُ؟**» قالوا: نعم، قال: «**ادْعُوهَا**».

وجاءت أم علقمة تتوكَّأ على عصاها فسألها رسول الله ﷺ: «**أَهَذَا ابْنُكِ؟**» قالت: نعم، فقال النبي ﷺ: «**أَرَأَيْتِ لَوْ أُجِّجَتْ نَاراً ضَخْمَةً فَقِيلَ لَكِ: إِنْ شَفَعْتِ لَهُ خَلَّيْنَا عَنْهُ، وَإِلاَّ حَرَقْنَاهُ بِهَذِهِ النَّارِ، أَكُنْتِ تَشْفَعِينَ لَهُ؟**»، قالت: نعم، يا رسول الله، أشفع، قال: «**فَأَشْهِدِي اللهَ وَأَشْهِدِينِي أَنَّكِ قَدْ رَضِيتِ عَنْ عَلْقَمَةَ**»، فدنت من ابنها، ووضعت يدها على رأسه ثم قالت: اللهمَّ إني أُشهدك، وأُشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني علقمة.

فقال رسول الله ﷺ لعلقمة: «**قُلْ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» فقال علقمة: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وهكذا منع العقوق علقمة من الشهادة، فلما رضيت عنه أمه نطق بها، فقال رسول الله ﷺ: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»، ثم مات علقمة، رحمه الله تعالى، ورحم أمه.



46 - السيدة أم الخير بنت صخر

أم الصديق

تزوَّجت أم الخير من أبي قحافة، وكانت كلما وُلد لها ولدٌ مات بعد وقت قصير، وذات مرة وضعت فجاءت بمولودها إلى الكعبة، وقالت: اللهمَّ هذا عتيقك من الموت، فهبه لي، وعاش عتيق، واستجاب الله دعاءها، ولكن من عتيقٌ هذا؟ إنه أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ !!

كان أبو بكر في الجاهلية صديقاً لمحمد بن عبد الله، فلما بعث إليه برسالة الإسلام جاءه أبو بكر، وطرق الباب، فخرج رسول الله ﷺ وقال له: **«يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، وَإِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَآمِنْ بِاللهِ»**، فقال أبو بكرٍ: مُدَّ يديك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ولم يكن أحدٌ أسعد منه في تلك الساعة.

وروى البخاري عَنْ وَبَرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ هَمَّام قَالَ: سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ ﷺ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ[1].

وبات أبو بكر ﷺ عوناً لرسول الله ﷺ في نشر الدين، فقد أسلم على يديه كبار الصحابة كعثمان بن عفان، والزبير بن العوَّام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص، وطلحة بن عبيد الله؛ وكانوا يجتمعون برسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، يتعلَّمون منه أحكام الدين، والقرآن الكريم.

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المناقب/ باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»/ برقم: (3387).

ولقد لزم أبو بكر رسول الله ﷺ، وكان كثيراً ما يردُّ عنه أذى قريش، حَدَّثَ الأَوْزَاعِيُّ، عَن يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءً فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: 28][1].

قال: فراح جمع قريش يضربون أبا بكر ضرباً مبرحاً كاد يهلك من شدته، فجاء نفر من قومه بني تيم فحملوه إلى بيته والدم يغطي وجهه، ولما صحا قال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ وطلب من أمه أم الخير أن تسأل فاطمة بنت الخطاب امرأة سعيد بن زيد عن مكان رسول الله ﷺ.

وعادت أم الخير لتقول لابنها: إن رسول الله ﷺ بخيرٍ، وهو في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

يوم إسلامها

فلما استردَّ أبو بكر بعض نشاطه تحامل على نفسه وخرج مع أمه وفاطمة بنت الخطاب حتى دخلوا على رسول الله ﷺ وبعض الصحابة فدمعت أعينهم حين رأوه وآثار الضرب على وجهه، فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما بي من بأسٍ إلاَّ ما نال الناس من وجهي، وهذه أمي برَّةٌ بولدها فعسى الله أن ينقذها بك من النار.

كانت أم الخير تثق برأي ابنها وعقله، وتعرف أمانة رسول الله ﷺ وصدقه، وأخذ رسول الله ﷺ يتلو على مسامع أم الخير بعض آيات القرآن الكريم، ودعاها للدخول في الإسلام، وما كان أسرع استجابة أم الخير!!

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المناقب/ باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»/ برقم: (3402).

لقد شهدت أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وكانت فرحة الصِّدِّيق بإسلامها لا تُوصف.

ويوم فتح مكة جاء أبو بكرٍ بأبيه أبي قحافة، وكان ضريراً إلى رسول الله ﷺ فأعلن إسلامه، وهكذا جمع الإسلام شمل آل أبي بكر بعد أن قرَّت أعينهم به، ووافت المنية أبا بكر، ولحقت أم الخير بابنها بعد حينٍ، وفي خلافة عمر بن الخطاب، وافى أبا قُحافة أجله، رحمهم الله تعالى، وتقبَّلهم بقبولٍ حسنٍ.



47 - السيدة فاطمة بنت عتبة

اسمها فاطمة، والدها عتبة بن ربيعة واحدٌ من أكابر سفهاء قريش، وعمها شيبة، وأخوها الوليد، وقد قُتل أبوها وعمها وأخوها يوم بدر، وأختها هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب.

تبعت فاطمة أخاها أبا حذيفة السابق إلى الإسلام، الذي أخذها إلى رسول الله ﷺ لتبايعه، وكان أبو حذيفة قد هاجر إلى الحبشة فراراً بدينه من أذى قريش لأتباع النبي ﷺ، ثم عاد مع المهاجرين إلى مكة، وكانت هجرته الثانية إلى المدينة بعد أن أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة، وبقي فيها مع أصحابه ينتظرون مقدم رسول الله ﷺ إليها، فلما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة كان أبو حذيفة في طليعة مستقبليه، وأخذ يلازم مجالسه، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبَّاد بن بشر حين راح يؤاخي بين المهاجرين والأنصار.

وحضر أبو حذيفة جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى تابع أبو حذيفة جهاده ضد المشركين، وكانت آخر معاركه معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذَّاب، وقومه، وقد سقط يومها أبو حذيفة شهيداً مع مولاه سالم، ونخبة من خيرة صحابة رسول الله ﷺ، وقضي على الكذَّاب في تلك المعركة، وقُطع دابر المرتدِّين.

وبعد إسلام فاطمة بنت عتبة خطبها عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وكان فقيراً، وكانت فاطمة رضي الله عنها من ذوات الغنى واليسار فصارت تُنفق عليه، وكانت تُكثر من ذكر أبيها وعمها وأخيها، ودخل عقيلٌ عليها ذات يوم وهو منزعجٌ، وبدلاً من أن تُسكِّنه وتواسيه، راحت تقول له: «أين عتبةَ؟ أين

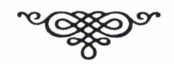
شيبة؟ أين الوليد؟» وتكرَّر ذلك منها، وهو لا يجيبها حتى أضجرته، فقال لها: «إنهم على يسارك، إذا دخلت النار».

فلما سمعت ذلك منه ثارت، واستبدَّ بها الغضب، فوضعت عليها ثيابها، وقالت له: «لا يجمع رأسي ورأسك شيْءٌ».

ثم خرجت من البيت، وذهبت إلى عثمان بن عفَّان ﷺ فأخبرته بما كان بينها وبين زوجها عقيل، فأمر عثمان كُلاً من معاوية وابن عبَّاس أن يكلِّما عقيلاً، وقال: «إن رأيتما أن تجمعا بينهما، فاجمعا؛ أو أن تُفرِّقا، ففرِّقا».

فأتياهما فأصلحا أمرهما، وعاد الوفاق يُخَيِّم على حياتهما، وحلَّ الوئام محلَّ الخصام.

وكان يوم فتح مكة خيراً على فاطمة وأختها هند وكثير من نساء المشركين لأنهنَّ أسلمن في ذلك اليوم المشهود، ونجون بأنفسهنَّ من النار، ولما حضر الأجل لبَّت فاطمة نداء ربها، رحمها الله، وأنزلها منزلاً مباركاً.



48 - السيدة النَّوَّار بنت مالك

بيت نوّار

اسمها النَّوَّار، والدها مالك بن صرمة، وزوجها ثابت بن الضَّحَّاك بن زيد، وقد أثمر زواجهما فولدت له زيداً ويزيدَ ابني ثابت، ثم خلف عليها عُمارة بن حزم فأنجبت له مالكاً.

كانت النَّوَّار مجاورة في سكنها للمسجد النبوي الشريف، وقد أخرج ابن سعد في طبقاته: أن النَّوَّار أم زيد بن ثابت، قالت: كان بيتي أطول بيتٍ حول المسجد، فكان بلال يؤذِّن فوقه من أول ما أَذَّنَ إِلى أن بنى رسول الله ﷺ مسجده، فكان يؤذِّن بعدُ على ظهر المسجد، وقد رُفِعَ له شَيْءٌ فوق ظهره[1].

هنيئاً للنَّوَّار، إذ جعلت بيتها للإسلام خير منار، وحين يصدح بلال بالأذان تشعُّ منه الأنوار، وتدعو الناس للمثول بين يدي العزيز الغفَّار، وأي بيتٍ أشرف من بيتٍ يدعو الناس إلى ذكر الله؟ ويُذكِّرهم في اليوم خمس مرَّاتٍ لإقامة شعائر الله؟!!.

أم المقرىء الجامع

وكفى النَّوَّار بنت مالك فضلاً أن تكون هي التي أنجبت زيد بن ثابت صاحب المكانة الرفيعة عند رسول الله ﷺ يوم جعله كاتباً للوحي بين يديه، وصاحب الدرجة العالية عند خليفته أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه حتى جعله أميناً على جمع كتاب الله.

---

(1) طبقات ابن سعد (8/ 420).

روى ابن سعد في طبقاته أيضاً عن النَّوَّار، قالت: رأيت على الكعبة قبل أن أَلِدَ زيد بن ثابت، وأنا به نَسُوءٌ[1]، مطارف خَزٍّ خضراً وصفراً وكِراراً[2] وأكسية من نسيج الأعراب، وشِقاق من شعرٍ[3].

وكان فضل الله، وفضل رسوله ﷺ على زيد بن ثابت رضي الله عنه عظيماً أن يكون واحداً من الأربعة الذين تشرَّفوا بجمع القرآن، وتلك مكرمة سيبقى نورها يتلألأ مدى الدهر.

وقد أخرج الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - في صحيحه عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بِنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي[4].

ويتحدَّث زيد رضي الله عنه عن أول لقائه بالنبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ أَبَاهُ زَيْداً أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبي ﷺ وَقَالَ: **«يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»**.

قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ[5].

---

(1) نَسُوءٌ: حامل.

(2) الكِرار: الخرز الملوَّن.

(3) طبقات ابن سعد (8/ 420).

(4) رواه: مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أُبي بن كعب وجماعة الأنصار/ برقم: (4507).

(5) رواه: أحمد/ كتاب: مسند الأنصار/ باب: حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ/ برقم: (20632).

وشارك زيد في عهد أبي بكر في جمع القرآن، فقد روى البخاري عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ.

قَالَ زَيْدٌ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ.

قَالَ زَيْدٌ: ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ.

قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ.

قَالَ زَيْدٌ: فَقُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ.

قَالَ زَيْدٌ: فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما.

فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ، وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، وهي: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: 128، 129].

فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ[1].

فبورك لزيد قيامه بهذا العمل الجليل، ونعم المُنْجَبُ زيدٌ، ونعمت المُنْجِبَةُ النَّوَّار، رحمهما الله، وأفاض عليهما من فضله.



(1) رواه: البخاري/ كتاب: فضائل القرآن/ باب: جمع القرآن/ برقم: (4603)، وأبو خزيمة الأنصاري هو الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين.

49 - السيدة الرباب بنت النعمان

اسمها الرباب، والدها النعمان بن امرىء القيس، تزوَّجها زرارة بن عمرو بن عدي، فأنجبت له معاذ بن زرارة، ولما مات زرارة خلفه عليها معرور بن صخر ابن خنساء فولدت له البراء بن معرور الذي شهد بيعة العقبة الثانية مع ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من الأنصار هما أم عمارة نسيبة بن كعب المازنية، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي أخت زوج الرباب.

وذهب الأنصار إلى بيعة العقبة الثانية، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّى إذَا مَضى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيَعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلاً وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ: نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ وهي أُمُّ مَنِيعٍ.

قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَلا ودَعَا إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَرَغَّب في الإِسْلامِ قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ على أن تَمْنَعُوني مِمَّا تَمْنَعُون مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**».

قال: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قال: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[1]، فَبَايِعْنَا يَا رَسول اللهِ ﷺ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ[2] ورِثْنَاهَا كَابِراً عَنْ كَابِرٍ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَخرِجُوا إِلَيَّ مِنكُمْ اثْنَي عَشَرَ نَقِيباً يَكُونُون**

---

(1) أُزُرُنا: نساؤنا.

(2) الحلقة: السلاح.

عَلَى قَوْمِهِمْ»، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَثلاثَةٌ مِنَ الأوْسِ، وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنُّقَبَاءِ: «**أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ كُفَلاءُ كَكَفَالَةِ الحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي**»، قالُوا: «نَعَمْ».

قَالَ: ثُمَّ كَانَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ[1].

وأصبح ولدا الرباب معاذ بن زرارة والبراء بن معرور من كبار الصحابة، وكان البراء واحداً من النقباء.

وكان البراء بن معرور، ابن الرباب، قد رأى أن يصلي إلى الكعبة قبل تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، فأنكر عليه أصحابه صنيعه، ولا سيما كعب بن مالك شاعر الأنصار.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَكَانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُول اللهِ ﷺ بِهَا قَالَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا وَمَعَنَا الْبَراءُ بْنُ مَعْرُور كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لَسَفَرِنَا وُخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا: «يَا هَؤُلاءِ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ واللهِ رَأْياً وَإِنِّي واللهِ مَا أَدْرِي تُوَافِقُونِي عَلَيْهِ أَمْ لا» قَالَ: قُلْنَا لَهُ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ أَنْ لا أَدَعَ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ مِنِّي بِظَهْرٍ - يَعْنِي الكَعبَةَ - وَأَنْ أُصَلِّيَ إِلَيْهَا» قَالَ: فَقُلْنَا: «واللهِ، مَا بَلَغَنَا أن نَبِيَّنَا يُصَلِّي إِلا إِلى الشَّام، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نُخَالِفَهُ» فَقَالَ: «إِنِّي أُصَلِّي إِلَيْهَا» قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: «لَكِنَّا لا نَفْعَلُ».

فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ صَلَّيْنَا إِلى الشَّام وَصلَّى إِلى الْكَعْبَةِ، حَتَّى قَدِمْنا مَكَّةَ، قَالَ أَخي: وَقدْ كُنَّا عِبْنَا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ وَأَبَى إِلا الإقَامَةَ عَلَيْهِ.

---

(1) حديث البيعة طويلٌ جداً اقتطعنا منه فقط ما يتعلّق بالبراء بن معرور وموقفه ليلة العقبة الثانية، رواه: أحمد/كتاب: مسند المكيين/باب: حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه/رقم: (15236).

فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّة قالَ: «يَا ابْنَ أخي، انْطلِقْ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَاسْأَلْهُ عَمَّا صَنَعْتُ في سَفَرِي هَذَا، فَإِنَّهُ والله قَدْ وَقَعَ في نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ خِلافِكُمْ إيَّايَ فيهِ» قَالَ: فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُول الله وَكُنَّا لا نَعْرِفُهُ، لَمْ نَرَهُ قَبْل ذلِكَ، فَلقيَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْل مكَّة فسألْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال: «هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟» قَالَ: قُلْنَا؛ «لا» قال: «فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِب عَمَّهُ؟» قُلْنَا: «نَعَمْ».

قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ كَانَ لا يَزَالُ يَقْدمُ عَلَيْنَا تاجِراً، قَالَ: «فَإذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدِ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ».

قال: فَدخَلْنَا الْمَسْجِدَ فإذا العبَّاسُ جالِس ورسُولُ الله ﷺ مَعهُ جالِسٌ فسَلَّمْنَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إليْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ للْعَبَّاس: **«هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يا أبَا الْفَضْلِ؟»** قال: «نَعَمْ، هذا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَهَذَا كَعْبُ بن مالكٍ» قَالَ كَعْبُ: فوالله مَا أنسَى قَوْلَ رَسُول الله ﷺ: **«الشَّاعِرُ؟»**، قال: «نَعَمْ».

قَالَ: فَقالَ الْبَرَاءُ بْنُ معرُورٍ: «يا نَبيَّ اللهِ، إِنِّي خَرَجْتُ في سَفَري هَذَا وَهَدَاني الله للإسلامِ فَرَأَيْتُ أَنْ لا أَجْعَلَ هذِه الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ خَالفَنِي أصحابي في ذلك حَتَّى وقعَ في نَفْسِي مِنْ ذِلِكَ شَيْءٌ، فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُول الله؟» قَالَ: **«لَقَدْ كُنتَ عَلى قِبْلَةٍ لو صَبَرْتَ عَلَيْهَا»** قال: فَرَجَعَ الْبَرَاءُ إلى قِبْلَةِ رسُولِ ﷺ فَصَلَّى مَعَنَا إلى الشَّامِ.

وما كان البراء ليصر على موقفٍ خاطئٍ وقفه، فانصاع إلى الصواب الذي وجهه إليه رَسُول اللهِ ﷺ، والتزم بأحكام الدين القويم لا يحيد عنها حتى فارق الحياة.

وبعد عودة الأنصار بنقبائهم إلى المدينة عكفوا على نشر دين الله في بلدهم، وقبل هجرة رسول الله ﷺ إليهم بشهرٍ واحدٍ، حضرت البراء الوفاة،

فأوصى بشيْءٍ إلى رسول الله ﷺ، ولما قدم النبي ﷺ مهاجراً أُخبر بموت البراء وبوصيته فقبلها، وترحَّم عليه، ودعا له ثم ردَّ الوصية على أولاد البراء، ثم زار قبره وصلَّى عليه.

رحم الله الصحابية المبايعة الرباب بنت النعمان أم النقيب البراء بنت معروا وأم معاذ بن زرارة، ورحم الأنصار كافَّةً، وأحسن مثاويهم في رحاب جنته.



50 - السيدة ماوية مولاة حُجَير

مراقبة الأسير المؤمن:

اسمها ماوية، كانت مولاةً لحُجَيْر بن أبي إهاب التميمي وكان خُبَيْبُ ابْنُ عَدِيٍ أخو بني جَحْجَبَى قد حُبس في بيتها ريثما تنتهي الأشهر الحُرُم فيخرجون به فيقتلونه.

وكان خُبَيْب يتهجَّد في الليل، ويتلو آيات من كتاب الله يقطع بها الأيام تنسلخ الأشهر الحُرُم، فتُزهق روحه، وكانت النساء إذا سمعنه رققن له، وبكينَ، وسألته ماوية مرة: ألكَ حاجةٌ يا خُبَيْب؟.

قال: هنَّ ثلاث، لا أبتغي سواهنَّ؛ أن تسقيني العذب، وألَّا تطعميني ما ذُبح على النصب، وأن تخبريني متى أرادوا قتلي، فوعدته بذلك.

ولما انصرمت الأشهر الحرم وعزموا أمرهم على قتله أتت ماوية فأخبرته، فما أبِهَ لذلك، ثم اسْتَعَارَ منها حين اجْتَمَعُوا مُوسَى يَسْتَحدُّ بها، فَأَعَارَتْهُ، فأخذ ابناً لَها، وَهي غَافِلَةٌ حين أتَاهُ.

تقول ماوية: بعد أن أعطيته الموسى لابني ودخل بها عليه، قلت لنفسي: أي شيء صنعت؟ الآن يقتله بها، ويكون قد أدرك ثأره، فلما أعطاه إياه قال له: أما إنك لجريء!! أما خشيت أمك غدري وقد بعثت بالموسى معك، وأنتم تريدون قتلي؟!.

قَالَتْ: فَوَجَدْتُهُ مُجلِسَهُ عَلى فَخِذِهِ والْمُوسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهي، فقلت: يا خُبيب إنما ائتمنتك بأمان الله، ولم أعطكها لتقتل بها ابني فقال: تَخْشَيْنَ أن أَقْتُلَهُ؟ ما كُنْتُ لأفْعَلَ ذَلِكَ! وَمَا نَسْتَحِلُّ في دِينِنَا الغَدْرَ، فقالت له: سيقتلونك الغداة.

ثُمَّ إنهم جاؤوا فأخذوه إلى التنعيم، فَلمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: ذَرُوني أَرْكَعْ رَكْعَتَيْن، فَتَركُوهُ فَرَكَع رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلا أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ ما بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً، واقْتُلْهُمْ بَدَداً، ولا تَذَرْ مِنهُمْ أحداً، ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَلَسْتُ أُبَالي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً عَلَى أيِّ شِقٍّ كَانَ فِي الله مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذاتِ الإلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلى أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ أَحَدُ أَبْنَاءِ الحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ، الَّذِي كَانَ خُبَيْبٌ قَدْ قَتَلَهُ فِي بَدْرٍ فَقَتَلَهُ فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنّ الرَّكْعَتَيْن لِكُلِّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرَاً[1].

وبعث رسول الله ﷺ من يحلُّ وثاق خبيب فلما رقي الخشبة وفكَّ الحبل سقطت جثة خبيب على الأرض، فلما نزل لم ير لخبيب أثراً، وكأن الأرض ابتلعتها.

إسلامها:

وكان الرجال والنساء والأطفال قد خرجوا ليشهدوا قتل خُبيب، وقد أثَّر المشهد في ماوية، فدخلت في دينه، ثُمَّ قَالَتْ: واللهِ، مَا رَأَيْتُ أَسِيراً قَطُّ خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ، واللهِ، لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ في يَدِهِ وإِنَّهُ لَمُوثَقٌ في الْحَدِيدِ وما بِمَكَّة مِنْ ثَمَرٍ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزقٌ مِنَ الله رَزَقَهُ خُبَيْباً[2].

رحم الله خبيباً، وماوية، وأنزلهما منزل الأبرار.



(1) رواه: البخاري/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين/ برقم: (2818).

51 - السيدة حمنة بنت جحش

المهاجرة زوجة السفير

اسمها حمنة، والدها جحش بن رئاب، والدتها أُميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، إخوتها عبد الله بن جحش، أبو أحمد بن جحش، عبيد الله بن جحش، وأختها زينب بنت جحش رضي الله عنها زوج النبي ﷺ.

ارتدَّ أخوها عبيد الله عن الإسلام وتنصَّر خلال هجرته إلى الحبشة، ثم أكبَّ على الخمر حتى مات على النصرانية، فخلفه رسول الله ﷺ على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما.

هاجرت حمنة مع أخويها عبد الله وأبي أحمد ابني جحش إلى المدينة، وتركوا ديارهم في مكة خالية، وفي المدينة تزوَّجت حمنة من مصعب بن عُمَيْر سفير رسول الله ﷺ إلى المدينة، فمكث يعلِّم أهلها القرآن، ويفقِّههم في الدين، ثم صحب من آمن من الأنصار إلى العقبة لموعدٍ مع رسول الله ﷺ حيث تمَّت بيعة العقبة الثانية، كما تمَّ اختيار النقباء الاثني عشر.

ثم كانت وقعة بدر الكبرى حيث تحقَّق للمسلمين أغلى انتصار، وقُضي على رؤوس الشرك وأئمة الضلال، وفي مقدمتهم أبو جهلٍ، وعقبة بن أبي معيط أكثر قريش سفهاً وإيذاء للمسلمين ولرسولهم ﷺ.

وقرَّرت قريش أن تثأر لقتلاها، وكانت أُحُدٌ الموعدَ، وكان لواء المسلمين مع مصعب بن عُمَيْر زوج حمنة، وقرَّرت أن تخرج معه لتداوي الجراح، وتسقي العطاش، كما خرج مع رسول الله ﷺ أخوها عبد الله وخالها أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب.

وخرج رسول الله ﷺ بألف مقاتل إلى أُحد، لكن عبد الله بن أُبي بن سلول انسحب بثلاثمائة من المنافقين، وقبيل البدء بالقتال أمر رسول الله ﷺ رماة المسلمين باتِّخاذ مواقع على الجبل وأمرهم ألَّا يبرحوها، لكنهم عصوه ناسين قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء: 80].

فكيف ينتصر من عصى الله وعصى رسوله ﷺ؟!! ولذلك كثر القتل في صفوف المسلمين، واستُشهد أغلى الرجال، وكان بينهم عم النبي ﷺ حمزة، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عُمَيْر، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح، وأنس بن النضر، وحنظلة الغسيل.

استشهاد زوجها:

ولما انصرف رسول الله ﷺ عائداً إلى المدينة لقيته حمنة فنُعي لها أخوها عبد الله فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها خالها حمزة فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها زوجها مصعب بن عُمَيْر فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ**» لما رأى من تثبُّتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها.

وقد روى ذلك ابن ماجه عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حِمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهَا: قُتِلَ أَخُوك، فَقَالَتْ: رحِمَهُ اللهُ، وَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، قَالُوا: قُتِل زَوْجُكِ، قَالَتْ: وَاحُزْنَاهُ!! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للزَّوْجِ مِنَ الْمَرْأَةِ لَشُعْبَةً مَا هِيَ لِشَيْءٍ**»[1].

---

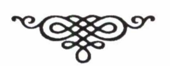
(1) رواه: ابن ماجه/ كتاب: ما جاء في الجنائز / باب: ما جاء في البكاء على الميت/ برقم: (1579).

ولما انقضت عدَّة حمنة تزوَّجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمداً وعمران.

راوية الحديث:

وحمنة هي رواية حديث الاستحاضة، حدَّث أَبو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنْبَأَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَبْدِ الله بن مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحمَّدِ بْنِ طَلْحَة، عَنْ عَمِّهِ عِمرانَ بْن طَلْحَةَ، عَن أُمِّهِ حمْنَة بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّهَا اسْتُحِضَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي استحيضت حَيْضَةً مُنْكَرَةً شَدِيدَةً، قَالَ لَهَا: «**احْتَشِي كُرْسُفاً**»، فقالت لَهُ: إِنَّهُ أَشدُّ مِنْ ذَلِكَ، إِنِّي أَثُجُ ثَجًا، قال: «**تَلَجَّمِي، وَتَحَيَّضِي في كُلِّ شَهْرٍ في عِلْمِ اللهِ سِتَّةَ أَيَّام أَوْ سَبْعَة أَيَّام، ثُمَّ اغْتَسِلِي غُسْلاً، فَصلِّي وصُومِي ثَلاثَةَ وعِشْرِين أَوْ أَرْبعَةً وَعِشْرِينَ، وَأَخِّري الظُّهْرَ، وَقَدِّمي الْعَصْرَ، وَاغْتَسِلِي لَهُمَا غُسْلاً، وأَخِّري الْمَغْرِبَ، وَعَجِّلِي الْعِشَاءَ، واغْتسلِي لَهُمَا غُسْلاً، وَهَذا أَحَبُّ الأَمْرَيْنَ إِلَيَّ**»[1].

لقد كانت أسرة بني جحش مجاهدةً حق الجهاد، رحمهم الله، وعوَّضهم الجنة.



(1) رواه: ابن ماجه/ كتاب: الطهارة وسننها/ باب: ما جاء في البكر إذا بدأت مستحاضة أو كان لها/ برقم: (619).

52 - السيدة رملة بنت شيبة

سبق إسلامها وهجرتها

اسمها رملة، والدها شيبة بن ربيعة، وعمها عتبة بن ربيعة، كانا من أشد سفهاء قريش على رسول الله ﷺ وأتباعه من المسلمين، تزوَّجها عثمان بن أبي العاص الثقفي، وبايع رسول الله ﷺ وهو في مكة.

أعلنت رملة إسلامها في مكة، وهاجرت مع زوجها إلى المدينة، وعانت كثيراً من قومها، لا سيما أبيها وعمها، وشق عليها عداؤهم لرسول الهدى والحق، الذي جاء للناس بخيري الدنيا والآخرة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر دينه، ولو كره الكافرون.

غير أن ظلم هؤلاء السفهاء لن يدوم، ولا بُدَّ أن يزول، فقد وعد الله نبيه ﷺ بنصره المبين قال جلَّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: 47].

وكان الموعد في بدر، خرجت قريش يومئذٍ بكبار زعمائها، وذوي البأس والشدة فيها، وكانوا زُهاء ألف من المشركين، وكان مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً أخلصوا دينهم لله، واتبعوا نوره وهداه.

وقبل أن يلتحم الفريقان برز من قريش عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة وطلبوا من يبارزهم من المسلمين، فخرج لهم ثلاثة من أبطال الإسلام: حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن

الحارث، وقتل حمزة صاحبه شيبة، وقتل عليٌّ الوليد، وتبادل عبيدة وعتبة ضربتين فسقط كلاهما جريحين، وبادر حمزة وعلي إلى عتبة فذفَّفا[1] عليه، ثم حملا أخاهما عبيدة إلى معسكر المسلمين، وقد فقد إحدى ساقيه.

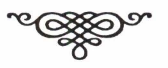
وجُنَّ جنون قريش لفقد أعتى رجالها خلال دقائق معدودات، ثم حمي وطيس المعركة، فقتل زعيم الأشقياء، وسيد السفهاء أبو جهل، ثم تلاه عقبة بن أبي معيط شريكة في جرائمه وإيذائه لرسول الله ﷺ، كما ظفر بلال رضي الله عنه بمن سقاه كؤوس العذاب أُمية بن خلف فتنادى مع ثلَّةٍ من أصحابه، ومزَّقوا أُمية بأسيافهم شرَّ ممزَّق، وتم للمسلمين أعظم انتصار.

وكانت هند بنت عتبة وزوجها أبو سفيان بن حرب لا يزالان على شركهما مقيمين، في حين سبقتها ابنة عمها رملة وزوجها إلى الإيمان، ولما أتى هنداً نعي أبيها عتبة، وعمها شيبة وأخيها الوليد، عابت على رملة إسلامها، ونصرة من قتل أباها، فقالت:

لَحَا اللهُ صَابِئَةً بِوَجٍّ ... وَمَكَّة عِنْدَ أَطْرَافِ الحُجُونِ
تَدِيْنُ لِمَعْشَرٍ قَتَلُوا أَبَاهَا ... أَقَتْلُ أَبِيْكِ جَاءَكِ بِاليَقِيْنِ؟

ولم يؤثر قول هند في مسيرة الهدى التي سارتها رملة، لأنها كانت موقنة بأن أباها كان على الباطل، ولما كان يوم فتح مكة أدركت هند أن رملة كانت أرجح منها عقلاً حين سبقتها إلى ترك الضلال، وأسلمت هند وزوجها، وظهر الحق.

رحم الله رملة، وأحسن نزلها، ورضي عنها.



(1) ذفَّف عليه: أجهز عليه.

53 - السيدة أَمةُ بنت خالد بن سعيد

ابنة أصحاب الهجرتين:

اسمها أَمَةٌ، والدها خالد بن سعيد بن العاص، والدتها هُمَيَّة بنت خلف، كان أبواها من السابقين الأوائل للإسلام، كما كانا في طليعة المهاجرين الذين فرُّوا بدينهم إلى الحبشة، وعلى أرض ملكها النجاشي الذي لا يُظلم عنده أحد ولُدت أمةُ بنت خالد من أبوين مؤمنين، وكانت كنيتها أم خالد.

وعاشت أم خالد حياةً هانئة مع أبويها في ظلال الإسلام الوارفة، ولما نما جسمها، وكبر وعيها علمت بما لقيه أبواها وبقية المهاجرين من ظلم قومهم لهم، واضطرارهم إلى هجر ديارهم، وكم سرَّها طرد النجاشي لوفد قريش الذي قدم إلى الحبشة ليرجع بالمهاجرين إلى مكة، ويذوقوا من جديد صنوف العذاب، وألوان القهر والنكال، على أيدي السفهاء من المشركين!.

وسعدت أم خالد أن تكون واحدة ممن حمَّلهم النجاشي سلامه إلى رسول الله ﷺ حين وقف يودِّعهم وهم عائدون إلى أرض الوطن، وكانت تفخر بذلك وتقول: كنتُ فيمن أقرأ رسول الله ﷺ السلام من النجاشي.

ولما عاد المهاجرون إلى المدينة قيل لهم: إن رسول الله ﷺ قد خرج إلى خيبر فتوجَّه جعفر بن أبي طالب معهم إلى خيبر وحين رآهم رسول الله ﷺ غمرته الفرحة، ثم قال: «**ما أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنا أُسَرُّ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ، أَمْ بِقُدُوْمِ جَعْفَرٍ؟**» ولما بلغ رسول الله ﷺ سلام النجاشي ردَّ عليه السلام، ودعا له بخير.

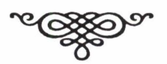
محبة النبي ﷺ لها

وكانت أم خالد جد مسرورة بقرب الحبيب الأعظم، وربما خصَّها ببعض هداياه، وجاء في طبقات ابن سعد عن إِسْحَاقَ بْنِ سَعِيدٍ، عن أبيهِ سعيدِ بْنِ فُلانٍ هُوَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بن الْعَاص - عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ، أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِثِيَابٍ فيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ فَقَال: «**مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ؟**» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قال: «**ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ**» فَأُتِيَ بِهَا، تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا، وَقَالَ: «**أَبْلِي وَأَخْلِقِي**» وكَانَ فيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ - أَوْ أَصْفَرُ - فَقَالَ: «**يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاهْ**» وَسنَاه بالْحَبَشِيَّة: حَسَنٌ[1].

وامتدَّت بأم خالد الحياة، وكيف لا وقد دعا لها ﷺ دعوة مباركة فقال: «**أَبْلِي وأَخلِقِي**»؟!!، وتزوَّجها الزبير بن العوَّام فولدت له عَمْراً وخالداً.

حفظت أم خالد الأحاديث عن رسول الله ﷺ، ثم روتها، ورواها عنها الرواة كسعيد بن عمرو الأشدق، وقيل لها: أسمعتِ من رسول الله ﷺ شيئاً؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبر.

قال البخاري: لم تعش امرأة ما عاشت هذه!! رحمها الله، وأحسن مثواها، ورضي عنها.



(1) رواه: البخاري/ كتاب: اللباس/ باب: الخميصة السوداء/ برقم: (5375).

54 - السيدة أم رافع

مولاة رسول الله ﷺ:

اسمها سلمى، وكنيتها أم رافع، وزوجها أبو رافع، كانت مولاة لرسول الله ﷺ، وكان زوجها مولاه، فأي شرفٍ حصَّلاه بخدمة سيد البشر، ونبي الخلق الأغرّ؟ فما أهنأه عيشاً بقرب أنس الوجود، وحبيب المُسُبَّحِ المعبود!!.

لقد أسلمت سلمى وحليلها أبو رافع حين كانا مع رسول الله ﷺ في مكة فشهدا شمس الإيمان منذ شروقها، ونعما بدفئها وحرارتها، ونالا نصيبهما من إيذاء قريش للمسلمين، وذلك لقولهما: «الله رب العالمين».

كانت سلمى في خدمة النبي ﷺ وآل بيته المكرَّم، تشاركهم أفراحه، وتشاطرهم أتراحه، تسعد بسعادتهم، وتحزن إذا مسَّهم حزن، إذا ولدت السيدة خَديْجَةُ أم المؤمنين فبأم رافع تستعين، وإذا طرق المخاض فاطمة الزهراء فما أسرع سلمى لتلبية النداء!! هي مع رسول الله ﷺ وآل بيته في السرَّاء والضرَّاء، تقاسمهم السعادة والهناء، وتأخذ حظَّها من الألم عند البلاء.

وحين علمت بإسلام عم رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب فرحت سلمى لأن إسلامه عزٌّ للمسلمين، وقوة لرسول رب العالمين، فقد علم أن أشقى قريش أبا الحكم بن هشام المعروف بأبي جهل سابَّ ابن أخيه رسول الله ﷺ، فانطلق إليه وهو في نادي قومه، فأهوى بقوسه على جبينه فشجَّه شجَّة منكرة، وقال له: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ ولما حاول غلمانه الانتصار له قال لهم: دعوا أبا عُمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً.

وكان ذلك الحادث سبباً لإسلام حمزة، فعزَّ رسول الله ﷺ وامتنع بإسلام عمه، وزال الكثير من همِّه وغمِّه.

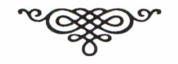
انتصار النبي ﷺ لها

كانت سلمى تطبِّب رسول الله ﷺ إذا أصابته جراح، وكان بدوره يدافع عنها، وينتصر لها، فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: جاءت سلمى امرأة أبي رافع مولى رسول الله ﷺ تستعديه على أبي رافع، وقالت: يا رسول الله، إنه يضربني فقال النبي ﷺ: **«مَالَكَ وَلَهَا؟»** فقال أبو رافع: إنها تؤذيني يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: **«بِمَ آذَيْتِهِ يا سَلْمَى؟»** قالت: ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث بريحٍ وهو يصلي، فقلت: يا أبا رافع، إن رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريحٌ أن يتوضَّأ، فقام يضربني!.

فجعل رسول الله ﷺ يضحك، ويقول: **«يَا أَبَا رافعٍ، لَمْ تَأْمُرْكَ إِلاَّ بِخَيْرٍ»**؛ وفي رواية قال لها: **«لا تَضْرِبْهَا يا أبا رافِعٍ»**.

لقد وقف رسول الله ﷺ مع سلمى، لأن الحق كان معها، ومن أحق منه بنصرة الحق؟.

رحم الله أم رافع، وأبا رافع خادمي رسوله ورحمته إلى العالمين.



55 - السيدة الشيماء بنت الحارث

أخت الحبيب المصطفى ﷺ

اسمها الشيماء، والدها الحارث السعدي، والدتها حليمة السعدية، أخوها من الرضاع سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

كان من عادة نساء قريش أن يرسلن أولادهن بعد ولادتهن إلى البادية خلال فترة الرضاع التماساً لنشاط جسمه وصحته، وابتغاء تعلُّم الفصاحة من جرَّاء عيشه بين أهل البادية.

ولما ولدت آمنة بنت وهب طفلها الذي توفي والده عبد الله قبل أن تكتحل عينه بمرآه، وجاءت المراضع من بني سعد يبحثن عن الرضَّع فأبين أخذه لأنه يتيم، وهنَّ يطمعن في طفل له أب ليجود عليهنَّ من خيره، ويُغدق عليهنَّ من فضله، إلاَّ أن حليمة السعدية رضيت بأخذ محمد اليتيم، وفاض الخير في ديارها من بركته، وكانت حليمة المرضع، وابنتها الشيماء الحاضنة، وكانت الشيماء تقول، وهي ترقِّصه:

يَا رَبَّنَا أَبْقِ أَخِي مُحَمَّدا   حَتَّى أَراهُ يافعاً وَأَمْرَدَا
ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّداً مُسَوَّدا   وَاكْبُتْ أَعادِيْهِ مَعَاً وَالحُسَّدَا
وَأَعْطِهِ عِزّاً يَدُومُ أَبَدَا

وتقول في مقام آخر:

هذَا أَخٌ لي لَمْ تَلِدْهُ أُمِّي   وَلَيْسَ مِنْ نَسْلِ أَبِي وَعَمِّي
فَأَنْمِهِ اللَّهُمَّ فِيْمَا تُنْمي

لقد منحت الشيماء لأخيها القرشي جُلَّ وقتها، وأولته كُلَّ اهتمامها،

وخرجت به ذات يوم حارٌ، فقلقت حليمة عليه، وخرجت لتعيده، وفوجئت بقول ابنتها حين أنَّبتها على خروجها به في الحر: لا تخافي يا أماه، فإن غمامة كانت تظلُّه، تقف إذا وقف وتسير معه حيث سار.

ولما انتهت فترة الرضاع عادت به حليمة إلى أمه آمنة، وتوالت على الطفل اليتيم الأحداث الأليمة، فماتت أمه، ثم جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب؛ وفي الخامسة والعشرين من عمره تزوَّج السيدة خَدِيْجَةَ، وفي سن الأربعين بُعِثَ برسالة الإسلام، فقام بها خير قيام.

الوفاء من شيم الكرام

ودارت الأيام، وانتصر المسلمون على هوازن، فكانت الشيماء في سبيهم، ولما قدموا بها على النبي ﷺ، وكان قد مضى على فراقه لها أكثر من خمسين عاماً عرَّفته بنفسها، فرحَّب بها، وسألها إن أحبَّت أن تبقى عنده أو ترجع إلى قومها، فاختارت الرجوع وأسلمت بين يديه، فردَّها إلى قومها بأحسن حالٍ.

وجاء عمه من الرضاع يذكِّره برضاعته وحضانته وإقامته بينهم وسأله ردَّ المال والسبي، روى النسائي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عمرو بن شُعَيْبٍ، عَن أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَال: كُنَّا عِنْدَ رسُول الله ﷺ إِذْ أَتَتْهُ وَفْدُ هَوازِنَ فَقَالُوا: يا مُحَمَّدُ، إِنَّا أَصْلٌ وَعَشيرةٌ وَقَدْ نَزَلَ بِنَا مِنَ الْبَلاءِ مَا لا يَخْفَى عَلَيْكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنَّ الله عَلَيْكَ، فَقَالَ: **«اخْتَارُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَوْ مِنْ نِسائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ»** فقالوا: قَدْ خَيَّرْتَنَا بَيْنَ أَحْسَابِنَا وَأَموالِنَا، بَلْ نَخْتَارُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَّا ما كَانَ لي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب فَهُوَ لَكُمْ، فَإِذَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَعِينُ بِرَسُولِ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - أَوْ الْمُسْلِمِينَ - في نِسَائِنَا وَأَبْنَائنَا»**.

فَلَمَّا صَلَّوْا الظُّهْرَ قَامُوا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«فَما كَانَ لي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ»**، فَلَمَّا سَمِعَ الْمُهَاجِرُونَ ذَلِكَ قَالُوا: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ

لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمَّا سَمَعَتِ الأَنْصَارُ ذَلِكَ قَالَتْ: مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

لقد كان ذلك المشهد يومذاك أعظم مَثَلٍ لمن يحفظ الجميل، ومن يحفظه مثْلَ ذي الخُلُق العظيم؟!!.

رحم الله الشيماء، وأحسن إليها.



(1) رواه: النسائي/ كتاب: الهبة/ باب: هبة المشاع/ برقم: (3628).

56 - السيدة سهلة بنت سهيل

إسلامها مبكراً

اسمها سهلة، والدها سهيل بن عمرو، زوجها أبو حذيفة بن عتبة، كانت سهلة وزوجها رضي الله عنهما من الذين أسلموا في مكة أول ظهور الإسلام، وكان عتبة بن ربيعة والد أبي حذيفة أحد كبار سفهاء قريش، وقد كان يعدُّ ابنه أبا حذيفة ليخلفه في زعامة قريش، ولكن ضاعت جهوده وذهبت أحلامه أدراج الرياح، حين علم أنَّ ابنه أبا حذيفة دخل في دين محمد.

ولما اشتدَّ إيذاء قريش للمسلمين منح النبي ﷺ الإذن لأصحابه بالهجرة إلى بلاد الحبشة، حيث لا يُظلم عند ملكها أحدٌ، ليعبدوا الله من غير أن ينالهم سوءٌ ولا أذى، وخرج أبو حذيفة بزوجه سهلة مع ثلةٍ من المهاجرين، وعلى أرض الحبشة عاش أبو حذيفة وسهلة باطمئنانٍ وهدوء، وهناك في الحبشة ولدت سهلة ابنها محمداً.

وقد ساء أبا حذيفة أن يقف والده عتبة موقف العداء من الإسلام، ولكن ألم يقل الله تعالى، وهو العليم بعباده: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

ولما عاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة، كان رسول الله ﷺ قد سبقهم إلى المدينة، فانطلقوا إليها ليلحقوا به، فعلموا أنه خرج لفتح خيبر، فلما وصلوا كان الله قد فتحها عليه، وفرح النبي ﷺ بعودتهم، ورحَّب بهم ترحيباً حاراً.

ولما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار جعل أخا أبي حذيفة عبَّاد بن بشر رضي الله عنه.

وخرج أبو حذيفة إلى بدر مع رسول الله ﷺ وأحزنه كثيراً أن يُقتل أبوه عتبة مشركاً، ويُلقى في قليب بدر.

قصة إرضاع سهلة لسالم

روي عَنْ ابْنَ شِهابٍ، عَنْ عائِشَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ وَأُمِّ سَلَمَة أَنَّ أَبا حُذَيْفَةَ ابْنَ عُتبَة بْن ربيعَةَ بْن عَبْدِ شَمْسٍ كَان تَبَنَّى سَالماً وَأَنْكَحَهُ ابْنَةَ أخيهِ هِنْدَ بِنْتَ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ ربيعَة وَهُوَ مَوْلَى لامْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصارِ، كَمَا تَبَنَّى رَسُولُ الله ﷺ زَيْداً.

وَكَانَ مَنْ تَبَنَّى رَجُلاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَعاهُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَوُرِّثَ مِيراثَهُ حَتَّى أَنْزَل الله سُبحانَهُ وَتَعالى في ذَلِكِ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب: 4- 5] فرُدُّوا إلى آبائِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُعلَمْ لَهُ أَبٌ كَان مَوْلَى وأخاً في الدِّينِ.

فَجاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهيْلِ بْنِ عَمروِ الْقُرشِيِّ ثُمَّ الْعامِرِيِّ، وَهِيَ امْرأَةُ أَبِي حُذَيْفَةَ، فقالت: يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا نَرى سَالِماً وَلَداً، وكَان يَأْوي مَعي ومعَ أبي حُذَيْفَة في بَيْتٍ واحِدٍ، وَيَراني فُضلاً، وَقَدْ أَنْزَلَ الله ﷻ فِيهِمْ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فكيف تَرَى فيهِ؟ فَقَالَ لَها النَّبيُّ ﷺ: **«أرْضعِيهِ»**، فَأَرْضَعَتْهُ خَمسَ رَضعَاتٍ، فَكَانَ بِمنْزلَةِ وَلَدِهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ.

فبذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها تأمُرُ بَنَاتِ أَخواتِهَا وَبنَاتِ إِخْوتِهَا أَنْ يُرْضِعْنَ مَنْ أَحبَّت عائِشَةُ أَن يَرَاها ويَدْخُلَ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ كَبيراً خَمسَ رَضعَاتٍ، ثم يَدْخُلُ عَلَيْها، وَأَبَتْ أَمُّ سَلَمة وَسائِرُ أَزْوَاج النَّبيِّ ﷺ أن يُدْخِلْنَ عَليهِنَّ بِتِلْك

الرَّضَاعَةِ أَحداً مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَرْضَعَ في الْمَهْدِ، وَقُلْنَ لِعائِشَةَ: واللهِ، ما نَدْري لعَلَّهَا كَانَتْ رُخْصَةً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِسَالِمٍ دُونَ النَّاسِ[1].

وفي رواية ابن ماجه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن الْقَاسِمِ، عَنْ أَبيهِ، عَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ: جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُول الله، إني أرى في وَجْهِ أبي حُذَيْفَة الْكَرَاهِيَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ عَلَيَّ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَرْضِعِيهِ**» قَالَتْ: كيف أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُل كَبِيرٌ؟ فَتَبَسَّم رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُل كَبِيرٌ**» فَفَعَلَتْ فأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: ما رَأَيْتُ في وَجْه أَبي حُذَيْفَة شَيْئاً أَكْرَهُهُ بَعْدُ وَكان شَهد بَدْراً[2].

استشهاد زوجها ومولاه

وكان أبو حذيفة يحب سالماً كثيراً، وقد أنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة، وكانت من المهاجرات الأوائل.

كان أبو حذيفة وسالم مولاه لا يتخلَّفان عن الصلاة مع رسول الله ﷺ وحضور مغازيه ومشاهده.

وبلغ سالم درجة من العلم وحفظ القرآن وحسن التلاوة ما أهَّله ليؤمَّ المهاجرين في الصلاة وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ذلك الفضل من الله يؤتيه من يشاء.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ خلفه الصدِّيق رضي الله عنه فارتدَّ بعض المسلمين، ومنعوا الزكاة، فجيَّش الجيوش لقتالهم.

وخرج أبو حذيفة وسالم إلى اليمامة في جيش خالد بن الوليد للقضاء على مسيلمة الكذَّاب، وقد منح الله النصر للمؤمنين، واتَّخذ منهم شهداء،

---

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: النكاح/ باب: فيمن حرم به/ برقم: (1764).

(2) رواه: ابن ماجه/ كتاب: النكاح/ باب: رضاع الكبير/ برقم: (1933).

ولما نظروا فيهم وجدوا بينهم سالماً وأبا حذيفة راقدين باسمين، فقد أدَّيا واجبهما على أرض اليمامة خير أداء، وقطع دابر المرتدين.

رحم الله شهداء اليمامة، وشهداء الإسلام، ورحم الله سهلة امرأة الشهيد، وأجزل لهم الثواب.



57 - السيدة سعدى بنت كريز

أثر كلامها في إسلام عثمان رضي الله عنه

اسمها سعدى، والدها كريز بن ربيعة، والدتها البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، وسعدى خالة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كانت كاهنة في الجاهلية، ذكية، شاعرة، فصيحة، وسمع عثمان أن رسول الله ﷺ أنكح ابنته رقية من ابن عمه عتبة بن أبي لهب، فأسف ودَّ لو أنه سبقه إليها، ولما دخل بيته، رأته خالته سعدى، فقالت:

أَبْشِرْ وَحُيِّيْتَ ثَلَاثاً وِتْرا ... ثُمَّ ثَلاَثاً وَثَلاَثاً أُخْرَى
ثُمَّ بِأُخْرَى كَيْ تَتِمَّ عَشْرَا ... لَقِيْتَ خَيْراً وَوُقِيْتَ شَرًّا
نَكَحْتَ واللهِ حَصَاناً زُهْرَا ... وَأَنْتَ بِكْرٌ وَلَقِيْتَ بِكْرَا

فعجب من قولها، ثم قالت:

عُثْمَانُ يَا عُثْمَانُ يَا عُثْمَانُ ... لَكَ الجَمَالُ وَإِلَيْكَ الشَّانُ
هَذَا نَبِيٌّ مَعَهُ البُرْهَانُ ... أَرْسَلَهُ بِحَقِّ الدَّيَّانُ
وَجَاءَهُ التَّنْزِيْلُ وَالفُرْقَانُ ... فَاتْبَعْهُ لاَ تَغْيَا بِكَ الأَوْثَانُ

ثم قالت: إن محمد بن عبد الله رسول الله، جاء جبريل يدعوه إلى الله، مصباحه وقوله صلاحه ودينه فلاح، وأمره نجاح، لقرنه نطاح، ذلَّت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الرماح، وسلت الصفاح، ومدت الرماح، ثم انصرفت، فوقع كلامها في قلبه.

وكان له مجلس من صاحبه أبي بكر الصدِّيق، فلما أتاه سأله عن أمره فحكى له ما سمعه من خالته، فقال له: ويحك يا عثمان، والله إنك لرجلٌ

حازمٌ، وما يخفى عليك الحق من الباطل، هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صُمّاً لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع؟ قال: بلى والله، إنها كذلك، قال: والله، صدقتك خالتك، هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقال: نعم، والله، ليتني أسمع.

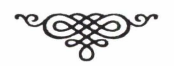
فوالله ما كان أسرع من أن مرَّ بهما رسول الله ﷺ ومعه علي بن أبي طالب يحمل ثوباً لرسول الله ﷺ، فقام إليه الصدِّيق فسارَّه في أذنه، فجاء رسول الله ﷺ فقعد، ثم قال لعثمان: «**أجبِ الله إلى جَنَّتِهِ، فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ وَإِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ**»، فلما سمع عثمان ذلك أسلم.

ثم تزوَّج رقية بنت رسول الله ﷺ بعد أن طلَّقها عتبة قبل أن يدخل بها، فأخرجها الله من يده هواناً به وكرامة لها.

ولما علمت خالته بإسلامه سُرَّت باهتدائه لدينها دين الإسلام، فقالت:

هَدَى اللهُ عُثْمَانَ الصَّفِيَّ بِقَولِهِ ... فَأَرْشَدَهُ واللهُ يَهْدِي إلى الحَقِّ
فَبَايَعَ بِالرَّأْيِ السَّدِيْدِ مُحَمَّداً ... وَكَانَ ابْنُ أَرْوَى لا يَصدُّ عن الحَقِّ
وَأَنْكَحَهُ المَبْعُوثُ إِحْدَى بَنَاتِهِ ... فَكَانَ كَبَدْرٍ مَازَجَ الشَّمْسَ في الأُفْقِ
فِدَاؤُكَ يَا ابنَ الهَاشِمِيِّيْنَ مُهْجَتِي ... فَأَنْتَ أَمِيْنُ اللهِ أُرْسِلْتَ في الخَلْقِ

رحم الله سعدى العاقلة المؤمنة، وأنزلها الحسنى مع المتقين.



58 - السيدة غزية بنت جابر

ثباتها وصبرها في سبيل إسلامها

اسمها غزية، والدها جابر بن حكيم، وزوجها أبو العسكر، ويُدعى سمي بن الحارث، وقد أنجبت له ولداً سمَّته شريكاً، وكانت تُكنى بأم شريك القرشية.

أسلمت أم شريك وزوجها، وغدت تدخل على نساء قريش تدعوهنَّ إلى الإسلام، فعلم بها أبو جهل وعقبة بن أبي معيط المعرضان عن البرّ والتقوى، والمتعاونان على الإثم والعدوان، فقالا لها: لولا قومك لفعلنا بك كذا وكذا، ولكنا سنردُك إليهم.

وبعد هجرة زوجها أبي العسكر إلى المدينة جاء أهله إليها، فقالوا لها: لعلك على دينه، فقالت لهم غزية: إي والله، إني على دينه! فوعدوها سوء العذاب، ثم حملوها على جمل أجرد الظهر، وأطعموها العسل دون أن يعطوها قطرة ماء، حتى اشتدَّت الشمس، وانتصف النهار، وكادت تهلك، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام، ثم قالوا لها: دعي ما أنت عليه وتشير إليهم: أحدٌ أَحَدٌ فلما خارت قواها، وأرهقها العطش رأت دلواً مُدَلًّى فوق صدرها، فشربت منه شيئاً ثم رُفع، ونظرت فرأته معلَّقاً بين السماء والأرض، ودُلِّي إليها ثانية فشربت ثم رُفع، فدُلِّي الثالثة فشربت حتى رويت، وأهرقت على رأسها ووجهها ثم سكبته على ثيابها.

وحين خرج قومها رأوا الماء، فقالوا: يا عدوَّة الله، من أين لك هذا الماء؟ فقالت: إنه رزقٌ رزقنيه الله! فسخروا من قولها، وانطلقوا إلى قرابهم فوجدوها مملوءةً كما تركوها موكأة، فعجبوا من ذلك، ثم قالوا: نشهد أنَّ ربك الذي آمنت به ربنا، ثم هاجروا إلى رسول الله ﷺ وأتوه مسلمين.

يوم وهبت نفسها للنبي ﷺ

ولما هاجرت غزية أم شريك إلى المدينة لتلحق بزوجها أبي العسكر الدوسي، أُخبرت بوفاته، فخطبها أبو بكر بن أبي سلمى فتزوجته، وبعد فترة من الزمن طلَّقها أبو بكر، فجاءت إلى النبي ﷺ وقالت: يا نبي الله، إني أهب لك نفسي، وأتصدَّق بها عليك، فقبلها رسول الله ﷺ، وقال: **«إنِّي أُحبُّ أن أتزوَّجَ في الأنْصار»** ثم قال: **«أنا أكْرَهُ غَيْرَتَهُنَّ، إنِّي أكْرَهُ غَيْرَةَ الأنْصَار»**.

حَدَّثَ يُونُسُ، حَدَّثَنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَام بْنِ عُرْوَة، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ أنَّها كَانَتْ مِمَّنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ[1].

وكان لأم شريك عكة من سمن، تهدي رسول الله ﷺ منها فكان يقبل هديتها، ويدعو لها.

ومما روي عن أم شريك غزية بنت جابر، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَالَ حِينَ يَفرَغُ مِنْ طَعَامِهِ: الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنِي وَأَشْبَعَنِي، وآوانِي بلا حَوْل مِنِّي ولا قُوَّة، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ الطَّعَام»**.

وكان رسول الله ﷺ إذا أكل قال: **«اللَّهُمَّ أَنْتَ أَطْعَمْتَنَا وَسَقَيْتَنَا وآويتَنا فَلَكَ الحَمْدُ غَيْرَ مَكْفِيٍّ ولا مُودَّعٍ ولا مُسْتغْنىً عَنْكَ»**.

رحم الله أم شريك، وسقاها من ماء الجنة هناك، كما سقاها هاهنا، وما ذلك على الله بعزيز.



(1) رواه: أحمد/ كتاب: من مسند القبائل/ باب: حديث أم شريك/ برقم: (26338).

59 - السيدة جُميلُ بنت يَسَارٍ

أخت المبايع المحبّ

اسمها جُمَيْلٌ، والدها يَسَارٌ المُزَنِيُّ، أخوها الصحابي الجليل مُعْقِلُ بن يسار شهد الحديبية، وكان يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس تحتها، حَدَّثَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ خَالِدٍ، عَنِ الْحَكَمِ بن عَبْدِ الله بْنِ الأَعْرَجِ، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقَد رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النَّاس، وَأَنَا رافِعٌ غُصْناً مِنْ أَغْصَانِهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً، قال: لَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ، وَلَكِنْ بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لا نَفِرَّ[1].

وقد ولاّه عمر بن الخطاب إمرة البصرة، فحفر بها النهر المنسوب إليه «نهر معقل»، وله بها دار.

حَدَّثَ أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنا أَبُو الأَشْهَبِ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ عُبَيْدَ الله بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فقالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَوْ لَمْ أَكُنْ عَلى حَالَتِي هذهِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ الله رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ إلا لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الْجَنَّةِ»**[2].

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الإمارة/ باب: استحباب مبايعة إمام الجيش عند إرادة القتال/ برقم: (3458).

(2) رواه: البخاري/ كتاب: الأحكام/ باب: من استرعى رعية فلم ينصح/ برقم: (6617).

فيا لها من عِظة ينطق بها من حضره الموت، عسى من سمعها أن يعجِّل بالتوبة قبل الفَوْت!! وما أكثر العظات والعبر!! وما أقلَّ من اعتبر!!.

زواجها بأبي البداح

جاء أبو البدَّاح ابن عم معقل بن يسار يخطب إليه أخته جُمَيلاً، ولما وافق أرسلت العروس إلى أم المؤمنين عائشة ﵂ تستلف ثوب زفاف لديها، كانت لا تمنعه عن أية عروس تُزفُّ في المدينة، وتمَّ الزفاف المبارك.

وكان معقل إذا دخل على أخته جُمَيْل سألته: ماذا نزل من القرآن اليوم؟ فيخبرها بما نزل، فإن لم يكن قد نزل قرآن حدَّثها بما سمع من حديث رسول الله ﷺ، إنهم لا يتساءلون عن أمور الدنيا ومتاعها ولكنهم يبتغون الآخرة ويتجهَّزون لها، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: 17- 20].

صبرها على فقر زوجها

وكان أبو البدَّاح لا يتخلَّف عن الصلاة خلف رسول الله ﷺ، فإذا قُضيت الصلاة انقلب إلى بيته وشيكاً، فكان رسول الله ﷺ ينظر إلى أصحابه بعد الصلاة يتفقَّدهم فلا يراه بينهم، فسألهم عنه، فقالوا: إنه إذا صلَّى انقلب إلى داره سريعاً، فأمرهم النبي ﷺ أن يخبروه أنه يريده، فلما فرغ من صلاته، وهمَّ بالانصراف، قالوا له: إن رسول الله ﷺ سأل عنك، وهو يريدك، فمكث أبو البدَّاح ينتظر، فأقبل عليه النبي ﷺ يقول: «**مَا بَالُكَ يَا أَبَا البَدَّاحِ إِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلاتِكَ أَسْرَعْتَ إِلَى دَارِكَ؟**» قال: يا نبي الله، أنا وزوجي نملك ثوباً واحداً أرتديه ثم آتي إلى المسجد، فأُصلي فيه، فإذا فرغت من صلاتي انطلقت إلى داري فأخلعه وترتديه زوجي فتصلِّي في وقتها، فدعا رسول الله ﷺ لهما بخير.

وكانت جُمَيْل وزوجها وأخوها يقضون أكثر أوقاتهم يتناقشون في القرآن والحديث فما أمتعه من نقاش!!.

نزول آيات بسببها

وفي جُمَيل وزوجها وأخيها نزلت آياتٌ من القرآن الكريم، حَدَّث مُحَمَّدُ بنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الأعلى، حَدَّثَنَا سعيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثنا الْحَسَنُ أَن مَعْقِلَ بْنَ يَسَار كَانَتْ أُخْتُهُ تَحتَ رَجلٍ فَطَلَّقَهَا، ثُمَّ خَلَّى عَنْهَا حَتَّى انْقضَتْ عِدَّتُهَا، ثُمَّ خَطَبَهَا فَحَمِيَ مَعْقِلٌ مِنْ ذلِكَ آنفاً، فَقَال: خَلَّى عَنْهَا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَخْطُبُهَا فَحَال بَيْنَهُ وَبَيْنهَا فأنْزَلَ الله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة: 232] فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقرأ عَلَيْهِ فَتَركَ الْحَمِيَّةَ وَاسْتَقَادَ لأمْر اللهِ، وَكَفَّرَ مَعْقِلٌ عَنْ يَمِينِهِ[1].

رحم الله أبا البدَّاح وجُمَيْلاً ومعقلاً، فقد كانوا قوماً مؤمنين، وبدين الله مستمسكين.



(1) رواه: البخاري/ كتاب: الطلاق/ باب: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ في الْعدَّة وكيف يراجعُ المرأة إذا طلقها واحدة أو ثنتين/ برقم: (4915).

٦٠ - السيدة ليلى بنت أبي حيثمة

المهاجرة الهجرتين

اسمها ليلى، والدها أبو حيثمة بن حذيفة، هاجرت الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وصلَّت إلى القبلتين، تزوَّجها عامر بن ربيعة وذهبا معاً إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وأخوها سليمان بن أبي حيثمة.

وها هي ذي ليلى تحدِّث عما جرى بينها وبين عمر بن الخطَّاب قبل خروجها إلى الحبشة بقليل، تقول: كان عمر بن الخطاب - قبل إسلامه - من أشدِّ الناس علينا في إسلامنا، فلمَّا تهيَّأنا للخروج إلى أرض الحبشة جاءني عمر وأنا على بعيري، فقال: إلى أين يا أم عبد الله؟، فقلت: آذيتمونا في ديننا فنذهب في أرض الله، حيث لا نُؤْذَى في عبادة الله! فقال عمر: صحبكم الله بالسلامة، ولم يتعرَّضْني بسوء، وبدا لي أنه رقَّ لنا، فجاءني زوجي عامر بن ربيعة، فقال لما أخبرته بخبره: ترجين أن يُسلم؟ فقلت: نعم، والله أرجو ذلك فقال: والله لا يُسلم حتى يُسلم حمار الخطاب.

وهكذا تفرَّست بنت أبي حيثمة، ولم يمضِ طويل وقتٍ حتى صدَّق الله فراستها، وحقَّق رجاءها، وهدى عمر بن الخطاب إلى الإسلام، فعزَّ به دين الله أيَّما إعزاز.

وكان عود الإسلام قد اشتدَّ بإسلام عم رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فلما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه باتت صلاة المسلمين علانية، بعد أن كانوا يصلُّون خِفْيَةً عن أعين قريش ورقبائها، وكانت هجرة عمر إلى المدينة جهاراً، فقد جاء إلى نادي قريش وتحدَّى زعماءها، وهدَّدهم أقوى تهديد إذا حاولوا اعتراض سبيله، ولم يجرؤ على منعه أو التصَّدِّي له أحد.

وانطلقت أم عبد الله مع زوجها عامر بن ربيعة وابنهما عبد الله إلى الحبشة ليعبدوا ربهم في أمانٍ، وما كان أشدَّ فرحتهم بإسلام النجاشي وطرده وفد قريش الذي جاء ليستردَّ المهاجرين ويعود بهم إلى قريش حتى تجدَّد تعذيبهم وإيذاءهم!!.

ولما عاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة علموا أن رسول الله ﷺ قد هاجر إلى المدينة فتبعوه.

أنوار الأدب النبوي تصيبهم

وهناك في المدينة كان ﷺ يزورهم بين الحين والآخر، وها هو ذا عبد الله بن عامر يحدِّثنا عن إحدى تلك الزيارات وما جرى خلالها، يقول فيما رواه أبو داود عَنْ ابْنِ عَجْلانَ أَنَّ رَجُلاً مِنْ مَوَالِي عَبْدِ الله بْنِ عَامِرِ بْنِ ربيعَة الْعَدَوِي حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ الله بن عامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْماً ورَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ في بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: **«وما أَرَدت أَنْ تُعْطِيهِ؟»** قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْراً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ لله ﷺ: **«أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئَاً كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»**[1].

وفي رواية أحمد عَنْ مُحَمَّد بْنِ عَجلانَ، عَنْ مَوْلًى لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ ربيعَةَ الْعَدَوِيِّ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ في بَيْتِنَا وَأَنَا صَبِيٌّ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَخْرُجُ لأَلْعَبَ، فَقَالَتْ أُمِّي: «يَا عَبْدَ اللهِ، تَعَال أُعْطِكَ» فَقَال لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟»** قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمراً، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ»**[2].

ما أحسن تعليمك يا سيدي يا رسول الله!! وما أشد تهذيبك!! ولكن ما لي أعجب وقد أدَّبك ربك فأحسن تأديبك، يا ذا الخُلُق العظيم!!.

---

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الأدب/ باب: في التشديد في الكذب/ برقم: (4339).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكيين/ باب: حديث عبد الله بن عامر/ برقم: (15147).

وظلَّت أسرة عامر وفيَّةً لعهد الله ورسوله حتى حضرهم الموت، رحمهم الله وأثابهم من فضله العميم.



61 - السيدة سارة

إسلامها

اسمها سارة مولاة لعمرو بن صيفي بن هاشم، قدمت إلى المدينة، وطافت أحياءها باحثة عن أحد أماكن اللهو، لتغني فيه وتعيش من أجره، دون أن يدور بخلدها أن المدينة قد طهَّرها الإسلام، وخلَّصها من تلك المنكرات المحرَّمة.

وعلى الرغم من عدم إسلامها قرَّرت سارة أن تذهب إلى مسجد النبي ﷺ في الصباح لتقابله وتسأله أن يعطيها ويكسوها مما يعطي الناس منه.

كان الصباح بداية لشهر رمضان، ورأت سارة أنْ أحداً ممن مرَّت بهم في طريقها لا يعيرها أدنى التفاتة، حتى إذا بلغت المسجد رأت أناساً يصلُّون، وآخرين يتلون القرآن.

ثم نظرت فرأت رجلاً يتحلَّق الناس حوله، عليه حلَّةٌ من المهابة والوقار ألقت في روعها أنه رسول الله ﷺ الذي سمعت بظهوره، فدنت منه وسألته ما يسدُّ حاجتها ويستر جسدها، فأعطاها مما تيسَّر فشهدت شهادة الحق، وأعلنت إسلامها بين يديه.

وكان النبي ﷺ يحدِّث أصحابه أنه سيباغت قريشاً في عقر دارها بمكة، وراح رسول الله ﷺ يدعو: **«اللَّهُمَّ خُذ العُيُونَ وَالأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْش حَتَّى نَبْغَتَهَا في بلادِهَا، اللَّهُمَّ خُذْ عَلَى أَسْماعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ فَلا يَرَوْنَا إلاَّ بَغْتَةً، ولا يَسْمَعُونَ بِنَا إلاَّ فَجْأَةً»**.

حملها كتاب حاطب

وكان أحد المهاجرين، ويدعى حاطب بن أبي بلتعة، حليفاً لقريش، فكتب كتاباً ينذرها فيه بنية رسول الله ﷺ لتأخذ أهبتها، ولكن من ذا الذي يحمل كتابه لها؟ ووجد حاطب الحل، واختار سارة وأعطاها الكتاب وأوصاها بإخفائه.

حَدَّثَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَخْبَرنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أبي رافِعٍ قال: سَمِعْتُ عليًّا ﷺ يقولُ: بَعَثَني رسُولُ اللهِ ﷺ أنَا والزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأسْوَدِ قَالَ: «**انطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فإنَّ بِهَا ظَعِينَةً ومَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**».

فانطَلَقْنا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا، حَتَّى انْتَهَيْنا إلى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أو لَنُلْقِيَنَّ الثِّيابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقاصِهَا، فأتَيْنا بِهِ رَسُول الله ﷺ فَإذَا فيهِ: من حَاطِبِ بْن أبي بَلْتَعَة إلى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكينَ مِنْ أهْل مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أمر رسُولُ الله ﷺ، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ، ما هَذَا؟**» قال: يا رَسُول الله، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إنِّي كُنْتُ امْرأً مُلْصَقاً فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أكُنْ مِنْ أنفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرينَ لَهُم قَرابَاتٌ بِمَكَّة يَحْمُونَ بِهَا أهِليهِمْ وأمْوالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فيهِمْ أنْ أتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُون بِها قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفراً، ولا ارْتِداداً، ولا رضاً بالْكُفرِ بَعْدَ الإسْلام، فَقال رَسُولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**».

وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أضْربْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِق، فَقالَ

رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَما يُدْرِيكَ لَعلَّ الله أن يَكُونَ قَدْ اطَّلَع عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[1].

ونزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: 1].

وارتدَّت سارة عن الإسلام، وعادت إلى مكة ونسيت تكريم رسول الله ﷺ لها، ودخل رسول الله ﷺ مكة بجند الإيمان، وأمر بقتل أناسٍ ولو كانوا متعلِّقين بأستار الكعبة، لما آذوا به المسلمين، ومنهم سارة، فاختفت عن الأعين مدة من الزمن.

ولما ضاقت عليها الأرض بما رحبت أتت النبي ﷺ وسألته الصفح عن جهلها، وعادت إلى الإسلام، فقبل منها، وأمَّنها، أليس هو الرحمة المهداة للعالمين؟! بلى!! إنه كذلك.



(1) رواه: البخاري/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: الجاسوس/ برقم: (2785).

62 - السيدة قُتَيلَةُ بنت النَّضر

اسمها قُتَيْلَةُ، والدها النَّضْرُ بن الحارث، كانت واحدة من شواعر العرب المجيدات، ولا سيما في فن الرثاء، وشعرها فصيحٌ رصين، وكانت تتمتَّع بذكاء نادرٍ، وجمال ساحرٍ أخَّاذٍ.

وقد جعل والدها النضر من نفسه عدوّاً شرساً للرسول ﷺ، وتمادى في إيذائه، وإيذاء المسلمين، وقد وقف على هذه العداوة نفسه، وآلى على محاربة الإسلام دون هوادة.

ولما كان يوم بدر، خرج النضر بن الحارث مع قريش لقتال المسلمين مصرّاً على كفره وحقدِه الدفين، وفي بدر التقى جيش المسلمين الصغير بجيش قريش الكبير، وبدأت المعركة بمبارزة تصدَّى لها ثلاثة فرسان من قريش هم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة وطلبوا من يبارزهم من المسلمين، فخرج لهم ثلاثة من أبطال الإسلام: حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وقتل حمزة صاحبه شيبة، وقتل عليٌّ الوليد، وتبادل عبيدة وعتبة ضربتين فسقط كلاهما جريحين، وبادر حمزة وعلي إلى عتبة فذفَّفا[1] عليه، ثم حملا أخاهما عبيدة إلى معسكر المسلمين، وقد فقد إحدى ساقيه، ومنح الله لرسوله ﷺ نصره الذي وعد، وألقى الذلَّة والهوان على من كفر وجحد.

وفقدت قريش يومئذٍ سبعين قتيلاً، وأُسِرَ لها سبعون، وكان بين الأسرى عدوَّا الله عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، فأمر رسول الله ﷺ عاصم بن ثابت بقتل عقبة فضرب عنقه، فلما وصل

---

(1) ذفَّف عليه: أجهز عليه.

الصفراء، وهي على مقربة من بدر أمر علي بن أبي طالب بقتل النضر بالأثيل على مقربة من المدينة، فقتله.

ولما علمت قُتَيْلَةُ بنت النضر بمقتل والدها، اعترضت رسول الله ﷺ في طوافه، وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه، وقالت:

يا رَاكِباً إنَّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ

أَبْلِغْ بِهِ مَيْتاً بأن تَحِيَّةً ... مَا إنْ تَزالُ بِهَا الرَّكَائِبُ تَخْفِقُ

مِنِّي إِلَيْهِ وَعَبْرةٌ مَسْفُوحةٌ ... جَادَتْ لِمائِحَها وَأُخْرَى تَخْنِقُ

فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إنْ نَادَيْتُهُ ... إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ أَوْ يَنْطِقُ

ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيْهِ تَنُوشُهُ ... لله أَرْحَامٌ هُنَاك تُشَقَّقُ

قَسْراً يُقادُ إلى المَنِيَّةِ مُتْعَباً ... رَسْفَ المُقَيَّدِ وَهْوَ عَانٍ مُوَثَقُ

أمُحَمَّدٌ، ولأنْتَ نَجْلُ نَجِيْبَةٍ ... مِنْ قَومِهَا والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَنَّ الفَتَى وَهْوَ المَغِيْظُ المُحْنَقُ

فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصْبت وَسِيْلَةً ... وَأَحَقُّهُمْ إنْ كان عِتْقٌ يُعْتَقُ

لو كُنْتَ قابِلَ فِدْيَةٍ لَفَدَيْتُهُ ... بأَعَزِّ مَا يُفْدَى به مَنْ تُنْفِقُ

فلما سمع رسول الله ﷺ قولها بكى، وقال: **«لَوْ بَلَغَنِي شِعْرُهَا قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا قَتَلْتُهُ»**.

وبعد هنيهة من الزمن أسلمت قُتَيْلَةُ، وباتت مُحبَّة لله ولرسوله ﷺ، ثم مدحت النبي ﷺ بقصيدةٍ أولها:

الوَاهِبُ الألْفَ لا يَبْغِي بِهَا بَدَلًا ... إلاَّ الإلَهَ وَمَعْرُوفاً بِمَا اصْطَنَعَا

واجتهدت في عبادتها حتى غدت من رواة حديث النبي ﷺ، فلما كانت سنة عشرين للهجرة وافتها المنية، رحمها الله تعالى.

63 - السيدة هند بنت أُثاثة

الشاعرة المسلمة

اسمها هند، والدها أُثاثة بن المطَّلب، تزوَّجت رجلاً يدعى أبا جندب، وأنجبت له ريطة.

أسلمت هند في مكة وبايعت النبي ﷺ، وأصابت حظَّها من عذاب قريش ونكالها بالمسلمين.

كانت هند على جانب كبيرٍ من الذكاء، وقد أهَّلتها فصاحتها لتتَّخذ لها مقعداً بين شواعر العرب البليغات.

وهبت هند نفسها وشعرها لنصرة الإسلام، والدفاع عن المسلمين، ورثاء شهدائهم، حتى إنها رثت أول شهيدٍ في الإسلام، شهيد بدر عبيدة بن الحارث رضي الله عنه قبل أن تُسلم.

ويوم أُحُد خرجت هند بنت عتبة وبعض نساء المشركين مع رجالهم ليشجعنهُم، وخرجت هند بنت أُثاثة وبعض نساء المسلمين ليداوين جرحاهم، ويسقين عطاشهم، واعتلت بنت عتبة تلَّةً مشرفةً، وأخذت تُنشد بأعلى صوتها:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ ... وَالحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ
مَا كَانَ مِنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ ... وَلا أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِي
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي ... شَفَيْتَ وَحْشِيُّ غَلِيْلَ صَدْرِي
فَشُكْر وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْرِي ... حَتَّى تَرِمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي

وكان ذلك بعد أن سقط عددٌ من أبطال المسلمين شهداء، كان من

أبرزهم عم رسول الله ﷺ حمزة رضي الله عنه ، وحين سمعت هند بنت أُثاثة مقالتها الحاقدة الشامتة، تصدَّت لها ببأسٍ لا يَفْتُرُ، وعزيمةٍ لا تلينُ، وقالت لها:

خَزِيْتِ فـي بَـدْرٍ وَبـعْـد بَـدْرِ ... يَـا بِـنْـتَ وَقَّـاعٍ عَـظِـيْـم الـكُـفْـرِ
صَـبَّـحَـكِ الله غَـداةَ الـفَـجْـرِ ... الـهَـاشِـمِـيِّـيْـنَ الـطِّـوَالَ الـزُّهْـرِ
بِـكُـلِّ قَـطَّـاعٍ حُـسَـامٍ يَـفْـرِي ... حَـمْـزَةُ لَـيْـثِـي وَعَـلِـيٌّ صَـقْـرِي
إذْ رام شَـيْـبٌ وأبُـوكِ غَـدْرِي ... فَـخَـضَّـبَـا مِـنْـهُ ضَـوَاحِـي الـنَّـحْـرِ
وَنَـذْرُكِ الـسُّـوءُ فَـشَـرُّ نَـذْرِ

ولما فُجع المسلمون بوفاة الحبيب الأعظم ﷺ، رثته بنت أُثاثة، فقالت:

أَشَـابَ ذُؤابَـتِـي وَأَذَلَّ رُكْـنِـي ... بُكَاؤُكِ فَـاطِـمُ الـمَـيْـتَ الـفَـقِـيْـدَا
فـأعْـطَـيْـتَ الـعَـطَـاءَ فَـلَـمْ تُـكَـدِّرْ ... وَأَخْـدَمْـتَ الـوَلَائِـدَا والـعَـبِـيْـدا
وَكُـنْـتَ مَـلَاذنـا فـي كُـلِّ لَـزْبٍ ... إذا هَـبَّـتْ شَـآمِـيَـةٌ بَـرُودَا
وَإِنَّـكَ خَـيْـرُ مَـنْ رَكِـب الـمَـطَـايَـا ... وَأَكْـرَمُـهُـمْ إذا نَـسِـبُـوا جُـدُودَا
رَسُـولُ الله فَـارَقَـنَـا وَكُـنَّـا ... نُـرَجِّـي أن يَـكُـونَ لَـنَـا خُـلُـودَا
أَفَـاطِـمَ فَـاصْـبِـرِي فَـلَـقَـدْ أَصَـابَـتْ ... رزِيْـئَـتُـكِ الـبَـهَـائِـمِ وَالـنُّـجُـودا
وأَهْـلَ الـبَـرِّ وَالأَبْـحَـارِ طُـرّاً ... فَـلَـمْ تُـخْـطِـىءْ مُـصِـيْـبَـتُـهُ وَحِـيْـدَا
وَكَـانَ الـخَـيْـرُ يُـصْـبِـحُ فِـي ذُرَاهُ ... سَـعِـيْـدُ الـجَـدِّ قَـدْ وَلَـدَ الـسُّـعُـودَا

رحم الله هند بنت أُثاثة، فقد كانت مؤمنة صادقة الإيمان، وجعل مستقرها الجنان.

64 - السيدة تماضر بنت الأصبغ

زوجة الصادق البارّ

اسمها تماضر، والدها الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة، كان ملكاً على بني كلبٍ، ولما أراد رسول الله ﷺ أن يرسل بعثاً إلى دومة الجندل، دعا عبد الرحمن بن عوف أحد المبشّرين العشرة بالجنة، فعمَّمه بيده الشريفة، وأسدل العمامة على كتفيه، وأمره بالخروج إلى بني كلب، وأذن له إن فتح الله عليه أن يتزوَّج ابنة ملكهم تماضر.

وخرج ابن عوف لأمر رسول الله ﷺ إلى دُومة الجندل، ولكن أي رجل كان ابن عوف هذا؟ وأي فضل له حتى اختاره رسول الله ﷺ لهذا البعث؟ إنه الرجل الصالح كما أخبر عنه الصادق المصدوق في الحديث الذي رواه اللَّيْثُ بْنُ سعْدٍ، قال: حَدَّثَني عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَبَّادُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الْمُغِيرَةِ، وَحَمْزَةَ بْن الْمُغِيرَةِ أَنَّهُمَا سَمِعَا الْمُغِيرَةَ ابْن شُعْبَةَ يُخْبِرُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ أَقْبَلَ وأَقْبَلَ مَعَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَة حَتَّى وَجَدُوا النَّاسَ قَدْ أَقَامُوا الصَّلاةَ، صَلاةَ الْفَجْرِ، وَقَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحمَنِ بْنِ عَوْفٍ يُصلِّي بهمْ فَصلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رَكْعَةً مِنْ صَلاة الْفَجْرِ قَبْلَ أَنْ يأتِيَ رسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ جاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَفَّ مَعَ النَّاسِ وراءَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ في الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، فَلَمَّا سَلَّم عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ صَلَّى فَفَزِعَ النّاسُ لذَلِكَ، وَأَكْثَرُوا التَّسْبِيحَ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ صَلاتَهُ قَالَ لِلنَّاسِ: **«قَدْ أَصَبْتُمْ، أَوْ قَدْ أَحْسَنْتُمْ»**[1] ثم قال رسول الله ﷺ: **مَا قُبِضَ نَبِيٌّ حَتَّى يُصَلِّي**

(1) رواه: الدارمي/ كتاب: الصلاة/ باب: السنة فيمن سبق ببعض الصلاة/ برقم: (1301).

خَلْفَ رَجُلٍ صَالِحٍ مِنْ أُمَّتِهِ»[1].

وروى الدارمي عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ وَقَدْ قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ، يُصَلِّي بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَوْفٍ وَقَدْ رَكَعَ بِهِمْ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ، فأَوْمَى إِلَيْهِ بِيَدِهِ فَصَلَّى بِهِمْ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُمْتُ، فَرَكَعْنَا الرَّكْعَة الَّتِي سُبِقْنَا[2]، فما أعظمه من تكريم ناله ابن عوف من صاحب الخُلُق العظيم!!.

وفي مقام آخر مدح رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف لمحافظته على أزواج رسول الله ﷺ من بعده فيما رواه الترمذي عَنْ صَخْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أبي سَلَمَة، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كَانَ يَقُولُ؛ «**إِنَّ أَمْرَكُنَّ مِمَّا يُهِمُّنِي بَعْدِي، وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ إلا الصَّابِرُونَ**».

قَالَ: ثُمَّ تَقُولُ عَائِشَةُ: فَسَقَى اللهُ أَبَاكَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ، تُرِيدُ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ - وَكَانَ قَدْ وَصَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَالٍ يُقَالُ: بِيعَتْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفاً قال: هذا حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ[3].

وَحدَّث إِبْرَاهِيمُ - يَعْنِي: ابن سَعْدٍ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْد اللهِ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ عَوْف بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لأَزْوَاجِهِ - رضي الله عنهن -: «**إِنَّ الَّذِي يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدي لَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ، اللَّهُمَّ اسْقِ عَبْدَ الرَّحْمَن بْنَ عوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ**»[4].

---

(1) صفة الصفوة: لابن الجوزي.

(2) رواه: الدارمي/ كتاب: الصلاة/ باب: السنة فيمن سبق ببعض الصلاة/ برقم: (1302).

(3) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف الزهري/ برقم: (3682).

(4) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم سلمة/ برقم: (25348).

وَحَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ الْبَصْرِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا قُرَيْشُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوفٍ أَوْصى بِحَدِيقَةٍ لأُمَّهَات الْمُؤْمِنينَ بِيعَتْ بأَرْبَعمائة أَلْفٍ، قَالَ أبو عيسى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»[1].

وحين وصل عبد الرحمن إلى دومة الجندل عرض الإسلام على أهلها فأجابوه طائعين، وأخذ الجزية ممن أبى، وأسلمت ابنة ملكهم الأصبغ بن عمرو، فخطبها ابن عوف إلى أبيها فتزوَّجته.

وقد آتى هذا الزواج ثماره حين أنجبت له أبا سلمة بن عبد الرحمن، ولما عاد عبد الرحمن إلى المدينة حمل معه زوجه وابنه.

الزوجة الداعمة لزوجها في الإنفاق

ومن مناقب هذا الزوج الفذ الذي فازت به تماضر أنه آثر التخلي عن ماله وثروته لقريش ليكون قريباً من رسول الله ﷺ، وحين عرض عليه أخوه الأنصاري سعد بن الربيع رضي الله عنه شطر ماله أبى وذهب إلى السوق فاتَّجر، وجمع مالاً طائلاً من كسبٍ حلالٍ، فلقد كان تاجراً ناجحاً موفَّقاً، وكان أول من يتاجر معهم الله عز وجل، لذلك كان يحصل على الربح الوفير.

تصدَّق مرة بشطر ماله، وتصدَّق ثانية بأربعين ألف دينار، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، وخمسمائة راحلة، وكان بهذه الصدقات لا يخشى من ذي العرش إقلالاً بل كان يجد الزيادة، طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: 7].

---

(1) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: مناقب عبد الرحمن بن عوف الزهري/ برقم: (3683).

لقد رضي الله عن الصادق البار عبد الرحمن بن عوف ورضي رسوله ﷺ، فهل بعد ذلك من رجاء؟.

رحم الله أبا أبي سلمة، وأم أبي سلمة تماضر، وابنهما أبا سلمة، وأوفى لهم الجزاء.



٦٥ - السيدة أسماء بنت مُخرِّبة

اسمها أسماء، والدها مُخرِّبة بنت جندل، ولما قدم هشام بن المغيرة أحد سادات قريش إلى نجران، خطبها فتزوَّجها، ثم حملها معه إلى مكة، فولدت له كبير الأشقياء أبا جهلٍ، والحارث، ثم توفِّي عنها، فخلفه عليها أخوه أبو ربيعة بن المغيرة، فأنجبت له عياشاً وعبد الله.

ناصب ابنها الإسلام العداء، ورفع ضده لواء البغضاء، فكان سيد السفهاء، كان حلمه العريض أن يسود قريشاً بعد أبيه، لكن ظهور رسول الله ﷺ وأد أكبر أمانيه، وطوَّح بكل ما يرجوه ويبتغيه، ولذلك لَجَّ في بغيه وطغيانه، وتمادى في ظلمه وعدوانه، وبرع في صنوف الشَّرِّ وألوانه.

حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا عَلَى قُرَيْشٍ غَيْرَ يَوْمٍ واحِدٍ، فَإِنَّهُ كَان يُصَلِّي وَرِهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ وَسَلَى جَزُورٍ قَرِيبٌ مِنْهُ، فَقَالُوا: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّلَى فَيُلْقِيَهُ عَلى ظَهْرِهِ؟ قال: فَقَال عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ: أنا، فَأَخَذَهُ، فَأَلْقاهُ عَلَى ظَهْرِهِ؟، فَلَمْ يَزَلْ سَاجِداً حَتَّى جاءَتْ فَاطِمَةُ - صَلَواتُ الله عَلَيْهَا - فَأَخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلَيكَ الْمَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بعُتْبَةَ ابْن رَبيعَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيكَ بشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْل بْنِ هِشام، اللَّهُمَّ عَلَيكَ بعُقْبَةَ بْن أَبي مُعَيْطٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأُبِيِّ بْنِ خَلَفٍ، أَوْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ**».

قال: قَالَ عَبْدُ الله: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ جَمِيعاً، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ، غَيْرَ أُبَيٍّ - أَو أُمَيَّةَ - فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلاً ضَخْماً فتَقَطَّعَ[1].

وحين هاجر عياش بن أبي ربيعة أخو أبي جهلٍ لأمه مع عمر بن الخطاب إلى المدينة، انطلق أبو جهلٍ وأخوه الحارث ليعودا بأخيهما عيَّاش، وتمكَّنا من خداعه على الرغم من تحذير عمر له من غدرهما به، وعادا به إلى مكة مشدود الوثاق، وحبساه حتى حين، وبات رسول الله ﷺ يدعو له حتى فرَّج الله عنه، وأمكن له الفرار.

وأخذ أبو جهل يؤجِّج نار الأحقاد ضد رسول الله ﷺ والمسلمين، حتى أقنع زعماء قريش، وقادتها بالخروج إلى بدر، للقضاء على هذا الدين الذي فرَّق شملهم، وسفَّه أحلامهم، وأساء إلى آلهتهم.

والتقى في بدر جمع المسلمين وجمع المشركين، وقد وعدهم أبو جهل بحفلٍ بعد النصر تنحر فيه الجزور، وتُسقى الخمور، وتُطلق حناجر القيان أغانيها، دون أن يدري ما خبأه له اللطيف الخبير.

ودارت رحى القتال، وفقدت قريش أعزَّ رجالها، وكبار أبطالها، وسقط أبو جهل جريحاً فجاءه وهو في الرمق الأخير صحابيٌّ جليل هو عبد الله بن مسعود فوطىء عنقه بقدمه الناحلة ثم احتزَّ رأسه وحمله إلى رسول الله ﷺ فحمد الله.

وأُسر عقبة بن أبي معيط وبعد انتهاء القتال قُدِّم فضربت عنقه، ولقي الشقيان جزاء ما فعلاه.

وأسلمت أسماء وهاجرت إلى المدينة، وكانت تبيع العطر الذي يأتيها من اليمن، وأسلم ابنها عبد الله بن أبي ربيعة، وكان قد أسلف رسول الله ﷺ بضعة عشر ألفاً يوم فتح مكة حين أسلم، فلما كان يوم حنين دعاه النبي ﷺ

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكثرين من الصحابة/ باب: مسند عبد الله بن مسعود/ برقم: (3766).

ليوفيه حسابه، فلما حضر قال له: «**خُذْ مَا أَسْلَفْتَ، بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي مَالِكَ وَوَلَدِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الحَمْدُ وَالوَفَاءِ**».

ووفت أسماء بعهد العزيز الغفَّار فصانها من النار، وباعد بينها وبين ابنها أبي جهل اللئيم، وأورده الجحيم، رحمها الله تعالى.



66 - السيدة ريطة بنت عبد الله

زوجة المقرىء الفقير

اسمها ريطة، والدها عبد الله بن معاوية، تزوَّجت ريطة من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كان زوجها عبد الله ضيق ذات اليد، يرعى الغنم لأحد زعماء قريش وكبار سفهائها، ويُدعى عقبة بن أبي معيط، وكان الأجر الزهيد الذي يتقاضاه لا يبلغه عيش الكفاف، ولا يمكِّنه من تأمين نفقات أهله.

وكانت زوجه ريطة رحيمة به شفوقة عليه، ولذلك كانت تعمل بيديها لتنفق عليه وعلى ولده من كسبها، وقد أخرج ابن الأثير في كتابه «أُسُد الغابة» قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَن أبيه، عَنْ عُبَيْد الله بْنِ عَبْدِ الله بن عُتْبَةَ، عَنْ رَائِطَةَ امْرَأَةِ عَبْدِ الله بن مَسْعُودٍ وَأُمِّ وَلَدِهِ، وَكَانَتْ امْرأَةً صناعَ الْيَدِ، قَالَ: وَكَانَتْ تُنْفِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ مِنْ صَنْعَتِهَا.

قَالَتْ: فَقُلْتُ لِعَبْد الله بْن مَسْعُودٍ: لَقَدْ شَغَلْتَنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ عَنْ الصَّدَقَةِ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَن أَتصدَّق مَعَكُمْ بِشَيْءٍ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ الله: واللهِ، ما أُحِبُّ إنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ أَنْ تَفعِلي.

فَأَتَتْ رَسُول الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي امْرأَةٌ ذَاتُ صَنْعَةٍ أَبِيعُ مِنْهَا، وَلَيْسَ لِي وَلا لِوَلَدِي وَلا لِزَوْجِي نَفَقَةٌ غَيْرَهَا، وَقَدْ شَغَلُونِي عَنِ الصَّدَقَةِ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتصَدَّقَ بِشَيْءٍ، فَهَلْ لي مِنْ أَجْرٍ فِيمَا أَنْفَقْتُ؟، قَالَ:

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنفِقِي عَلَيهِمْ، فَإِنَّ لَكِ فِي ذَلِكَ أَجْرَ مَا أَنفَقْتِ عَلَيهِمْ**»(1).

وزاد ابن الأثير في «أسد الغابة»: فقال رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ، لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيهِمْ، فَأَنفِقِي عَلَيهِمْ**»(2).

وفي رواية أخرى عَنْ عُبَيْد الله بْن عَبْدِ الله بْن عُتْبَةَ، عَنْ رَائِطَةَ امْرأَةِ عَبْدِ الله، وَكَانَتْ امْرَأَةً صَنَاعاً، وَكَانَتْ تَبِيعُ وَتَصَدَّقُ، فَقالَتْ لِعَبْدِ الله يَوْماً: لَقَدْ شَغَلْتَنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ مَعَكُمْ، فَقَالَ: ما أُحِبُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ أَنْ تَفْعَلِي، فَسَأَلا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ الله فَقَالَ لَهَا رَسُول الله ﷺ: «**لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيهِمْ**»(3).

المتصدقة الصادقة

لقد أخذت ريطة دورها كما ينبغي له أن يؤخذ، ووعت ما يجب عليها تجاه شريكها في إقامة الأسرة، وتجاه الأولاد الذين يجمعون بينهما، لا سيما بعد أن انقطع مورد شريكها من رعي الغنم بمقتل صاحب الغنم عقبة بن أبي معيط يوم بدر مع أصحابه من سفهاء قريش.

وإضافة إلى ذلك فإن زوجها عبد الله انشغل بعد هجرتهم إلى المدينة بمرافقة النبي ﷺ وذلك في مجالسه التي يعقدها مع أصحابه حتى يعلِّمهم مما علَّمه الله، ويفيض عليهم من نفحاته الطيبة المباركة، وهديه النبوي الكريم، أو الخروج إلى ساحات الجهاد لمجاهدة أعداء الله من المشركين، ورفع راية الإسلام في كل بقعةٍ سمعت بهذا الدين.

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكيين/ باب: حديث رائطة امرأة عبد الله عن النبي ﷺ/ برقم: (15504).

(2) أُسد الغابة: (5/ 461).

(3) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكيين/ باب: حديث رائطة امرأة عبد الله عن النبي ﷺ/ برقم: (15503).

كانت ريطة تريد أن تتصدَّق بمالها ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالى، وكان عبد الله لا يُكرهها على الإنفاق عليه، بل صرَّح لها بأن نفقتها عليه إن كانت بغير ثوابٍ لها فهو لا يريدها، فلما أعلمها النبي ﷺ بأن نفقتها على أسرتها مأجورة اطمأنَّ بالها، وزاد سعيها، وتضاعف جهدها، وكيف لا تثابر على نهجها هذا، وفيه مرضاة ربها، ومرضاة نبيها ﷺ، وجلب السعادة لزوجها وأبنائها؟.

رحم الله ريطة، وأحسن مثواها مع العالمين.



67 - السيدة زينب بنت أبي معاوية

الضرة الواعية

اسمها زينب، والدها أبو معاوية الثقفي، كانت زينب الزوج الثانية لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذلك الرجل الفاضل، الذي وهب لخدمة النبي ﷺ نفسه، وكان له شرف مرافقته، وجعل حياته رهن إشارته، وبات مسؤولاً عن سواكه ووساده وحمل نعليه، وهل تضمُّ الدنيا برمَّتها شيئاً أثمن من أن يكحِّل عينيه بالنظر إلى أبهى طلعةٍ أقلَّتها الغبراء وأظلَّتها السماء؟!!.

وما كان شيء ليبعد ابن مسعود عن رسول الله ﷺ في الحل والترحال، والإقامة والإظعان، مما أتاح له فرصة أكثر من غيره لزيادة استيعابه من كتاب الله تعالى، ونماء ثروته الفقهية التي جمعها خلال لقاءاته مع خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

لقد علمت زينب ما علمته ريطة ضرتها من حال زوجها عبد الله فعزمت على مشاركتها في النفقة عليه، كما شاركتها فيه، واتَّفقت الضرتان على العمل المشترك، والتعاون في الإنفاق على الرجل الذي وضع حياته بين يدي رسول الله الهداية فأدرك بذلك أسمى غاية.

سعيها للتصدق

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه حَدَّثَنا عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ عَنْ زَيْنَبَ امرأة عَبْد الله رضي الله عنها قالتْ: قَالَ رَسُول الله: «**تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ**».

قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبدِ الله فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ، وَإِنَّ

رَسُول الله ﷺ قَدْ أَمَرَنا بالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ فاسْأَلهُ فَإنْ كَانَ ذَلك يَجْزِي عَنِّي وَإلا صَرَفْتُهَا إلَى غَيْرِكُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لي عَبْدُ الله رضي الله عنه: بَلْ ائْتِيهِ أَنْتِ.

قَالَتْ: فَانطَلَقْتُ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ الله ﷺ حَاجَتِي حَاجَتُهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ، قَالَتْ: فَخَرَج عَلَيْنَا بِلالٌ فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُول الله ﷺ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلانِكَ: أَتُجْزِيءُ الصَّدَقَةُ عَنهُمَا عَلَى أَزْوَاجِهِمَا، وَعَلى أَيْتَام فِي حُجُورِهِمَا؟ ولا تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ.

قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلالٌ رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ هُمَا؟**» فَقَالَ: امرأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَزَيْنَبُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّ الزَّيَانِبِ؟**» قالَ: امْرأَةُ عَبْدِ الله، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**»[1].

فلما سمعت زينب رضي الله عنها ذلك من رسول الله ﷺ رجعت إلى بيتها، وأنفقت على زوجها، وضربت خير مثلٍ للتعاون والتفاهم بين الضرَّتين، رحمهما الله تعالى.



(1) رواه: مسلم/ كتاب: الزكاة/ باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد/ برقم: (1667).

68 ـ السيدة فكيهة بنت يسار

إسلامها وزوجها

كانت فكيهة بنت يسار قد تزوَّجت حطَّاب بن الحارث، وهو أخو حاطب بن الحارث، وقد سبقت إلى الإسلام هي وزوجها الكثيرين.

وكان أبوها يسار مولًى لصفوان بن أُمية بن خلف الذي كان يُذيق المستضعفين من المؤمنين في مكة صنوف العذاب، ولما بالغت قريش في إيذاء أتباع رسول الله ﷺ أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة حتى يأتي الله بالفرج.

خرجت فكيهة وزوجها حطَّاب بن الحارث مع قافلة المهاجرين، وهما يمنِّيان نفسيهما بحياة ناعمة هادئة على أرض الحبشة لما سمعوا من رسول الله ﷺ أن ملكها النجاشي لا يُظلم على أرضه أحدٌ، إنه مثالٌ للحاكم الصالح، والراعي الأمين العادل في رعيته.

وبقي أبو فكيهة يسار في مكة يعاني من سيده صفوان ألوان الأذى بسبب إسلامه ورفضه الرجوع إلى الأصنام التي ما يزال صفوان عاكفاً لها، مقيماً على عبادتها.

وفاة زوجها في الهجرة

ولكن دُهيت فكيهة بمصيبة لم تَدُرْ بخلدها، ولم تكن تخطر لها على بالٍ، ذلك أن زوجها حطَّاب حضرته الوفاة قبل أن يصل إلى مهاجره في الحبشة - رحمه الله تعالى - ولم يكن أمام فكيهة خيار غير متابعة الطريق مع بقية المهاجرين، وفوَّضت أمرها إلى الله، وراحت تسترجع، واستعانت بالصبر والصلاة كما أمرها الله تعالى.

ووقف إخوانها وأخواتها في المهجر إلى جانبها، ليخفِفُوا وطأة محنتها، جزاهم الله خيراً.

القرآن أنيس وحدتها

لقد دخلت فكيهة امتحاناً صعباً برحيل زوجها حطّاب، غير أنها اجتازت الامتحان بنجاحٍ كبيرٍ، وتابعت مسيرة حياتها، ووجدت في عبادتها، وتلاوة كتاب ربها لها خير عَزَاءٍ.

كانت تشعر أن الأيام تمرُّ ثقيلةً بطيئةً، ولكن الله لا يتخلَّى عن عباده المؤمنين فأمدَّها بعونه، وشدَّ من أزرها بأخواتها المهاجرات حتى حانت العودة إلى أرض الوطن، وما إن عاد المهاجرون إلى مكة حتى أُعلموا بهجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، فقرَّروا اللحاق به لينعموا بقربه بعد أن طال فراقهم له.

وكان النبي ﷺ قد خرج لفتح خيبر قبل وصولهم إليه، ولما فتحها الله عليه رأى موكبين قادمين نحوه، أما الأول فكان موكب الطفيل بن عمرو الدوسي مع ثمانين بيتاً من دوسٍ أتوه مسلمين، وأما الثاني فكان موكب جعفر بن أبي طالب مع العائدين من الحبشة.

وفي المدينة نسيت فكيهة آلامها وأحزانها بعد أن اتَّخذت لها سكناً مجاوراً لمسجد الحبيب الأعظم ﷺ، وما كان أعظم من سعادتها حين تسمع صوت بلال رضي الله عنه يدعو المؤمنين إلى الصلاة!!.

ولما حضرتها الوفاة لبَّت النداء، رحمها الله رحمةً واسعةً.



69 - السيدة ريطة بنت الحارث

المهاجرة زوجة المهاجر

اسمها ريطة، والدها الحارث بن جبيلة، وزوجها الحارث بن خالد، كانت ريطة وزوجها الحارث بن خالد من السابقين الأولين لدخول الإسلام، وحين تحرَّك ركب المهاجرين إلى الحبشة فراراً بدينهم من نكال قريش وأذاها كان هذان المؤمنان في عدادهم.

ما أشد فراق الوطن!! وما أقساه على أبنائه، إذا أُكرهوا على مغادرته!! ولكنه على كل حال يبقى أيسر من فراق الدين، لقد دخل المهاجرون في دين الإسلام، وذاقوا حلاوة الإيمان، وبعد أن استساغوها قامت قريش تريد أن تردَّهم إلى حنظل الشرك وعلقم الكفر، فكيف يقبلون؟!!.

لذلك اختاروا الغربة والآلام، وآثروها على عبادة الأصنام، بعد أن عرفوا نعمة الإسلام، وتقلَّبوا في ظلاله الوارفة، وقطفوا ثماره اليانعة.

وعلى أرض الحبشة الآمنة عاشت ريطة وزوجها في سعادة وهناء، وأنجبت له موسى وزينب وإبراهيم وعائشة، وأخذت تغرس في نفوسهم مبادىء الدين الحنيف الذي امتنَّ الله به عليها وعلى زوجها وعلى المؤمنين كافة.

وكانت ريطة حسنة التبعُّل لزوجها، وكان الحارث يحسن معاملتها، فكلٌّ منهما أصفى شريكه من المودَّة خالصها، ومن المحبة صرفها، حتى أصبح بيتهما مثلاً يُحتذَى في نشر الوئام في أجواء سائر البيوت، وغرس السعادة بين جدرانها.

ولما تقرَّرت عودة المهاجرين إلى مكة حَزَمت ريطة متاع أسرتها، وجهَّزت حقائبها، ثم انطلقت مع زوجها وأبنائها الأربعة بصحبة قافلة المهاجرين.

وفاتها في طريق هجرتها الثانية

استراح المهاجرون قليلاً في مكة، ثم اتَّخذوا سبيلهم إلى المدينة ليلحقوا برسول الله ﷺ فيها، ويتداركوا ما فاتهم من الخير بقربه خلال وجودهم في مهاجرهم في الحبشة.

وما كانت أسرة الحارث تعلم بما يخبِّئه لها القدر، ولكن مشيئة الله ماضية في عباده حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ففي الطريق إلى المدينة شعر أبناء الحارث وزوجه بالعطش الشديد فنزل بهم على ماء، وشربت ريطة وأولادها الأربعة، ولم يكن الحارث بحاجةٍ إلى الشراب، ولما عاودوا المسير بدأوا يحسُّون بالفتور، ثم خارت قواهم، وأخذوا يتساقطون على الأرض، وإذا ريطة وأبناؤها الأربعة جثثٌ لا حراك بها، لقد كان الماء مسموماً فقتلهم جميعاً، وذُهل الحارث أمام هذا المشهد الأليم، ولم يستطع أن يفعل شيئاً، إنه قضاء الله، وهو خالق الموت والحياة، وله الأمر، وما على عباده إلا الرضا والتسليم.

وفي المدينة روى الحارث مأساته لرسول الله ﷺ فزوَّجه ابنة يزيد بن هاشم، فعوَّضه الله منها ذرية طيبة.

رحم الله ريطة التي ماتت مع أولادها على طريق الهجرة إلى أعظم المهاجرين، ونالت ثوابها من خالقها الذي لا يضيّع مثقال ذرّة، فقد أنزل الله تعالى في أمثالها من المهاجرين: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: 100].



70 - السيدة رملة بنت أبي عوف

سبق إسلامها وزوجها

اسمها رملة، والدها أبو عوف بن صُبيرة، وزوجها المطلب بن أزهر ابن عبد عوف الزهري، وهو ابن عم الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف.

كانت رملة وزوجها المطَّلب وأخو زوجها طُليب بن أزهر رضي الله عنهم من السابقين الأوائل للإسلام، وقد انضووا تحت لوائه وهو لم يزل في أيامه الأولى منذ أشرقت شمسه على جبال مكة ووهادها، وكان إسلامهم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ولما وجدت قريش أن في هذا الدين خطراً عليها، وأنه سينازعها سلطانها، ويطيح بزعامتها، قرَّرت أن تناصبه العداء، وتلقاه بالبغضاء، وجرَّدت لذلك بعض السفهاء، فراحوا يخصُّون المستضعفين من أتباع خاتم المرسلين بالأذى والعذاب المهين، لقد اغترَّت قريش بقوَّتها، وتحدَّتهم ببطشها وسطوتها، دون أن تنظر في عاقبة فعلتها، وكانت عاقبة أمرها خسراً.

وإزاء بغي قريش وإيذائها للمسلمين أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ريثما يقوى الإسلام ويشتدُّ عوده.

هجرتها ووفاة زوجها

وانطلقت رملة وزوجها وأخوه مع قافلة المهاجرين فراراً إلى بلد النجاشي، ليعبدوا الله في أمان، يخلِّصهم من البغي والعدوان، وعلى تلك الأرض الطيِّبة أهدت رملة زوجها الحبيب طفلاً جميلاً سمَّته عبد الله فغمرت الأسرة سعادة عارمة، وفرحة غامرة.

ولكن من سنن الحياة ألَّا يدوم لها صفاء، ولا يستمرَّ فيها هناء، فقد فُجعت رملة بموت زوجها المطَّلب وأخيه، فعكفت على ابنها تربِّيه، وبمبادىء الإسلام تغذِّيه، ورأت أنها خلَّفت وراءها في مكة الهموم والأحزان، فإذا هي تلاحقها في الحبشة، وتقتحم حياتها دون استئذان.

ونظر المهاجرون إلى فداحة مصابها، وعظيم خسارتها، فقرَّروا مدَّ أيديهم لمساعدتها، ولم تألو الصحابيات المهاجرات جهداً إلَّا بذلنه حتى تربِّي طفلها الوحيد، لأن عهدها بتربية الصغار جديد، فهي تجربتها الأولى مع الأطفال، ولا خبرة لها بما يمرُّ بهم من الأحوال.

واحتسبت رملة زوجها الطيب عند الله، وسألته أن يشبهه ابنه عبد الله في وداعته ولطفه، ورقَّته وعطفه.

وبدأ عبد الله ينمو ويكبر، وعاد الأمل بصفاء الحياة في نفس الأرملة يشرق ويظهر، فقد كان عبد الله شديد الشبه بأبيه، لقد أرضعته لبن الإسلام، وزرعت في نفسه بذور الإيمان، فصار يعامل أمه برقَّةٍ وحنان، وكان لها فيه العزاء والسلوان.

ونسيت رملة أحزانها، وظلَّت مواظبة على طاعتها لربها، وبعد عودتها مع المهاجرين إلى المدينة، كانت صوت الأذان يبعث في نفسها الاطمئنان، ولم تلبث أن دعتها السماء، فسرعان ما لبَّت النداء.

رحم الله رملة وزوجها المطَّلب، وتقبلهما بقبولٍ حسنٍ.



71 - السيدة فاطمة بنت الوليد بن عتبة

زوجة حامل القرآن

اسمها فاطمة، والدها الوليد بن عتبة الشقي ابن الشقي عتبة بن ربيعة، زوَّجها عمَّها أبو حذيفة من سالم مولاه، وسالمٌ صحابيٌّ جليل، ومهاجر فاضل، وقد اشتُهر بلقب «حامل القرآن»، وقد بلغ من الفضل درجة جعلته يؤمُّ المهاجرين في الصلاة وفيهم أبو بكر الصدِّيق وعمر بن الخطَّاب - رضي الله عنهما فما أعظم الإسلام الذي جعل الموالي أئمةً لعظماء الرجال!! وحامل القرآن أولى بالإمامة، وأجدر.

كان عتبة بن ربيعة يُعدُّ ولده أبا حذيفة ليخلفه في زعامة قريش، لكن إسلام أبي حذيفة أطاح بأماني أبيه.

وجاء يوم بدر، وكان يوماً على الكافرين عسيراً، ومنح الله به للمسلمين نصراً كبيراً، وكان جبريل عليه السلام على رأس ألف من الملائكة ظهيراً.

وسقطت رؤوس الشرك صرعى على أرض المعركة، وكان من أبرزهم أبو جهل، والوليد بن عتبة والد فاطمة وأبوه عتبة وعمه شيبة.

وبعد توقُّف القتال أمر رسول الله ﷺ برمي قتلى قريش في قليب بدر، وأبصر أبو حذيفة بعض الصحابة يجرُّون أباه قبل إلقائه في البئر، فكأن النبي ﷺ رأى تغيُّر وجهه، فلما كلَّمه في ذلك قال أبو حذيفة بإيمان صادقٍ ويقينٍ قويٍّ: والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مقتله، ولكني كنت أرى له عقلاً، وكنت أرجو أنه سيهديه إلى الإسلام.

نعم كان ذلك مجرَّد رجاء من أبي حذيفة ولكن!! قال الله تعالى: ﴿هَلْ

يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ [النحل: 33].

وعاد سالم وأبو حذيفة بالنصر، وفرحت فاطمة المؤمنة بنصر الله، وما كان لها ولا لأبي حذيفة عمها أن يحزنا على أعداء الله والدين، وإن كانوا من الأقربين.

شدة طاعتها لرسول الله ﷺ

وكانت فاطمة بنت الوليد رضي الله عنها تتدبر كتاب الله، وتلتزم بأوامر رسول الله ﷺ، فقد شوهدت بالشام تلبس جبة الخز ثم تأتزر، فقيل لها: أما يغنيك هذا عن الإزار؟ فردَّت قائلة: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بالإزار، فهنيئاً لك طاعتك والتزامك يا بنت الوليد.

وظل أبو حذيفة وسالم يلازمان رسول الله ﷺ في جهاده وغزواته حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، وخلفه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه فما انفكَّا على عهده مقيمين.

ولما ارتدَّ بعض المسلمين، ما كان الصديق ليذر المرتدين على ما هم عليه، حتى جيَّش الجيوش لمحاربتهم، فأرسل خالد بن الوليد إلى اليمامة لقطع دابر مسيلمة الكذَّاب، وخرج في ذلك الجيش سالم وأبو حذيفة وعدد من الصحابة الكرام كزيد بن الخطاب، وعبد الله بن عمر، والبراء بن مالك، وثابت بن قيس.

ولما نُظر في القتلى كان أبو حذيفة وسالم يبتسمان لأنهما أدَّيا واجبهما كما يرام، واعتدَّت فاطمة، ولما أنهت عدَّتها خطبها الحارث بن هشام فتزوَّجته، وبقيت عنده حتى وافتها المنية، رحمها الله تعالى.



72 - السيدة أم ذر

زوجة الوفيّ الصادق

أمُ ذرٍّ رضي الله عنهما زوج الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، واسمه جندب بن جنادة، كانت قبيلته تقطع على الناس طريقهم، فتسلبهم حيناً أموالهم، وأحياناً أرواحهم.

روى البخاري قصة إسلام أبي ذر عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبيِّ ﷺ قَالَ لأخيهِ، ارْكَبْ إلى هَذَا الْوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنْ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتني، فانْطَلَقَ الأخ حتَّى قَدمِهِ، وَسَمِعَ مِنَ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إلى أبي ذَرٍّ، فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأخلاقِ وكلاماً ما هُوَ بِالشِّعْرِ، فَقَالَ: ما شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ، فَتَزَوَّدَ وحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قدِمَ مَكَّة، فأَتى الْمَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبيَّ ﷺ ولا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَاضطَجَعَ، فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَف أَنَّه غريبٌ فَلمَّا رَآهُ تَبعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنهُمَا صاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ.

ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إلى الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلْكَ الْيَوْمَ وَلا يَراهُ النَّبيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إلى مَضْجَعِهِ، فَمرَّ بِهِ عَلِيٌّ رضي الله عنه فقال: أَمَا نَالَ للرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَب بِهِ مَعَهُ لا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ.

حَتَّى إذا كان يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَقَام مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: ألا تُحَدِّثُني ما الَّذي أَقْدَمَكَ؟ قال: إن أَعْطَيْتَنِي عَهْداً وَمِيثاقاً لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ، فأَخْبَرَهُ، قَالَ: «فإنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ الله ﷺ، فَإذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي،

فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئاً أخافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدخَلِي، فَفَعَل فَانطَلَقَ يَقْفُوهُ.

حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **ارجعْ إلى قوْمِكَ، فَأَخبِرْهُمْ حتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي»** قال: والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ.

فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ، حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأتى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ قَالَ: ويْلَكُمْ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارِ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّأم؟!! فَأَنْقَذَهُ مِنهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَد لِمِثْلِهَا، فَضَربُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ[1].

وعاد أبو ذر إلى قومه بإسلامه، فأخبر زوجته أم ذر بما حدث معه في مكة، فما تردَّدت في متابعته، وأعلنت إسلامها.

محبة النبي ﷺ لهما

وأحب رسول الله ﷺ أبا ذر فقرَّبه وأدنا، حَدَّثَ أَبُو زُمَيْلٍ – هُوَ سِمَاكُ بْنُ الْوَلِيدِ الْحَنَفِيُّ – عَنْ مَالِك بْنِ مَرْثَدٍ، عَن أبيهِ، عَنْ أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رَسُولُ الله ﷺ: **«ما أظلَّتْ الْخَضْرَاءُ، ولا أَقَلَّتْ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلا أَوْفَى مِنْ أَبي ذَرٍّ، شِبْهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام»** فَقَالَ عمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَالْحَاسِدِ: يَا رَسُولَ الله، أَفَنَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، فَاعْرِفُوهُ لَهُ»**، قال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقَدْ رَوى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: **«أَبُو ذَرٍّ يَمْشِي فِي الأَرْضِ بِزُهْدِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام»**[2].

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: المناقب/ باب: إسلام أبي ذر الغفاري/ برقم: (3572).

(2) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: مناقب أبي ذر الغفاري/ برقم: (3738).

كان أبو ذرٍّ صادقاً في ظاهره وفي باطنه وفي عقيدته، ولم يكن يحب الصدق الصامت، بل كان يريد الجهر به، لأن الصدق موالاة للحق، وتعبيرٌ عنه، فلا ينبغي له أن يستتر.

وقد حمل أبو ذرٍّ من رسول الله ﷺ وصيَّةً رائعة، وكان أبو ذر خير متبع لكتاب الله عز وجل، ولسنة مصطفاه ﷺ، وقد سأله ذات يوم رَسُولُ الله ﷺ: **«كَيفَ أَنْتُمْ وَأَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذَا الفَيْءِ؟»** قال: إِذَنْ وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ أَضَعُ سَيْفِي عَلَى عَاتِقِي، ثُمَّ أَضْرِبُ بِه حَتَّى أَلْقَاكَ أو أَلْحَقَكَ قَال ﷺ: **«أَوَ لا أَدُلُّكَ عَلَى خَيرٍ مِنْ ذَلِكَ تَصْبِرُ حَتَّى تَلْقَانِي»**[1].

ووعى أبو ذرٍّ وصاة رسول الله ﷺ فأغمد سيفه، ولكنه لم يحبس لسانه عن قول الحق، ومحاربة الباطل.

صبرها على الزهد والوحدة:

كانت أُمُّ ذَرٍّ وأبو ذرٍّ قد اختارا الكفاف لحياتهما، ولما حانت ساعة الرحيل وبَدَا أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ بِالرَّبَذَةِ بَكَتْ أُمُّ ذَرٍّ، فَقَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: أَبْكِي لا يَدَ لي بِنَفْسِكَ، وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسَعُكَ كَفَناً، فَقَالَ: لا تَبْكِي فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ يَقُولُ: **«لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنكمْ بفَلاة مِنَ الأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنينَ»**، فَكُلُّ مَنْ كَانَ مَعِي فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَاتَ فِي جَمَاعَةٍ وَفُرْقَةٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرِي، وَقَدْ أَصْبَحْتُ بِالْفَلاةِ أَمُوتُ، فَرَاقِبِي الطَّرِيق فَإِنَّكِ سَوْفَ تَرَيْنَ مَا أَقُولُ، فَإِنِّي واللهِ مَا كَذَبْتُ وَلا كُذِبْتُ قَالَتْ: وَأَنَّى ذَلِكَ وَقَدْ انْقَطَعَ الْحَاجُّ؟ قال: راقِبي الطَّرِيق.

قَالَ: فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إذا هِيَ بِالْقَوْمِ تَخُدُّ بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ كَأَنَّهُمْ الرَّخَمُ،

---

(1) رواه: أبو داود / كتاب: السنة/ باب: في قتل الخوارج/ برقم: (4132).

فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهَا، فَقَالُوا: مَا لَكِ؟ قَالَتْ: امْرُؤٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تُكَفِّنُونَهُ، وَتُؤْجَرُونَ فيهِ، قَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَتْ: أبو ذَرٍّ، فَفَدَوْهُ بَآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَوضَعُوا سِيَاطَهُمْ فِي نُحُورِهَا يَبْتَدِرُونَهُ، فَقَالَ: أَبْشِرُوا أَنْتُمْ النَّفَرُ الَّذين قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِيكُمْ مَا قَالَ، أَبْشِرُوا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«مَا مِنْ امْرأَيْنَ مُسْلِمَيْنِ هَلَكَ بَيْنَهُمَا وَلَدَان أَوْ ثَلاثَةٌ فَاحْتَسَبَا وَصَبَرَا فَيَرَيَانِ النَّارَ أَبَداً»**، ثُمَّ قَدْ أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ حَيْثُ تَرَوْنَ وَلَوْ أَنَّ ثَوْباً مِنْ ثِيَابِي يَسَعُنِي لَمْ أُكَفَّنْ إلا فِيهِ، فَأَنْشُدُكُمْ الله أَنْ لا يُكَفِّنَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيراً أَوْ عَرِيفاً أو بَرِيداً.

فَكُلُّ الْقَوْمِ كَانَ قَدْ نَالَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً إلا فَتًى مِنَ الأنصارِ كَانَ مَعَ الْقَوْمِ، قَالَ: «أنا صَاحِبُكَ ثَوْبَانِ في عَيْبَتِي مِنْ غَزْلِ أُمِّي وأَجِدُ ثَوْبَيَّ هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَيَّ» قَالَ: «أَنْتَ صَاحِبِي فَكَفِّنِّي» فَكَفَّنَهُ[1].

وفي رواية أن أم ذر وقفت بجثته على الطريق كما أوصاها فمرَّ بها عبد الله بن مسعود مع بعض المؤمنين، فلما عرفه بكى، وقال: صدق رسول الله ﷺ حين قال: **«تَمْشِي وَحْدَكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ»**، ثم واروه التراب.

رحم الله أبا ذرٍّ وأم ذرٍّ، لقد جاءا إلى الدنيا زاهدين وغادراها دون أن تتمكَّن منهما.



(1) رواه: أحمد/كتاب: مسند الأنصار/باب: حديث أبي ذر الغفاري/برقم: (20409).

73 - السيدة أم رعلة

بلاغتها ورشاد عقلها

أم رعلة واحدة من شواعر العرب المجيدات، ملكت ناصية البيان، وأوتيت فصاحةً في اللسان، كانت ذات ذكاءٍ نادرٍ، وبيانٍ ساحرٍ إذا تكلَّمت دخل كلامها القلوب قبل الآذان، دون حاجةٍ إلى استئذان، وشعرها مهيِّجٌ للمشاعر، وآسرٌ للخواطر، يحسبه السامع كأنه تغريد، فيهتف لها: هل من مزيد؟!!.

وأحسب أن ذلك من رهافة الإحساس التي يتفاضل فيها الناس - وهو قَبْلُ - من فضل الله على عباده، ومِنَّتُهُ يُفيض بها على من يشاء من حكمته، القائل في كتابه المبين المنزل على نبيِّه المبعوث رحمةً للعالمين: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: 269].

وقال أيضاً: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: 20].

وقد وفدت أم رعلة على رسول الله ﷺ في نفرٍ من قومها، فلما دخلوا عليه بادرت أم رعلة بتحية رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليها رسول الله ﷺ السلام، ثم قالت: يا رسول الله، إنا ذوات الخدور، ومحل أزر البعول، ومنبتات الأولاد، ولا حظ[1] لنا في الجيش، فعلِّمنا شيئاً يقرِّبنا إلى الله عزَّ وجلَّ، ويمنحنا الأجر والثواب.

---

(1) لا حظَّ لنا: أي لا نصيب لنا.

فلما سمع النبي ﷺ جميل كلامها، وحسن منطقها، وبراعة تحليلها، ردَّ عليها بقوله: «**عَلَيْكُنَّ بِذِكْرِ الله آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَغَضِّ البَصَرِ، وَخَفْضِ الصَّوْتِ**».

إنها موعظةٌ حسنةٌ كسائر مواعظه ﷺ، فذكر الله أول الخير، وآخر الخير، وكلُّ الخير، والخير كله فيه، ومن ابتغى الخير في غيره فما هو بملاقيه.

وأما غضُّ البصر، ففيه كفٌّ للنفس عن الشهوات، وتطهير لها من الخطايا والموبقات، وتجنيبها ركوب المحرَّمات، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: 30].

وأما خفض الصوت، فالله لا يريد مناداته بصوتٍ عالٍ، لأنه يسمع دبيب النملة في باطن الأرض، وفي رؤوس الجبال، وخفض الصوت عند رسول الله ﷺ دليلٌ على التقوى، وموجبٌ للمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: 2–3]، ومن ذا الذي لا يريد أن يُغفر له، وأن يكون من المتَّقين؟.

ورعها

ثم قالت أم رعلة: يا رسول الله، إني امرأةٌ مقيِّنة، أُقيِّنُ النساء، وأزيِّنهنَّ لأزواجهنَّ، فهل هو حَوْبٌ[1] فأثبط عنه؟ فقال: «**يا أُمَّ رَعْلَةَ قَيِّنِيهِنَّ وَزَيِّنِيهِنَّ إذَا كَسَدْنَ**».

---

(1) الحَوْب: الإثم والذنب.

ولما توفِّي رسول الله ﷺ بكته بكاءً مرّاً، وأخذت تطوف المدينة باكية حزينة، وهي تقول:

يَا دَار فَاطِمَةَ المَعْمُورَ سَاحَتَها هَيَّجْتِ لي حُزْناً حُيِّيْتِ مِنْ دَارِ

فانقلبت المدينة إلى مأتم، ولم يبقَ فيها دارٌ من دور الأنصار إلاَّ وأصحابها في بكاءٍ ونحيبٍ لفقدَ أغلى حبيبٍ.

رحم الله أم رعلة المؤمنة الوفيَّة، وأحسن نزلها، ورضي عنها، وجعل مقامها في دار الخلود مع المتقين الأبرار.



74 - السيدة أم إسحاق

إسلامها وأخيها

كانت أم إسحاق الغنوية تقيم في مكة مع أخيها، ولما أشرقت شمس الإسلام، وانطلقت شعاعاتها من دار الأرقم بن أبي الأرقم فدخلت من خصاصات أبواب بيوتها، واستقرَّت في قلوب سكَّانها إلاَّ من أبي، وحال دون دخولها إلى بيته تكبُّراً عناداً، وعلوّاً في الأرض وفساداً، لا يريد بعده رشاداً.

لكن أم إسحاق الغنوية ما إن سمعت بنور الإسلام المبين، حتى أشرعت أمامه الأبواب والنوافذ، وفتحت له كلَّ المنافذ، فاحتلَّ قلبها على عجل، وانتزع منه الخوف والوجل، وسألت ربها الثبات عليه حتى يوافيها الأجل.

وتابعها أخوها فيما بلغها عن هذا الدين، وكان لها نعم النصير والمعين، وساء أم إسحاق أن يقف زوجها مع المعارضين، ويقيم على شركه بين المشركين، وأخذ يهدِّدها ويهدِّد أخاها، ويتوعَّد من ساندها في مبتغاها.

ولذلك فقد اتَّفقت أم إسحاق مع أخيها على الهجرة إلى المدينة في غفلةٍ من زوجها، فلما جاوزا بعض الطريق، التفت أخوها إليها وقال: انتظريني هنا يا أم إسحاق، فقد نسيت مالي بمكة، وسأرجع حتى آتي به، ثم أعود إليك، وأبدت له أم إسحاق قلقها عليه من زوجها الفاسق، لكنه طمأنها بأن سيعود سريعاً.

ومرَّ على أم إسحاق زمنٌ أطول مما يحتاجه أخوها، وفيما هي تفكِّر بما جرى له عرفها أحد المسافرين، فدنا منها وقال لها: ما الذي تنتظرين هنا

يا أم إسحاق؟ فقالت: إني أنتظر أخي، فقال لها: إن أخاك لن يجد إلى الرجوع إليك سبيلاً، بعد أن خلَّفه زوجك قتيلاً.

بركة النبي ﷺ تصيبها

وصعقت أم إسحاق لهذا الخبر، واضطرت إلى متابعة السفر، ولما وصلت المدينة سألت عن رسول الله ﷺ، وحين أقبلت عليه كان ﷺ يتوضَّأ، فأخذت تحدِّثه بما جرى لها ولأخيها وهي تبكي، فنضح ﷺ ماء يده في وجهها، فأصبحت إذا بكت تبقى الدموع في وجهها ولا تسيل على خدَّها.

كانت أم إسحاق تكثر زيارة رسول الله ﷺ وكان هو يكرمها ويحسن إليها في هذه الزيارات، حَدَّث عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشَّارُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ: حَدَّثَتْني أُمُّ حكيم بِنْتُ دِينَارٍ، عَنْ مَوْلاتِهَا أُمِّ إِسْحَاقَ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَأُتِيَ بِقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ فَأَكَلَتْ مَعَهُ وَمَعَهُ ذُو الْيَدَيْنِ فَنَاوَلَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَرْقاً فَقَال: **«يَا أُمَّ إِسْحَاقَ، أَصِيبِي مِنْ هَذَا»** فَذَكَرْتُ أَنِّي كُنْتُ صَائِمَةً، فَرَددْتُ يَدِي لا أُقَدِّمُهَا وَلا أُؤَخِّرُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا لَكِ؟»** قَالَتْ: كُنْتُ صَائِمَةً، فَنَسِيتُ، فَقَالَ ذُو الْيَدَيْنِ: الآن؟ بَعْدَما شَبِعْتِ!! فَقَال النَّبِيُّ ﷺ: **«أَتِمِّي صَوْمَكِ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ الله إِلَيْكِ»**[1].

رحم الله أم إسحاق فقد أخبرتنا بهذا الحديث أن الصائم إذا أكل ناسياً لا يفسد صومه، ويواصل الصيام بقية اليوم ولا شيء عليه من الكفَّارة أو القضاء.



(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم إسحاق مولاة أم حكيم/ برقم: (25822).

75 - السيدة فاطمة بنت الخطَّاب

إسلامها وأثرها في إسلام عمر

اسمها فاطمة، والدها الخطَّاب بن نُفَيْل، وأخوها عمر بن الخطَّاب ﵁، وزوجها سعيد بن زيد ﵁ أحد العشرة المبشَّرين بالجنة.

أسلمت فاطمة وزوجها سعيد مبكِّرين، وكان خبَّاب بن الأرتِّ ﵁ يأتيهما في بيتهما ليعلِّمها القرآن ويتلو عليهما كتاب الله، ويعلمهما أحكام الدين، وكان الثلاثة سبباً في إسلام عمر ﵁.

ففي ذات يوم أراد عمر الفتك برسول الله ﷺ فتقلَّد سيفه، ومضى يبحث عنه ﷺ، فلقيه نعيم بن عبد الله، فسأله عن وجهته فأخبره أنه يريد قتل الصابىء الذي فرَّق أمر قريش، فقال له نعيم: الأولى بك أن ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ فقال عمر: ومن تقصد من أهل بيتي؟ قال: أختك فاطمة وزوجها سعيد لقد أسلما وتبعا دين محمد فعليك بهما، وغيَّر عمر وجهته وانطلق يعدو إلى بيت أخته فاطمة وزوجها سعيد.

وكان خبّاب يقرأ على سعيد وفاطمة سورة طه، وأنصت عمر من وراء الباب فسمع هينمةً لم يفهم شيئاً منهما ولما طرق عليهم الباب اختبأ خبَّاب في ركنٍ من الدار، ثم فُتح الباب لعمر حتى إذا دخل والشرر يقدح من عينيه، وقال: ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالا: ما سمعت شيئاً، فالتفت إلى سعيد وبطش به، وألقاه أرضاً، فلما أرادت فاطمة كفَّه عن زوجها لطمها على وجهها فسال منه الدم، وعندها قالت له: لقد أسلمت، فافعل ما بدا لك.

وحين رأى ما حلَّ بأخته ندم على ما فعل، وقال لها: أعطني الصحيفة لأقرأ ما فيها، فطلبت منه أن يتطهَّر حتى يمكنه إمساكها ففعل، وبعد أن قرأ مطلع سورة طه قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!.

وهنا خرج خبَّاب من مكمنه، وقال: أرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيه، فقد سمعته يدعو قائلاً: «**اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلاَمَ بِأَبِي الحَكَم بْنِ هِشَامٍ، أو بعُمَرَ بْن الخَطَّابِ**»، فالله، الله يا عمر، فسأله عمر أن يدلَّه على مكان رسول الله ﷺ حتى يأتيه فيُسْلِمَ، حتى إذا دلَّه عليه انطلق مسرعاً إلى دار الأرقم.

واستأذن بالدخول، فأذن له النبي ﷺ فلما دخل أمسك رسول الله ﷺ بمجمع ردائه ثم جذبه بشدة وقال: «**ما جاءَ بِكَ يَا ابْنَ الخَطَّاب؟ فَوَاللهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِي حَتَّى يُنْزِلَ الله بِكَ قَارِعَةً**[1] **شَدِيدَةً**» فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأؤمن بالله وبرسوله، وبما جاء به من عند الله تعالى!، فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت منها أنَّ عمر قد أسلم.

وسأل عمر النبي ﷺ: يا رسول الله! ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟ فقال ﷺ: «**بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ عَلَى الحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وإِنْ حَيِيتُمْ**»، قال: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق نبياً لَتَخْرُجَنَّ!.

وخرج رسول الله ﷺ في صَفَّيْنِ من أصحابه، وكان في مقدِّمة الصف الأول عمه حمزة بن عبد المطلب، وفي مقدِّمة الصف الثاني عمر بن الخطاب، ومن يومها أصبح الإسلام عزيزاً.

رحم الله فاطمة بنت الخطَّاب، فقد بذلت بعض دمها من أجل أن تعلو راية الإسلام خفَّاقة.



(1) قارعة: مصيبة.

٧٦ - السيدة فاطمة بنت صفوان

سبق إسلامها وزوجها

اسمها فاطمة، والدها صفوان بن أُميَّة بن خلف، وزوجها عمرو بن سعيد بن العاص، كان إسلام فاطمة وزوجها مبكِّراً في مكة ولقيا من عَنَتِ قريش واضطهادها نصيباً موفوراً.

وحين اشتدَّت قريش في بغيها وعدوانها على أتباع رسول الله ﷺ أذن لهم ﷺ بالهجرة إلى بلاد الحبشة، ففيها النجاشيُّ الملك العادل الذي لا يُظلم على أرضه أحدٌ، وذلك ليعبدوا الله آمنين دون أو يُؤْذَوا في دينهم حتى يأتيهم من الله الفرج، وكان خروج فاطمة وزوجها إلى الحبشة في الهجرة الثانية.

وعانت فاطمة وعمرو من وطأة الحصار الذي فرضته قريش على المسلمين وغيرهم من المشركين بعد أن انحازوا إلى شِعب أبي طالب، حيث منعتهم الطعام والشراب، وحرمتهم من حقِّهم في النكاح منهم وإليهم، واضطروهم إلى أكل ورق الشجر حتى تقرَّحت أشداقهم، غير أن بعض أهل المروءة عزَّ عليهم الأكل والشراب والنكاح وبعض أهاليهم وذوو الأرحام منهم محرومون من كلِّ ذلك، فَسَرَّبُوا إليهم في عتمة الليل شيئاً من الطعام والماء يمكِّنهم من مواصلة العيش واستمرار الحياة.

كفر جدها وكيده للمسلمين

كان والد صفوان ويُدعى أُميَّة بن خلف واحداً من سفهاء قريش وأكابر مجرميها الذين تفنَّنوا في تعذيب المؤمنين، وأذاقوهم أمرَّ الآلام، وكان من أبرز معذَّبيه بلال بن رباح الحبشيُّ، فقد كان مولاه أُميَّة يُخرجه في الحرِّ

الشديد إلى الصحراء، ويعرِّيه من ثيابه ثم يضجعه على الرمال الملتهبة، وربما أكرمه ببعض السياط يُلهب بها جسده، أو يجيء بالصخرة الكبيرة فيضعها على صدره حتى يكفر بمحمد، غير أن بلالاً رضي الله عنه أتعب جلاَّديه، وأدهشهم من فرط احتماله للعذاب، وكان أغيظ ما يغيظ به مولاه أُميَّة لحنه الخالد: «أحَدٌ، أحَدٌ» لقد كانت هذه الكلمة تثير جنون أُميَّة وتدفعه إلى مضاعفة عذاب بلال.

واستمرَّ بلال صامداً على إيمانه حتى قيَّض الله له أبا بكرِ الصِّدِّيق رضي الله عنه فاشتراه وأعتقه.

ويوم بدر ظفر بلال بسيده أُميَّة وسيفه يقطر من دماء المسلمين، فهُرع إليه مع بعض أصحابه، ومزَّقوا جسد عدو الله بأسيافهم، وتابع صفوان بن أُميَّة مسيرة والده في الكيد للإسلام والتنكيل بالمسلمين، لكنَّه تدارك وأسلم يوم حنين، وتألَّف رسول الله ﷺ قلبه فأعطاه وادياً مليئاً بالأنعام، وحسُن إسلامه بعد ذلك.

وفاتها في الحبشة

وعاشت فاطمة بنت صفوان وزوجها عمرو بن سعيد على أرض الحبشة في أحسن جوار بعد أن آمن النجاشي، ودخل في الإسلام وصار لهم أخاً وسنداً.

ولكن لم تكن فاطمة تدري أن الحبشة نهاية المطاف، فقد وافتها المنية، وعاد زوجها عمرو إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ الفتح وحنيناً والطائف وتبوك، حتى خرج إلى أجنادين مع عمرو بن العاص فقُتل هناك شهيداً.

رحم الله فاطمة بنت صفوان وزوجها عمرو بن سعيد فقد كانا من الأوفياء بعهد الإسلام، وحشرهما مع خير الأنام، عليه الصلاة والسلام.



77 - السيدة جدامة بنت جندل

سبق إسلامها وزوجها

كانت جدامة بنت جندل من بني غَنْم بن وردان بن أسد، فهي أسدية، وزوجها أنيس بن قتادة بن ربيعة.

أسلمت جدامة وزوجها بمكة قديماً، وكان قومها حلفاء لبني أُميَّة، وقد تحمَّل الزوجان المؤمنان قدراً وافياً من اضطهاد قريش للمسلمين، دون أن يحيد ذلك بهما عن إيمانهما الراسخ، وإسلامهما المتين.

ولما كانت الهجرة إلى المدينة خرج بنو غَنْم برجالهم ونسائهم وأطفالهم مهاجرين إلى الله ورسوله ﷺ، وفيهم كانت جدامة وحليلها أنيس رضي الله عنه.

وقد تركوا ديارهم في مكة خاوية على عروشها، تزأر فيها الرياح، حتى ترتفع راية الإسلام ويكون الدين كله لله الكبير، وشهدت جدامة وزوجها الاستقبال العظيم الذي استُقبل فيه رسول الله ﷺ.

وبعد أن استقرَّ المهاجرون في المدينة تنادوا إلى تلبية أمر رسول الله ﷺ لبناء مسجده الشريف في المدينة والحجرات الملحقة به لسكن أمهات المؤمنين رضوان الله عليهنَّ.

روايتها الحديث

كانت جدامة وزوجها أنيس مجتهدين في عبادتهما، وقد استطاعت جدامة أن تتَّخذ لها مكاناً بين رواة حديث النبي ﷺ حتى إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت عن جدامة بنت جندل عن رسول الله ﷺ الحديث المتعلِّق بالغيلة.

حَدَّثَ خَلَفُ بْنُ هِشام، حَدَّثنا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى - واللَّفْظُ لَهُ - قَالَ: قَرأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عن جُدَامَة بِنْتِ وَهْب الأَسَدِيَّةِ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلا يَضُرُّ أَوْلاَدَهُمْ**»[1].

وهكذا أصبح لجدامة في الإسلام قدْرٌ ومكانٌ، ورفعةٌ بلَّغها إياها الإيمان، ومنزلة أوصلها إليها العلم لا السلطان.

مشاركة زوجها في الجهاد واستشهاده

وكان زوجها أنيس لا يتخلَّف عن مشاهد النبي ﷺ وغزواته، وكانت البداية يوم خرج مع جند الله إلى بدر لمجاهدة قريش، وسُعِدَ أنيس برؤية رؤوس الشرك تهوي على أرض بدر، فها هنا جثة أبي جهلٍ فرعون الأمة وقد فصل الرأس عنها عبد الله بن مسعود وحمله إلى رسول الله ﷺ، فحمد الله حين رآه بين يديه، وهناك جثَّة أُميَّة بن خلف قد مزَّقتها السيوف ثأراً لبلال الذي أذاقه ألوان العذاب، وآخرون قد نكَّلوا بالمسلمين نكالاً شديداً، وفرح المؤمنون بنصر الله، وكان يوماً على المشركين عسيراً.

وعاد أنيس بالنصر إلى جدامة، وراح يسرد على مسامعها طرفاً من بطولات إخوانه، وعزمت قريش على الثأر، وكان الموعد في أُحُدٍ.

وخرج أنيس إلى أُحُد لأداء واجبه، واتّخذ الله شهداء من المؤمنين كان زوج جدامة بينهم، وصبرت الأرملة المؤمنة، واحتسبته عند الله، وظلَّت وفيَّة على عهدها حتى وافتها المنيَّة، ولحقت ببطلها الشهيد، رحمهما الله تعالى.

---

(1) رواه: مسلم/كتاب: النكاح/باب: جواز الغيلة، وهو وطء المرضع وكراهة العزل/ برقم: (2612)، وذكره ابن سعد في طبقاته (8/ 244)، والغيلة: أن يجامع الرجل زوجته وهي ترضع.

78 - السيدة زينب بنت أبي سلمة

ولادتها من أبوين مسلمين

اسمها برَّة، والدها أبو سلمة بن عبد الأسد، والدتها أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أُميَّة زوج رسول الله ﷺ، هاجر أبواها إلى الحبشة، فوضعتها أمها هناك.

غيَّر نبي الله ﷺ اسمها، فسمَّاها زينب، وكانت أم سلمة راوية حديث الهجرة إلى الحبشة.

ولما عادت أم سلمة مع زوجها أبي سلمة من الحبشة هاجرا إلى المدينة، وقد أنجبت أم سلمة لأبي سلمة أربعة أبناء، غلامين، هما: سَلَمَة، وعمر؛ وجاريتين، هما: درَّة، وزينب (برّة).

وشهد أبو سلمة مع رسول الله ﷺ بدراً وأُحُداً، ورُمي بسهم في عضده فمكث يداويه شهراً، ثم برأ الجرح؛ وبعثه رسول الله ﷺ علىَ رأس مئةٍ وخمسين رجلاً إلى جبل قَطَنٍ فغاب تسعةً وعشرين يوماً، فانتقض جرحه فمات.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْماعيل أَخْبَرَنِي سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ عَنِ ابْنِ سَفِينَةَ عَنْ أُمِّ سلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصيبُهُ مُصيبَةٌ فَيَقُولُ ما أَمَرَهُ الله: إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ اجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لي خَيْراً مِنْهَا إلا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْراً مِنْهَا**».

قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أبو سَلَمَة رضي الله عنه قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلمينَ خَيْرٌ من أبي

سَلَمَة؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إلى رَسُولِ الله، ثُمَّ إنَّ الله عَزَمَ لي فَقُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ.

قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ حَاطِبَ بْنَ أبي بَلْتَعَة رضي الله عنه يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إنَّ لي بِنْتاً، وأنا غَيُورٌ، فَقَالَ ﷺ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو الله أنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو الله أنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَة**»[1].

وبعد أن تزوَّجها رسول الله ﷺ دخلت زينب ابنتها على رسول الله ﷺ وهو يغتسل فنضح في وجهها الماء، فلم يزل ماء الشباب في وجهها رضي الله عنها حتى كبرت وعجزت.

قال العطَّاف: قالت أمي: فرأيت وجه زينب وهي عجوزٌ كبيرة، ما نقص من وجهها شيءٌ.

ولما أصبحت زينب في سن الزواج خطبها عبد الله بن زمعة الأسود الأسدي وتزوَّجها وولدت له.

رشاد عقلها وفقهها

كانت زينب رضي الله عنها عاقلة لبيبة، ومن أفقه نساء زمانها كما يقول ابن الأثير - رحمه الله تعالى -.

وروي عن الحسن، قال: لمَّا كان يوم الحرَّة، وقُتل أهل المدينة، فكان فيمن قُتل ابنا زينب ربيبة رسول الله ﷺ، فحُملا ووُضعا بين يديها مقتولين.

فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله إن المصيبة عليَّ فيهما لكبيرة، وهي عليَّ في هذا أكبر منها في هذا؛ أما هذا فجلس في بيته فكفَّ يده، فدُخل عليه، فقُتل مظلوماً، وأنا أرجو له الجنة؛ وأما هذا فبسط يده، فقاتل حتى قُتل، فلا أدري على ما هو ذلك؛ فالمصيبة به عليَّ أعظم منها في هذا.

---

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجنائز/ باب: ما يقال عند المصيبة/ برقم: (1525).

يقول أبو رافع الصائغ: كنتُ إذا ذكرتُ امرأةً فقيهةً بالمدينة ذكرتُ زينب بنت أبي سلمة.

ولا غَرْوَ في ذلك، أليست ربيبة المعلِّم الأعظم ﷺ؟!! رحمها الله، وأحسن قبولها.



79 - السيدة أُمامة بنت أبي العاص

جدُّها سيد الخلق ﷺ

اسمها أُمامة، والدها أبو العاص بن الربيع، والدتها زينب بنت رسول الله ﷺ، جدتها لأمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها وجدتها لأبيها هالة بنت خويلد خالة أمها، وكفاها شرفاً أن يكون جدها سيد الخلق ﷺ

وكانت أُمامة حبيبة جدها، حتى إنه كان يحملها في الصلاة، فإذا ركع أو سجد تركها، وإذا قام حملها.

وها هي ذي أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها تبدي لنا جانباً من حب رسول الله ﷺ لأُمامة فيما رواه أحمد عَنْ عَلِيِّ بن زَيْدٍ، عَنْ أُمِّ مُحَمَّدٍ، عَنْ عائِشَةَ أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ هَدِيَّةٌ فِيهَا قِلادَةٌ مِنْ جَزْعٍ، فَقَالَ: «**لأَدْفَعَنَّهَا إلى أحبِّ أَهْلِي إِلَيَّ**» فَقَالَتْ النِّسَاءُ: ذَهَبَتْ بِهَا ابْنَةُ أَبِي قُحَافَةَ! فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ فَعَلَّقَهَا فِي عُنُقِهَا[1] فنعم المُقَلِّدُ والمُقَلَّدُ!!.

وفاة أمها وأبيها

ولما كانت السنة الثامنة للهجرة فُجعت أُمامة برحيل أمها زينب رضي الله عنها فبكتها بكاءً مرّاً، وحزنت عليها أشد الحزن.

وكان أبوها أبو العاص بن الربيع برّاً بها رحيماً، وقد ازداد عطفه عليها بعد وفاة والدتها، ثم ما لبث أن لحق بها في السنة الثانية عشرة للهجرة.

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث السيدة عائشة. رضي الله عنها./ برقم: (23563).

وقيل: إن خالتها فاطمة الزهراء لما حضرتها الوفاة أوصت زوجها علياً أن يتزوَّج من أُمامة ابنة أختها، ونفَّذَ أبو الحسنين وصية فاطمة ﵂ بعد وفاتها، وقد تمَّ الزواج في خلافة عمر بن الخطاب ﵁، وكان أبو العاص قد أوصى بأُمامة ابن خاله الزبير بن العوَّام ﵁ فتولَّى تزويجها من علي ﵁، وبقيت حتى طعنه عبد الرحمن بن ملجم سنة أربعين للهجرة.

وكانت الفاجعة ثقيلة على أمامة، وقبل أن يجود أمير المؤمنين بأنفاسه قال لأُمامة: إن كان لك في الرجال حاجةٌ فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيراً.

فلما مات علي ﵁ اعتدَّت أُمامة، حتى إذا حلَّت تزوَّجها المغيرة، وبقيت عنده حتى توفِّيت في خلافة معاوية.

وقال ابن جرير الطبري في تاريخه: إن أُمامة خلَّفت لعليٍّ ابنه محمداً الأوسط.

وقد رثت أروى بنت الحارث علياً، فقالت وأجادت:

أَلَا يَا عَيْنُ وَيْحَكِ أَسْعِدِيْنَا ... أَلاَ تَبْكِي أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَا؟
يُقِيْمُ الدِّيْنَ لا يَرْتَابُ فِيْهِ ... وَيقْضي بالفَرَائِضِ مُسْتَبِيْنَا
أَشَابَ ذُؤابَتِي وَأَطَالَ حُزْنِي ... أُمَامَةُ حِيْنَ فَارَقَتِ القَرِيْنَا
تَطُوفُ بِه لِحَاجَتِهَا إِلَيْهِ ... فَلَمَّا اسْتَيْأَسَتْ رَفَعَتْ رَنِيْنَا
وَعَبْرَةُ أُمِّ كُلْثُومٍ إِلَيْهَا ... تُجَاوِبُهَا وَقَدْ رَأَتِ اليَقِيْنَا
ولَا واللهِ لا أَنْسَى عَلَيّاً ... وحُسْنَ صَلاَتِهِ فِي الرَّاكِعِيْنَا

رحم الله أُمامة، وبلَّغها دار المقامة.

80 - السيدة أم هانىء بنت أبي طالب

قرابتها من النبي ﷺ

اسمها فاختة، والدها عم النبي ﷺ أبو طالب بن عبد المطلب، والدتها فاطمة بنت أسد، وإخوتها طالب، وجعفر، وعقيل، وعلي، وأختاها جمانة، وريطة، وقد دخلت أم هانىء واحة الإسلام مع أمها وإخوتها وأخواتها.

ويوم فتح مكة دخل رسول الله ﷺ بيت فاختة ابنة عمه فاغتسل وصلّى صلاة الفتح، وروت أم هانىء كيفية صلاته ﷺ تلك، حدَّثَ يَحْيَى، عَنْ مَالِك، عَنْ مُوسَى بْنِ مَيْسَرَة، عَنْ أبي مُرَّةَ مَوْلَى عَقِيلِ بْنِ أَبي طَالِبٍ أنَّ أُمَّ هَانِيء بِنْتَ أَبي طالبِ أخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَلَّى عَامَ الْفَتْحِ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفاً في ثَوْبٍ وَاحِدٍ[1].

وفي رواية أحمد عَن ابْنِ أبي ذِئْبٍ، عَن الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبي مُرَّة مَوْلَى عَقِيل بْنِ أبي طالبٍ، عن فَاخِتَة أُمِّ هَانِيءٍ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْح مَكَّةَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ الله ﷺ وَعَلَيْهِ رَهْجَةُ الْغُبَارِ فِي مِلحَفَةٍ مُتوشِّحاً بِهَا، ثُمَّ أَمَرَ فاطمة فَسَكَبَتْ لَهُ مَاءً، فتغَسَّل بِهِ، فَصَلَّى ثَمانِ رَكَعَاتٍ في الثَّوْبِ مُتَلَبِّباً به، وَذَلِكَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّة ضُحىً[2].

---

(1) رواه: مالك/ كتاب: النداء للصلاة/ باب: صلاة الضحى/ برقم: (322).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم هانىء بنت أبي طالب واسمها فاختة/ برقم: (25657).

خطبة النبي ﷺ لها وردّها بعذر

وكان النبي ﷺ وهبيرة بن عمرو قد خطباها من أبيها، فزوَّجها أبو طالب من هبيرة، فلما عاتبه النبي ﷺ، قال له: يا ابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافىء الكريم.

وولدت أم هانىء لهبيرة أولاد: عمرو، وجَعْدَة، وهانىء، ويوسف؛ فلما ظهر الإسلام فرَّق بينها وبين زوجها الذي أصرَّ على شركه، وفرَّ إلى نجران ومات بها كافراً.

وعكفت فاختة على تربية أولادها، وحَدَّثَ أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ، حَدَّثَنَا شَهْرٌ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُول الله ﷺ خَطَبَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ، يُقَالُ لَهَا: أُمُّ هَانِىءٍ وَكَانَتْ مُصْبِيَةً، كَانَ لَها خَمْسَةُ صِبْيَةٍ – أو سِتَّةٌ – مِنْ بَعْلٍ لَهَا مَات.

فَقَالَ لَها رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَمْنَعُكِ مِنِّي؟**» قَالَتْ: والله، يَا نَبِيَّ الله مَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ أَنْ لا تَكُونَ أَحَبَّ الْبَرِيَّةِ إِلَيَّ، وَلَكِنِّي أُكْرِمُكَ أَنْ يَضْغُوَ هَؤُلاء الصِّبْيَة عِنْدَ رَأْسِكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً قَالَ: «**فَهَلْ مَنَعَكِ مِنِّي شَيءٌ غَيْرُ ذَلِكَ؟**» قَالَتْ: لا، والله.

فَقَالَ لَها رَسُولُ الله ﷺ: «**يَرْحَمُكِ اللهُ، إِنَّ خَيْرَ نِسَاءٍ رَكِبْنَ أَعْجَازَ الإِبِلِ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرٍ وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلٍ بِذَاتِ يَدٍ**»[1].

وفي رواية أخرى عَن الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ أُمَّ هَانِىءٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُول الله، إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَلِي عِيَالٌ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي**

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: مسند أبي هريرة/ برقم: (2774).

صِغَرِه وَأَرْعَاهُ عَلى زَوْجٍ في ذَات يده» قَالَ أَبُو هُرَيْرَة: وَلَمْ تَرْكَبْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعيراً[1].

وفي رواية أنها قالت له: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من سمعي وبصري، وحق الزوج عظيم، وأنا أخشى أن أُضيِّع حق الزوج، ولما أدرك بنوها عرضت نفسها عليه، فقال لها: **«أمَّا الآن فلا»**، لأن الله تعالى أحلَّ له بنات عمه اللاتي هاجرن معه، ولم تكن أم هانىء بين المهاجرات معه.

رفعة مكانة المرأة في الإسلام

ويوم خيبر خرجت أم هانىء مع رسول الله ﷺ وبعض الصحابيات يسقين العطاش، ويضمِّدن الجراح، وقد فتح الله على المؤمنين وأطعمها النبي ﷺ أربعين وسقاً من الغنائم.

ويوم الفتح أجارت رجلين من أحمائها فأراد أخوها علي قتلهما فاستجارت برسول الله ﷺ فقبل إجارتها لهما، حَدَّثَ وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبي ذِئْبٍ، عَنْ سَعيدِ بْنِ أبي سَعيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَن أبي مُرَّة مَوْلَى فَاخِتَة أُمِّ هَانِىءٍ، عَنْ فَاخِتَة أُمِّ هَانِىء بِنْت أبي طَالِبٍ، قَالَتْ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّة أَجَرْتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَحْمَائِي، فَأَدْخَلْتُهُمَا بَيْتاً وأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَاباً، فَجاء ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ، فَتَفَلَّتَ عَلَيْهِمَا بِالسَّيْفِ.

قَالَتْ: فَأَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ فَاطِمَة فَكَانَتْ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ زَوْجِهَا، قَالَتْ: فَجَاء النَّبيُّ ﷺ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْغُبَارِ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَال: **«يا أُم هانِىء قَدْ أجَرْنَا مَن أجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَن أَمَّنْتِ فَلا يَقْتُلْهُمَا»**[2].

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: مسند أبي هريرة رضي الله عنه/ برقم: (7330).

(2) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أم هانىء بنت أبي طالب واسمها فاختة/ برقم: (25671).

وقد اجتهدت أم هانىء في عبادتها ومتابعتها لأحاديث النبي ﷺ حتى غدت من رواة الحديث الثقات، وقد ذكرت لها كتب السنن والصحاح والمسانيد ستة وأربعين حديثاً، وروى عنها كبار الرواة كعطاء، وابن أبي ليلى، وعروة بن الزبير.

وفي سنة خمسين للهجرة حضرت الوفاة أم هانىء رحمها الله تعالى، وأحسن مثواها.



81 - السيدة زينب بنت مظعون

المهاجرة زوجة أمير المؤمنين

اسمها زينب، والدها مظعون بن حبيب بن وهب وإخوتها عثمان، وقدامة، وعبد الله أبناء مظعون، تزوَّجها عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، فولدت له عبد الله بن عمر الصحابيَّ الجليل، وحفصة بنت عمر إحدى أمهات المؤمنين، وعبد الرحمن.

هاجرت مع ابنتها حفصة بنت عمر رضي الله عنها إلى المدينة، وكان إخوتها الثلاثة مع ابن أخيها السائب بن عثمان من مهاجرة الحبشة رضي الله عنهم .

وتمَّت هجرة الصحابة سرّاً وفي غفلةٍ من قريش ورقبائها، إلا ما كان من هجرة زوجها عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، فقد جاء قريشاً في ناديها، وأخبرهم بهجرته، وتحدَّى من يعترض سبيله بالقتل، فما قام خلفه أحدٌ، ويُروى أن عمر قال حين أسلم أبياتاً ذكرها ابن هشام في سيرته، منها:

الحَمْد لله ذي المَنِّ الَّذي وَجَبَتْ ... لَهُ عَلَيْنَا أَيَادٍ مَا لَهَا غِيَرُ

وقَدْ بَدأْنَا فَكَذَّبْنَا فَقَالَ لَنَا ... صِدْقَ الحَدِيْثِ نَبِيٌّ عِنْدَهُ الخَبَرُ

وَقَدْ ظَلَمْتُ ابْنَة الخَطَّابُ ثُمَّ هَدَى ... رَبِّ عَشِيَّةَ قَالُوا: قَدْ صَبا عُمَرُ

وَقَدْ نَدِمْتُ عَلى ما كان مِنْ زَلَلٍ ... بِظُلْمِهَا حِيْن تُتْلَى عِنْدَهَا السُّوَرُ

لَمَّا دَعَتْ رَبَّهَا ذَا العَرْشِ جاهِدَةً ... والدَّمْعُ مِنْ عَيْنِهَا عَجْلاَنَ يَبْتَدِرُ

أَيْقَنْتُ أَنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ خَالِقَهَا ... فَكَادَ تَسْبِقنِي مِنْ عَبْرَةٍ دُرَرُ

فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّ الله خَالِقَنَا ... وأَنَّ أَحْمَدَ فِيْنَا اليَوْمَ مُشْتَهَرُ

نَبِيَّ صِدْقٍ أَتَى بالحَقِّ مِنْ ثِقَةٍ ... وافِي الأَمَانَةِ مَا فِي عُوْدِهِ خَدَرُ

محبة النبي ﷺ لأسرتها

وكان أبو السائب عثمان بن مظعون رضي الله عنه أخو زينب رضي الله عنها رجلاً شهماً أبياً، وكان في مكة يروح ويغدو في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى ما يلاقيه أصحابه من الشدة والبلاء، وهو يروح ويغدو آمناً لم يعجبه ذلك، فقال: والله إن غُدوِّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في سبيل الله ما لا يصيبني لَنَقْصٌ كبير في نفسي.

فمشى إلى الوليد وقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك، فقال له الوليد: لِمَ يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ فقال عثمان: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره، قال الوليد: هيا إلى المسجد فاردد عليَّ جواري علانية، كما أجرتك علانية.

وهناك قال الوليد للناس: هذا عثمان جاء يرد عليَّ جواري، قال عثمان: صدق، قد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكني قد أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره؛ ثم انصرف عثمان.

وفيما كان الشاعر لبيد بن ربيعة ينشد قريشاً سمعه عثمان يقول:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

فقال عثمان: صدقت، وتابع لبيد إنشاده، فقال:

وَكُـلُّ نـعِـيْـمٍ لا مَـحَـالَةَ زَائِلُ

فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول، فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يُؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقام رجل من القوم فضرب عثمان فآذى عينه، وكان الوليد حاضراً فقال: أما والله يا ابن أخي، قد كانت عينك غنية عما أصابها، وكنت في ذمة منيعة، فقال عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في سبيل الله، وإني لفي جوار من هو أعزُّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس.

ولما مات عثمان أكبَّ رسول الله ﷺ على وجهه يقبِّله ويبكي فقد كان له محبّاً، وعلى فراقه حزيناً.

لقد عاشت زينب في أسرة أبِيّة كريمة في أهلها، ثم كانت في أسرة عزيزة وفية، راعيها إمام العدل عمر رضي الله عنه الذي أعزَّ الله به الإسلام، بعد دعوة خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، رحم الله زينب، وشكر سعيها.



82 - السيدة أم حكيم

زوجة الفارّ من الله ورسوله

اسمها أم حكيم، والدها الحارث بن هشام بن المغيرة، زوجها عكرمة بن أبي جهل، كانت أم حكيم وزوجها عكرمة حرباً على الإسلام، كما كان حموها أبو جهل ألدَّ أعدائه، ورأس المتصدِّين لإيذائه.

قُتل أبو جهل شر قتلة يوم بدر على يد ابني عفراء، ثم مرَّ به عبد الله بن مسعود فرآه وبه رمقٌ فذفَّفه[1] واحتزَّ رأسه، ثم حمله إلى رسول الله ﷺ فحمد الله على قتل فرعون أمته.

ولما شهد عكرمة النهاية البشعة التي انتهى إليها والده ازداد حقداً على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، وكان صفوان بن أُميَّة قد فقد والده أُميَّة بن خلف يوم بدر أيضاً فأخذ عكرمة وصفوان يدعوان إلى الثأر والانتقام لقتلى بدر.

واتُّفق على أن يكون اللقاء مع المسلمين في أُحُد، ورأت قريش أن تخرج بالنساء إلى المعركة حتى يشجعن الرجال على القتال، فكانت هند بنت عتبة مع أبي سفيان بن حرب، وريطة بنت مُنَبِّه مع عمرو بن العاص، وأم حكيم بنت الحارث مع عكرمة بن أبي جهل، وبرزة - أو برة - بنت مسعود مع صفوان بن أُميَّة.

وربحت قريش الجولة لأن رماة المسلمين تركوا مواقعهم على الجبل مخالفين أمر قائدهم رسول الله ﷺ فكانت الدائرة عليهم.

وكان عكرمة يوم الخندق بين الفُرَّار من قريش.

---

(1) ذفَّفه: أجهز عليه.

إسلامها وزوجها يوم الفتح

ولما كان يوم فتح مكة، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً خرج عكرمة من مكة يريد الفرار إلى اليمن، وأيقنت هند بنت عتبة أن الإسلام قد ظهر، وأنه لن تقوم لقريش بَعْدُ قائمة، فصحبت أم حكيم وبعض النساء ثم انطلقنَ إلى رسول الله ﷺ يبايعنه على الإسلام.

ولما أنهت أم حكيم بيعتها استأمنت لزوجها فأمَّنه رسول الله ﷺ، فانطلقت إلى البحر فرأته وهو موشك على الخروج إلى اليمن، فأقنعته بالعودة معها بعد أن أخذت له الأمان من خير الناس وأبرِّ الناس وأكرم الناس ﷺ فعاد معها وأسلم.

محبتها للجهاد

وأصبح عكرمة أشد الناس عداوة لمن عادى الإسلام، وخرج إلى لقاء الروم في اليرموك مع خالد بن الوليد رضي الله عنه، وحين حميت المعركة واشتدَّ وطيسها، قال عكرمة: من يبايعني على الموت؟ فقال له خالد: لا تقتل نفسك، فقال له: دعني منك فإنني أريد أن أُكفِّر عما كان مني ومن أبي ضد الإسلام، ثم قذف بنفسه في قلب المعركة، وقاتلَ حتى استُشهد رحمه الله تعالى.

واعتدَّت أم حكيم فلما حلَّت تزوَّجها خالد بن سعيد وأعرس بها عند قنطرة بمرج الصُفَّر، وأولم عليها لأصحابه، وسميت القنطرة: «قنطرة أم حكيم».

ثم انطلق خالد لقتال الروم فقُتل - رحمه الله تعالى - فشدَّت أم حكيم عليها ثيابها، وعليها أثر الخلوق، فانتزعت عمود الخيمة وقتلت به سبعة من الأعداء.

رحم الله أم حكيم، وجزاها جزاء المجاهدين في سبيله.



83 - السيدة حليمة السعدية

مرضعة خير الأنام ﷺ

اسمها حليمة، والدها عبد الله بن الحارث بن شجنة وزوجها الحارث بن عبد العُزَّى بن رفاعة ويقال له: «الحارث السعدي».

كانت نساء قريش قد اعتدن بعد أن يلدن إرسال المولود إلى البادية حتى يرضع لدى إحدى المراضع، ويكتسب صحَّة ونشاطاً، وحين وُلد نبي الرحمة ﷺ أخذته حليمة لترضعه، ففاضت عليها البركات، وشملتها الرحمات، وفاض الخير في ديارها من بركته، فكانت حليمة ترضعه، وابنتها الشيماء بنت الحارث تحضنه.

وخرجت به ذات يوم حارٍّ قد اشتدَّ حرَّه دون علم أمها، فلما اكتشفت حليمة ذلك انطلقت في إثرهما وراحت تؤنِّب ابنتها بانفعال شديد على خروجها به إلى الحر، لكنها سكنت حين سمعت ابنتها تقول: لا تخافي يا أماه على أخي القرشي، فقد رأيت غمامة تظلُّه، تسير معه إذا سار، وتقف إذا وقف.

وكانت لحليمة بضعة غنيمات تبعث بها مع ابنتها إلى المرعى، فإذا رجعت وجدتها حُفلاً لُبَناً، وكانت شياه صواحبها تعود عجافاً كما ذهبت، فكنَّ يقلن للرعاة: ويلكم اسرحوا حيث تسرح أغنام حليمة، ولكن كان زوجها الحارث يقول: إن ما نحن فيه بسبب هذا اليتيم المبارك.

ولما انتهت مدة الرضاع، عادت حليمة إلى آمنة بنت وهب بطفلها، وهي بادية الحزن على فراقه، لأن بركته وخيره قد حلاً بديارها منذ أدخلته بيتها.

وأخذت ترجو آمنة أن تسمح لها بالرجوع به ومدِّ فترة رضاعه حتى يشتدَّ عوده، ويزداد صحَّةً ونشاطاً، وأمام لهفة حليمة وإلحاحها أذنت لها آمنة بالعودة به إلى ديار بني سعد.

كانت فرحة الحارث السعدي وأسرته بامتداد ضيافة اليتيم المفدَّى لديهم أجلَّ من أن تُوصف، فالشيماء أصبحت مولعة به، وهي تحبه أكثر من أخيها ابن أمها وأبيها، إنها ترقِّصه وتقول له:

يَا رَبَّنَا أَبْقِ أخي مُحَمَّدَا حَتَّى أَرَاهُ يَافِعاً وَأَمْرَدَا
ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّداً مُسَوَّدَا واكْبُتْ أَعَادِيهِ مَعاً والحُسَّدَا
وَأَعْطِهِ عِزّاً يَدُومُ أَبَدَا

وتقول في مقام آخر:

هذا أخٌ لي لَمْ تَلِدْهُ أُمِّي
وليس مِنْ نَسْلِ أبي وَعَمِّي
فَأَنْمِه اللَّهُمَّ فِيمَا تُنْمِي

حادثة شق الصدر

وذات يوم خرج ابن حليمة ببعض الشياه خلف البيوت، وبصحبته الحبيب المُفدَّى، ثم عاد ينادي أمه وأباه وهو يلهث، فأسرعا إليه ليعلما ما وراءه؟ فأخبرهما أن رجلين عليهما ثيابٌ بيض أضجعا أخاه القرشي، وشقَّا بطنه، ثم أخرجا شيئاً لا يعلم ما هو، ثم أعاداه، وأدركاه فإذا هو ممتقع اللون، فرجعا به، واستأمرت حليمة زوجها في ردِّه إلى أمه قبل أن يقع عليه مكروه.

ولم تستطع حليمة أن تكتم الأمر عن آمنة، فقالت لها: إن لابني هذا لشأناً.

نعم لقد جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على رأس الأربعين من عمره يحمل إليه رسالة الإسلام إلى الناس كافَّةً، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

إسلامها

وبعد انقضاء قرابة خمسين عاماً على فراق حليمة لرضيعها العظيم، جاءت مع ابنتها الشيماء إلى رسول الله ﷺ، وأسلمتا بين يديه، فرحَّب بهما وبالغ في إكرامهما.

روى أبو داود في سننه عَنْ عُمَارَةَ بْنَ ثَوْبَان أَنَّ أبَا الطُّفَيْلِ أَخْبَرَهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْسِمُ لَحْماً بِالْجِعِرَّانَةِ – قال أبو الطُّفَيْلِ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلامٌ أَحْمِلُ عَظْمَ الْجَزُورِ – إِذْ أَقْبلتْ امْرَأَةٌ حَتَّى دَنَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَبَسَطَ لَهَا رداءَهُ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، فقُلْتُ: «مَنْ هِيَ؟» فَقَالوا: «هَذِهِ أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ»[1].

رحم الله المرضع والحاضنة، وأحسن إليهما.



(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الأدب/ باب: بر الوالدين/ برقم: (4478).

84 - السيدة الشفاء بنت عبد الله

إسلامها ورجاحة عقلها

اسمها الشفاء، والدها عبد الله القرشي، زوجها أبو حيثمة بن حذيفة بن عدي، وقد أثمر زواج الشفاء وأبي حيثمة حين أنجبت له مولوداً سمَّته سليمان بن أبي حيثمة.

كانت الشفاء ذات عقلٍ نادرٍ، وذكاءٍ وافرٍ، وقد حازت إلى جانب ذلك فضيلة العلم، فكانت تتقن القراءة والكتابة من أيام الجاهلية، وهذا الأمر يسرَّ لها فهم القرآن والحديث وحفظ ما تسمعه أو تقرؤه منهما.

دخلت الشفاء في دين الإسلام عن وعي وفهم، وكان إسلامها قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وكانت بين النساء اللَّواتي بايعن النبي ﷺ وشملهنَّ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: 12]، وكانت مبايعة رسول الله ﷺ للنساء دون مصافحة، لأنه لا يصافح النساء، فإذا مدَّت امرأة يدها لتصافحه امتنع عن المصافحة وأخبرها بذلك.

إكرام النبي ﷺ لها

وكان رسول الله ﷺ يزور الشفاء في بيتها، ويكرمها، فقد أقطعها داراً بالمدينة بعد مهاجرها إليها، فنزلت فيها مع ولدها سليمان بن أبي حيثمة.

ولا غَرْوَ أن يقدِّمها عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في الرأي بعد أن رأى مكانتها عند رسول الله ﷺ، وتقديره لها، وقد عرفت الشفاء قدر عمر ومنزلته

في الإسلام فتخلَّقت ببعض أخلاقه، وتأسَّت بنهجه، وحين رأت في الطريق بعض الفتية يتمهَّلون في مشيهم، ويخافتون في كلامهم، استوقفتهم، وسألتهم: لماذا تفعلون هذا؟ فقالوا لها: نحن نُسَّاك! فردَّت الشفاء بحزمٍ: كان - والله - عمر إذا تكلَّم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجعَ.

وقد بلغت شهرتها في إجادة القراءة والكتابة عن النبي ﷺ، فقد روي عَنْ أبي بَكْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَة، عَنِ الشِّفَاءِ بِنْت عَبْد الله قالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ، فَقَالَ لِي: «**ألا تُعَلِّمينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ؟**»[1].

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى لم تزل الشفاء رضي الله عنها تحتفظ بما كان يوليها من التقدير والتكريم، وظلَّت وفيَّة على ما عاهدته عليه يوم البيعة حتى حضرتها الوفاة سنة عشرين للهجرة، رحمها الله تعالى.



(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الطب/ باب: ما جاء في الرقى/ برقم: (3389).

85 - السيدة حَزمَلَةُ بنت عبد الأسود

المهاجرة زوجة المهاجر

اسمها حرملة، والدها عبد الأسود بن جذيمة، وهي من خُزَاعة، زوجها جَهْمُ بن قيس بن عبد شرحبيل.

كانت حرملة وزوجها قد رضيا بالإسلام مبكرين، بعد أن وجداه خير دين، ونالهما من عذاب قريش وأذاها الكثير، ولا سيما خلال مدة الحصار الذي فرضته على اتباع الدين القويم، فقد منعت عنهم الطعام والشراب، إلاَّ ما سرَّ به في غفلةٍ منها بعض ذوي المروءة، ومن كان له ضمير.

ثم رأى جَهْمُ أن يخرج بزوجه حَرْمَلَةَ إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وفي الحبشة التقيا بعثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وجعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس، والزبير بن العوَّام، وأبي سلمة بن عبد الأسد وزوجه أم سلمة، وبقية المهاجرين.

وهناك لقي جَهْمٌ وحَرْمَلةُ من إخوانهم أجمل ترحيب، وأخذوا يسألونهما عن أحوال إخوانهم المسلمين المقيمين في مكة، وما تصنعه بهم قريش، وكانوا جميعاً متلهفين لسماع أخبار رسول الله ﷺ ومشتاقين إلى لقائه، فحدَّثاهم عن كل ما سألوهما عنه.

البيت السعيد في ظلّ الإسلام

وكانت حَرْمَلَةُ وزوجها سعيدين في حياتهما على أرض الحبشة لما أحسَّا فيها من الاطمئنان، وعدم وجود من يؤذيهما في دينهما، أو يعترض على عبادتهما، ونالا هناك نصيبهما من كرم النجاشي وحسن رعايته

للمهاجرين، وبلغت فرحتهما أوجهاً حين علما أن النجاشي بات أخاً لهم في الإسلام.

وفي تلك الأجواء الآمنة والاطمئنان الوفير أنجبت حَرْمَلَةُ لزوجها جارية وغلامين، وسمَّتهم، حُرَيْمِلَة، عبد الله، عَمْراً، لقد ولد هؤلاء الأطفال، وآخرون غيرهم في بيئةٍ مفعمةٍ بالإيمان، بعيداً عن مشاهد التعذيب على رمال الصحراء الملتهبة والجلد بالسياط، والكي بأسياخ الحديد التي تعرَّض لها المعذَّبون في الله كبلال بن رباح، وآل ياسر: ياسر، وسمية، وعمار ولدهما، وخبَّاب بن الأرتِّ رضي الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خير ما يجزي به عباده الصالحين.

وبلغت حَرْمَلَةُ قمة السعادة حين سمعت من إحدى المهاجرات حكاية الوفد الذي أرسلته قريش ومعه هدايا إلى ملك الحبشة، وطلبت منه أن يعيد المهاجرين مع الوفد لتنزل عقابها بهم لأنهم خرجوا دون إذنها وكيف أخبره جعفر بن أبي طالب عن اضطهاد قومهم لهم بسبب إسلامهم، وكيف أمر النجاشي بطرد وفد قريش ورد الهدايا إليهم، فخرجوا من أرضه مقبوحين مدحورين.

وبقيت حَرْمَلَةُ وزوجها جَهْم مقيمين على طاعة ربهما حتى وافتهما المنية، رحمهما الله تعالى.



86 - السيدة قيلة بنت مَخْرمة

أم البنات المؤمنات

اسمها قَيْلَةُ، والدها مَخْرَمَةُ التميمي، زوجها حبيب بن أزهر، أنجبت له عدداً من البنات، ولم يرزقها الله أيّاً من الذكور، وقضت مشيئته تعالى أن يتوفَّى زوجها في مطلع ظهور الإسلام، فاستسلمت قَيْلَةُ لقضاء الله، ولم تجد عن الرضاء بحكمه بديلاً، فقعدت على بناتها تربِّيهنَّ على مبادىء الإسلام ومكارمه.

وعلى حين غِرَّةٍ جاءها أثوب بن أزهر وانتزع بنات أخيه منها، دون أن يرحم وحدتها، أو يرقَّ لمصابها بفقد زوجها.

وقرَّرت التماس من يصحبها إلى رسول الله ﷺ لتشكو إليه أمرها، وتخبره بما نزل بها، وما إن علمت أن حريث بن حسان وافد بني بكر بن وائل يبتغي الخروج إلى رسول الله ﷺ حتى سألته الصحبة، فقال: نعم، وكرامة.

خروجها للقاء رسول الله ﷺ

فلما قدما على رسول الله ﷺ كانت قد أُقيمت صلاة الفجر، والنجوم شابكة في السماء، والرجال تكاد لا تعارف مع ظلمة الليل.

تقول قَيْلَةُ - رضي الله عنها - : فصففت مع الرجال، وأنا امرأة حديثة عهدٍ بالجاهلية، فقال لي الرجل الذي يليني من الصفِّ: امرأة أنت أم رجل؟ فقلت: لا، بل امرأة، قال: إنك كدت تفتنيني، فصلِّي وراءك في النساء، فإذا صفٌّ من النساء قد حَدَثَ عند الحجرات لم أكن قد رأيته حين دخلت، فكنت معهنَّ، فلما طلعت الشمس دنوتُ، فكنت إذا رأيت رجلاً ذا رداء وذا

قِشْرٍ[1] طمح إليه بصري، لأرى رسول الله ﷺ، فلما ارتفعت الشمس جاء رجلٌ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: **«وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَرَحْمَةُ الله وبَرَكَاتُهُ»**.

قالت قَيْلَةُ: وَعلى رسول الله ﷺ أسمالٌ[2]، فلما رأيت رسول الله ﷺ والتخشُّع في مجلسه أُرْعِدْتُ مِنَ الْفَرَقِ[3]، وقد روى هذه الحادثة أبو داود عن أحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، وَمُوسَى بْنُ إسْمَاعِيلَ، قالا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ حَسَّان الْعَنْبَرِيُّ قَال: حَدَّثَتْني جَدَّتَاي: صَفِيَّةُ وَدُحَيْبَةُ ابْنَتَا عُلَيْبَة بِنْتِ حَرْمَلَة، وَكَانَتَا رَبِيبَتَيْ قَيْلَة بِنْتِ مَخْرَمَة، وَكَانَتْ جَدَّة أبيهِمَا، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُمَا أَنَّهَا رَأَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ الْمُخْتَشِعِ، والْمُتَخَشِّعَ في الْجِلْسَةِ، أُرْعِدْتُ مِنَ الْفَرَقِ[4]، فقال له جليسه: يا رسول الله، أُرْعِدَتْ المسكينة!! فقال بيده، ولم ينظر إليَّ وأنا عند ظهره: **«يا مِسْكِينَةُ، عَلَيْكِ السَّكِينَةُ»**، فذهب عني ما كنت أجد من الرعب، فتقدَّم صاحبي أول ما تقدَّم فبايعه على الإسلام وعلى قومه.

وتتابع قَيْلَةُ حديثها فتقول: ثم أمر كاتبه أن يكتب لي عهداً، فكتب لي في قطعة أديم أحمر: **«لَقَيْلَة والنُّسْوَة بَنَاتِ قَيلَة، لا يُظْلَمْنَ حَقاً، وَلا يُكْرَهْنَ عَلى مَنْكحٍ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٍ لَهُنَّ نَصِيرٌ»**.

لقد ضمن لها رسول الله ﷺ بهذا العهد والأمان رعايتها ورعاية بناتها اللواتي أُخذنَ منها قسراً، فقرَّت عيناً، واطمأنَّت بالاً على نفسها وعلى بناتها، وعاشت كريمة معهنَّ حتى وافاها وإياهنَّ الأجل المحتوم.



(1) ذا قِشْرٍ: ذا لباسٍ حسنٍ.
(2) الأسمال: الأثواب البالية.
(3) الفرقُ: شدَّة الخوف.
(4) رواه: أبو داود/ كتاب: الأدب/ باب: في جلوس الرجل/ برقم: (4207).

87 - السيدة ليلى بنت الخطيم

إسلامها وعرضها نفسها على النبي ﷺ

اسمها ليلى، والدها الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الخزرج، وهي أخت الشاعر قيس بن الخطيم، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ مع ابنتين لها.

كانت ليلى إحدى النساء اللواتي عرضن أنفسهنَّ على النبي ﷺ ليتزوَّجهنَّ، وقد روى ابن أبي خيثمة، وابن سعد في طبقاته من طريق هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى رسول الله ﷺ وهو مُوَلٍّ ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبه، فقال: «**مَنْ هَذَا؟ أَكَلَهُ الأَسْوَدُ**»، وكان كثيراً ما يقولها، فقالت: أنا بنت مطعم الطير، ومباري الريح، أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك لأعرض نفسي عليك تتزوجني، قال: «**قَدْ فَعَلْتُ**».

فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوَّجني رسول الله ﷺ، فقالوا: بئس ما صنعتِ، أنت امرأةٌ غَيْرَى، والنبي ﷺ صاحب نساء، فتغارين منه، فيدعو الله تعالى عليك، فاستقيليه نفسك.

فرجعت إليه فقالت: «يا رسول الله، لامني قومي، وخوَّفوني عذاب الله فأقلني، قال: «**قَدْ أَقَلْتُكِ**»[1].

فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر، فولدت له، فبينما هي في

(1) إلى هنا رواية ابن أبي خيثمة.

حائطٍ من حيطان[1] المدينة تغتسل إذا وثب عليها الذئب، لقول رسول الله ﷺ، فأكل بعضها، فأُدركت، فماتت[2].

حب النبي ﷺ للأنصار عامة

كان رسول الله ﷺ شديد الحب للأنصار، وحاثّاً على حبهم، ومحذِّراً من بغضهم، وداعياً إلى التجاوز عن مسيئهم فقد حَدَّث مُحَمَّدُ بن بشّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جعْفرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قال: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«الأَنْصارُ كَرِشِي وَعَيبَتِي، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»**، قال أَبُو عيسى التِّرمِذيُّ: «وَهَذَا حَديثٌ حَسَنٌ صحَيحٌ»[3].

وعنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، أَنَّهُ سَمِع أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ الأَنْصارَ عَيبَتِي، الَّتِي أَوِيتُ إِلَيهَا؛ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ، فإِنَّهُمْ قَدْ أَدَّوْا الَّذي عَلَيهِمْ، وَبَقِي الَّذي لَهُمْ»**[4].

وقد أعلن رسول الله ﷺ أكثر من مرة أن حب الأنصار من الإيمان وقد روي عنْ شُعْبَة، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بْنِ جَبْر قَالَ: سَمِعْتُ أَنَساً قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **«آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الأَنْصارِ، وآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الأَنْصارِ»**[5].

---

(1) الحائط: البستان.

(2) الزيادة في طبقات ابن سعد (8/ 150، 151)، والقصة كاملة في المحبَّر (96)، وأنساب الأشراف (1/ 459)، وانظر أزواج النبي ﷺ للصالحي، وأسد الغابة (2/ 257) والإصابة (8/ 103).

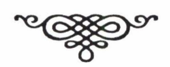
(3) رواه: الترمذي/ كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ/ باب: في فضل الأنصار وقريش/ برقم: (3842).

(4) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند المكثرين/ باب: مسند أنس بن مالك/ برقم: (12189).

(5) رواه: مسلم/ كتاب: الإيمان/ باب: الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان/ برقم: (108).

وقال ﷺ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتزَوَّجَ فِي الأَنْصَار**»، لكن ورد عنه ﷺ أنه قال: «**أَنَا أَكْرَهُ غَيْرَتَهُنَّ، إِنِّي أَكْرَهُ غَيْرَةَ الأَنْصَار**».

وقد قال ﷺ لأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في بيت عائشة: «**إِنَّ الغَيْرَى لا تُبْصِرُ أَسْفَلَ الوَادِي مِنْ أَعْلاهُ**»، رحم الله رجال الأنصار، ونساء الأنصار، وأبناء الأنصار، ومن يحب الأنصار، وحشرنا معهم في خير دار!!.



٨٨ - السيدة حسَّانة المُزنيّة

صديقة الحبيبة خديجة رضي الله عنها

اسمها في الجاهلية جُثَامَةُ المُزَنِيَّةُ، ولما أسلمت غيَّر النبي ﷺ اسمها إلى حَسَّانة المُزنيَّة.

وها هي ذي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تخبرنا عنها قالت: كانت عجوزٌ تأتي النبي ﷺ فَيَهُشُّ لها ويكرمها، وفي لفظ آخر: جاءت عجوزٌ إلى النبي ﷺ، فقال لها: «**مَنْ أَنْتِ؟**» فقالت: جثامة المزنية، قال النبي ﷺ: «**بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ المُزَنِيَّةُ، كَيفَ أَنْتُمْ؟ كَيفَ حَالُكُمْ؟ كَيفَ كُنْتُمْ بَعْدَهَا؟**» قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله!!.

وفي لفظ: كانت تأتي النبي ﷺ امرأةٌ، فقلت: يا رسول الله، من هذه؟، وفي لفظ: فقلت: بأبي أنت وأمي، إنك لتصنع بهذه العجوز شيئاً لم تصنعه بأحد، وفي لفظ: فلما خرجَتْ، قلتُ: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «**يا عائِشَةُ، إنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينا زَمَن خَدِيجَةَ، وإِنَّ حُسْنَ العَهْدِ مِن الإِيْمَان**»، وفي لفظ: «**وَإِنَّ كَرَمَ المُودِّ مِنَ الإِيْمَانِ**»[1].

وروي عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بالشيء يقول: «**اِذْهَبُوا بِهِ إِلَى بَيْتِ فُلانَةٍ، فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيْقَةً لِخَدِيْجة**»[2].

---

(1) الطبراني في الكبير (23/ 14) برقم: (23)، والحاكم (1/ 15، 16). والاستيعاب (4/ 1810).

(2) السمط الثمين للمحب الطبري.

وفي رواية ابن حبَّان والدولابي: «**اذْهَبُوا بِهِ إِلَى بَيْتِ فُلَانَةٍ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ**»(1).

حسن العهد من الإيمان

إنها لفتةٌ نبويةٌ كريمةٌ، ودرس بليغٌ في حفظ الوداد، ممن جاء لهداية العباد، إلى سبيل الخير والرشاد، سيظل شذاه إلى يوم المعاد.

وهي عظةٌ في مكارم الأخلاق، بعيدة عن الرياء والنفاق، أطلقها معلِّم الناس الخير، الذي ما ضلَّ وما غوى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 3- 4]، فما أكرمها من لفتة!! وما أبلغه من درس!! وما أعظمها من عظة!! صدرت عن الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور المبين بإذن ربهم، ولينشر مكارم الأخلاق فيما بينهم، فيا فوز من بشرعه اهتدى!! ويا بؤس من على حدوده اعتدى!!.

لقد أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، وهذَّبه فأكمل تهذيبه، ثم اصطفاه رحمة للعالمين، وابتعثه بخير دين، وأنزل عليه القرآن الكريم، ليهديهم إلى الصراط المستقيم، وتلك نعمةٌ كبرى، ومِنَّةٌ عظمى، ينبغي لنا شكرهما آناء الليل وأطراف النهار، عسى الله أن يحشرنا مع الأبرار، ويجعل مستقرَّنا مع الأخيار، في دار القرار، إنه نعم الرحيم الغفَّار!!.



(1) الدولابي في الذرية الطاهرة برقم: (40).

89 - السيدة سفَّانة بنت حاتم الطائي

سليلة بيت الكرم والجود

اسمها سفَّانة، والدها حاتم الطائي، جدتها لأبيها عتبة بنت عفيف التي ورَّثت ابنها حاتماً الجود والكرم، ثم كانت سفَّانة وارثة لخلقهما في النَّدى والسخاء.

كانت جدتها عتبة متلافة، فحجر عليها إخوتها، وأمسكوا عنها مالها دهراً، ثم دفعوا إليها صَرْمَة إبلٍ[1] فجاءتها امرأة اعتادت سؤالها، فأعطتها الصرمة كلها، وقالت:

لَعَمْرِي لَقِدْماً عَضَّنِي الجُوْعُ عَضَّةً فَآلَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعَا

فَقولَا لِهَذَا اللَّائِمِي اليَوْمَ: أَعْفِنِي فَإِنْ أَنتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعُضَّ الأصابِعَا

فَمَاذَا عَسَاكُمْ أَنْ تَقُولُوا لأُخْتِكُمْ سِوَى عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلِ مَنْ كَانَ مَانِعَا؟

وَمَاذا تَرَوْنَ اليَوْمَ إِلَّا طَبِيْعَةً؟ فَكَيْفَ بِتَرْكِي يَا ابْنَ أُمِّ الطَّبَائِعَا؟

وقعت سفَّانة في سبي المسلمين، فأنزلها رسول الله ﷺ في خيمة بقرب مسجده الشريف مع بقية السبي، وفي طريقه إلى الصلاة مرَّ بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وقالت: يا رسول الله ﷺ هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك، فقال لها النبي ﷺ: **«مَنْ وَافِدُكِ؟»**، قالت: عدي بن حاتم، قال: **«الفَارُّ مِنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ؟»** ثم تركها ومضى.

وفي اليوم الثاني مرَّ بها، فقالت له مثل قولها السابق، فلم يجبها بشيء، ويئست من التحدُّث إليه.

---

(1) الصِّرْمةُ من الإبل: ما بين العشرة إلى الأربعين من الإبل.

كرم المصطفى ﷺ يفوق كرمهم

فلما كان اليوم الثالث، مر بها رسول الله ﷺ فأشار إليها رجل من خلفه أن تقوم فتكلمه، فقامت إليه، فقالت: هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك، فقال لها: «**قَدْ فَعَلَتُ، فَلا تَعْجِلِي حَتَّى تَجِدِي ثِقَةً يُبْلِغُكِ بلادَكِ، ثُمَّ آذِنِينِي**».

ولما غادرها رسول الله ﷺ سألت عن الرجل الذي أشار إليها، فقيل لها: إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثم إنها بقيت تنتظر حتى قدم ناس من الشام فيهم بعض قومها ممن تثق بهم، فأخبرت رسول الله ﷺ، فكساها، ومنحها راحلة تُقِلُّهَا، وأعطاها نفقة تكفيها، ثم انطلقت مع الركب إلى الشام حتى قدمت على أخيها عدي بن حاتم.

يقول عدي: لقد وصلني نبأ لقائها بمحمد ﷺ، وإحسانه إليها، وكرمه معها، على الرغم ما كان من سوء تصرف عدي معه.

وفيما كان عدي وأهله يترقبون وصول سفَّانة إليهم لاح له عن بعد هودج فيه امرأة يتَّجه نحوهم، فلما اقتربت، صاح: سفَّانة، فكانت هي هي، وحين وقفت نظرت إليه، وقالت: القاطع الظالم، حملت أهلك وولدك، وتركت بقية أبيك وعورتك، فطفق عدي يعتذر إليها ويترضَّاها حتى صفحت عنه.

وبعد أن استراحت من عناء رحلتها الطويلة، روت له ما كان من أمر سبيها، وحديثها مع من أحسن إليها.

إسلامها وأخيها

ولم تكن سفانة امرأة عادية، لكنها كانت عاقلة حازمة شديدة الذكاء فصيحة العبارة، وكان أخوها عدي يثق برأيها، وحسن تفكيرها، فقال لها:

أيْ أُخَيَّة ما ترين في أمر هذا الرجل بعد أن رأيته وتحدثت إليه؟، فقالت: الرأي عندي أن نلحق به سريعاً، فإن يكن نبياً، فالسابق إليه له فضل، وإن يكن ملكاً فلن تُذَلَّ عنده وأنت أنت، قال: والله، إن هذا الرأي.

وانطلق عدي بن حاتم وأخته سفَّانة إلى النبي ﷺ، وأعلنا إسلامهما بين يديه، رحمهما الله تعالى.



90 - السيدة حسنة أم شرحبيل

إسلامها وصبرها على الإيذاء

اسمها حسنة، زوجها عبد الله بن المطاع من بني مُرَّة، ولدت له ابنه شرحبيل بن عبد الله، ولما توفِّي عبد الله خلفه عليها أحد رجال بني جُمَح ويدعى سفيان بن معمر، فولدت له ابنيه جابراً، وجُنادة، فكانا أخوين لشرحبيل من أمه.

كان إسلام حسنة وأولادها الثلاثة قديماً في مكة، ولما اشتدَّت قريش في عدوانها على المسلمين وطالبتهم أن يكفروا بدين محمد ويرجعوا إلى عبادة الأصنام والأوثان، بعد أن امتنَّ الله عليهم بنعمة الإيمان، آثروا الهجرة، وتركوا المال والوطن حباً لله، وحفظاً لدينه.

ودخلت حسنة مع أولادها الثلاثة وزوجها سفيان قبل هجرتهم إلى الحبشة شعب أبي طالب، وعانوا فيه من حصار قريش واضطهادهم أشدَّ المعاناة.

هجرتها وأسرتها إلى الحبشة

ثم هاجروا إلى الحبشة، حيث استقبلهم فيها أحسن استقبال إخوانهم الذين سبقوهم إليها، وراحوا يروون لجعفر بن أبي طالب وأصحابه ما لقوه داخل الشعب خلال الحصار، لأن قريشاً منعت عنهم الطعام والشراب إلَّا ما سرَّبه إليهم في غفلةٍ عنها ناسٌ من أهل المروءة والضمير.

وأدرك المهاجرون حينئذٍ أن حياتهم في مهاجرهم أفضل من العيش تحت وطأة الحصار، وأن البقاء بعيداً عن الديار أسلم لهم، وما تغني الديار عنهم إذا كان أهلها لهم ظالمين!.

ولقي المهاجرون خلال إقامتهم على أرض الحبشة من ملكها النجاشي أحسن معاملة، وأفضل رعاية، بعد أن آمن بما آمنوا به، واتَّبع النبي الذي اتَّبعوه ﷺ فكانوا في خير دارٍ، وأكرم جوارٍ.

لقد وعى النجاشي ملك الحبشة وراعي المهاجرين - رحمه الله تعالى - معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: 10] فأدّى الأخوة حقَّها، فأحسن إليهم غاية الإحسان، وتركهم يعبدون الله في أمان، بعد أن سقاهم ذوو القربى كؤوس الهوان.

رجوعهم إلى المدينة ومشاركتهم في الجهاد

ولما علم المهاجرون أن رسول الله ﷺ قد خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة قرَّروا اللحاق به، وكان النجاشي على رأس مودِّعيهم، وطلب منهم أن يُقرئوا رسول الله ﷺ منه أزكى السلام، وحين قدموا على رسول الله ﷺ أبلغوه سلام النجاشي فردَّ عليه ودعا له.

كان أولاد حسنة لا يتخلَّفون عن مشاهد رسول الله ﷺ طيلة حياته، وفي خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حضر جابراً وجُنادة الموت - رحمهما الله تعالى - وأما شرحبيل أخوهما فقد هلك مع أمين الأمة أبي عُبَيْدة بن الجرَّاح في طاعون عَمَواس سنة ثمان عشرة للهجرة، رحمه الله، ورحم أمه حسنة، وجزاهم عن الإسلام كل خير.



٩١ - السيدة أم قيس بنت محصن

أخت السابق المتوكل:

اسمها أم قيس، والدها محصن بن حرثان بن قيس، وأخوها عُكَّاشَةُ بن مُحْصِنٍ، كان من أفاضل الصحابة، أسلم في مكة، وهاجر إلى المدينة مع أخته أم قيس، وقد شهد بدراً، وأظهر فيها بسالة فذَّة، وكُسر سيفه أثناء القتال، فناوله النبي ﷺ عرجوناً فأصبح في يده سيفاً ماضي الحد، وكان يسميه «العون».

شهد عُكَّاشة أُحُداً والخندق وما بعدهما، وحصل من رسول الله ﷺ على مكرمة أخرى أجلَّ وأعظم من مكرمة «العون»، فقد حَدَّث عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنا ابْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ قالَ أبو عَبْد الله: حَدَّثَنِي أَسِيدُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قال: قَالَ النَّبيُّ **«عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، والنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشَرَةُ، والنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإذا سَوادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ هَؤُلاء أُمَّتِي؟ قال: لا، وَلَكِنِ انظُرْ إلى الأُفُق، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلاء أُمَّتُكَ، وَهؤُلاء سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلاَ عَذَاب، قُلْتُ؛ وَلِمَ؟ قال: كَانُوا لا يَكْتَوُونَ، ولا يَسْتَرْقُون، وَلا يَتطَيَّرُونَ، وعلى ربِّهِمْ يَتوكَّلُون»**.

فَقَامَ إلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ رضي الله عنه فقَالَ: يَا رَسُول الله، ادْعُ الله أَنْ

يَجْعَلْني مِنهُمْ قال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنهُمْ**»، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُل آخَرُ قَالَ: ادْعُ الله أنْ يَجْعَلَنِي مِنهُمْ قال: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[1].

لكن عُكَّاشة لم يُغيِّر شيئاً من عبادته التي دأب عليها، وجهاده الذي اعتاده، وإن كان قد أمِنَ من الحساب، ومُهِّدَ له طريق دخول الجنة حتى يوم وفاته، لقد كان مؤمناً واعياً أوفى بعهد الله، فأمَّنه الله.

وقد خرج مع خالد بن الوليد لقتال المرتدِّ طليحة الأسدي، فبعثه طليعةً مع ثابت بن أقرم فتلقَّاهما طليحة وأخوه سلمة فقتلاهما، وقتل عُكَّاشة قبل مصرعه حبال بن طليحة، وذهب عُكَّاشة إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض أُعدَّت للمتَّقين.

إكرام النبي ﷺ لها ودعائه

ولم تشمل مكارم رسول الله ﷺ عُكَّاشة فقط بل شملت أخته أم قيس فكان يرشدها ويعلِّمها، روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الله، عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ أَنَّهَا أَتَتْ رَسُول الله ﷺ بابْنٍ لَهَا لَمْ يَأْكُلْ الطَّعَامَ، فَوَضَعَتْهُ فِي حَجْرِهِ، فَبَالَ، قَالَ: فَلَمْ يَزِدْ على أَنْ نَضَحَ بِالْمَاءِ، وَقَالَ: فدَعَا بِماءٍ فَرَشَّهُ[2].

فكان ذلك تعليماً لها وللمسلمين، وتلطُّفاً بها وبطفلها، ولا غرو، فقد جاء ليتمِّم مكارم الأخلاق، وأُرسل رحمةً للعالمين، صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم إلى يوم الدين.

وربما حظيت أم قيس من رسول الله ﷺ بدعوةٍ مستجابةٍ، فقد أخرج

---

(1) رواه: البخاري/ كتاب: الرقاق/ باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب/ برقم: (6059).

(2) رواه: مسلم/ كتاب: الطهارة/ باب: حكم بول الطفل الصغير وكيفية غسله/ برقم: (432).

النسائي في سننه عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبيبٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مَوْلَى أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ، عَنْ أُمِّ قَيْسٍ قَالَتْ: تُوُفِّيَ ابْنِي فَجَزِعْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لِلَّذِي يَغْسِلُهُ: «لا تَغْسِلْ ابْنِي بِالْمَاءِ الْبَارِدِ فَتَقْتُلَهُ».

فَانْطَلَقَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصنٍ إلى رَسُول الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهَا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: **«مَا قَالَتْ؟! طَالَ عُمْرُهَا»** فَلا نَعْلَمُ امْرَأَةً عَمِرَتْ مَا عَمِرَتْ[1].

إنها دعوة مباركة طيِّبة صادرة عن الحبيب، أعظم حبيب، فكيف تخيب؟!!.

رحم الله عُكَّاشة، وأخته أم قيس، وجزاهما بما هو أهله.



(1) رواه: النسائي/ كتاب: الجنائز/ باب: غسل الميت بالحميم/ برقم: (1859).

92 - السيدة فاطمة بنت المُجَلِّل

سبق إسلامها وهجرتها للحبشة

اسمها فاطمة، والدها المُجَلِّل بن عبد الله بن أبي قيس العامري، تزوَّجت من حاطب بن الحارث، وأنجبت له ولدين، هما: محمد والحارث ابنا حاطب. وقد كانت هذه الأسرة سبَّاقة إلى الإسلام، وشملتها قريش بنكالها، وأذاها الذي خصَّت به أتباع النبي ﷺ، ولما أسرفت قريش في التنكيل بالمؤمنين أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ليعبدوا الله في أمان، فإن حاكمها لا يُظلم عنده أحدٌ، وهو ذو قلبٍ رحيمٍ.

وخرجت بنت المُجَلِّل مع زوجها حاطب في قافلة المهاجرين، ومعها ابناها، ولما نزلوا أرض الحبشة سالمين تنفَّسوا الصعداء، وشعروا باطمئنان لم يعهدوه من قبل، وعاش المهاجرون سعداء، في صفاء وهناء، لكن أسرة فاطمة لم يطل بها المقام على هذا الحال، حيث دُهيت بموت زوجها حاطب على حين غِرَّةٍ فتركها وحيدةً مع ولديها اليتيمين، غير أن المهاجرين ما كانوا ليتركوا تلك الأسرة المفجوعة دون أن يقدِّموا لها العون والمساعدة من دون طلبٍ منها.

وصبرت الأرملة المسكينة على قضاء ربها، واستسلمت لمشيئته، وعكفت على تربية ولديها وفق أحكام شرع الله القويم، وقرآنه الكريم، وسنة النبي الكريم ﷺ، وكانت رغبة فاطمة أن تنشىء ولديها أحسن تنشئة ليفيا بعهد أبيهما وبعهدها لرسول الله ﷺ حين بايعاه على التمسُّك بالإسلام، ونشر رايته.

وأخذ الصغيران يكبران، وكم كان سرور فاطمة عظيماً حين ألفت

بعض المهاجرين يأخذونهما معهم أثناء سعيهم لكسب معيشتهم، ليبصِّروهما بالكسب الحلال الذي أمر الله به، وحضَّ رسوله ﷺ عليه.

ولما عاد المهاجرون من الحبشة كان رسول الله ﷺ قد خرج لفتح خيبر، وبعد أن فتحها الله عليه رأى موكباً قادماً نحوه فلما اقتربوا علم أنهم مهاجرو الحبشة وفي طليعتهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فاعتنقه رسول الله ﷺ وقال: «**مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَسَرَّ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ؟**».

دعاء النبي ﷺ لها ولابنها

وقد خص رسول الله ﷺ فاطمة وابنها بدعاء الشفاء الذي كان رحمة لأمته فيما رواه إِبْرَاهِيمُ بِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَيُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالا: حَدَّثَنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ في حَدِيثِهِ: ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ مُحَمَّد بنْ حَاطِبِ قَالَ: حَدَّثَني أَبِي، عَنْ جَدِّه مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبِ، عَنْ أُمِّهِ أُمِّ جَمِيلِ بِنْتِ الْمُجَلِّلِ قَالَتْ: أَقْبَلْتُ بِكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ طَبَخْتُ لَكَ طِبيخاً فَفَني الْحَطَبُ، فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهُ، فَتَنَاوَلْتَ الْقِدْر، فَانْكَفأَتْ عَلَى ذِرَاعِكَ.

فَأَتَيْتُ بِك النَّبيَّ ﷺ فَقُلْتُ: بِأَبِي وأُمِّي يَا رَسُول اللهِ، هَذا مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبِ، وَهُوَ أَوَّل مَنْ سُمِّي بِكَ، فَتَفَلَ فِي فِيكَ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِكَ، وَدَعَا لَكَ، وَجَعَلَ يَتْفُلُ عَلى يَدَيْكَ، وَيقُولُ: «**أَذْهِبْ الْبَاسْ، رَبَّ النَّاسْ، واشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلا شِفَاؤُكَ، شِفَاءَ لا يُغادِرُ سَقماً**» فقالت: فَمَا قُمْتُ بِكَ مِنْ عِنْدِهِ، حَتَّى بَرَأَتْ يَدُكَ[1].

وظلَّت فاطمة محافظةً على دينها، مطبقة لأحكامه حتى أتاها اليقين، رحمها الله وأحسن إليها.

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكيين/ باب: حديث محمد بن حاطب الجمحي/ برقم: (14906).

93 - السيدة أسماء بنت سلامة

سبق إسلامها وهجرتها للحبشة

اسمها أسماء، والدها سلامةُ بنُ مُخَرِّبَة، وزوجها عيَّاش بن أبي ربيعة، وهو ابن عم خالد بن الوليد.

أسلمت أسماء وزوجها مبكِّرين في مكة، وحين رأى رسول الله ﷺ شطط قريش في بغيها وعدوانها على أصحابه، لا سيما المستضعفين منهم، سمح لهم بالهجرة إلى الحبشة ليعبدوا الله بحريةٍ لا يقيِّدها أحد، واطمئنانٍ لا يعرف الخوفُ إليه سبيلاً.

وعندما انطلقت قافلة المهاجرين، كانت أسماء وزوجها بين أفرادها، كان فراق الوطن صعباً، غير أن فراق الدين أصعب، وهذا ما كانت قريش تريده، فمن عاد إلى الكفر وارتدَّ عن الإسلام الذي ارتضاه الله له كفَّت عنه أذاها، ولم تَلْقَهُ بِطَغْوَاها.

وعَلى أرض النجاشي الملك العادل وضعت أسماء مولوداً سَمَّتْهُ عبد الله بن عيَّاش، وسعد الأبوان بولدهما، وملأ الطفل الجديد حياتهما بهجةً وسروراً.

عودتها لمكة

ثم عاد عيَّاش مع أسرته إلى مكة، ولما أراد عمر بن الخطاب الهجرة إلى المدينة صحب معه عيَّاشاً فوصلا المدينة بسلام، وحين علم بهجرته أخواه لأمه أبو جهل والحارث انطلقا إلى المدينة فأخبراه أن أمه – وكان برّاً جدّاً بها – قد حلفت ألاَّ يمسَّ رأسها دهنٌ ولن تستظلَّ من حرِّ الشمس حتى تراه.

فلما عزم على الرجوع معهما حذَّره عمر ﵁ من غدرهما إلاَّ أنَّه رقَّ لأمه وعاد معهما.

وفي طريق العودة أمكن لهما خداعه، وشدّا وثاقه، ثم دخلا به مكة وحبساه، ثم تمكَّن عيَّاش من الفرار من سجنه، وعاد إلى المدينة.

إكرام النبي ﷺ لها

وتشرَّفت أسماء وزوجها بزيارة رسول الله ﷺ لهما، وأرادت أسماء أن تغتنم فرصة وجود ضيفهما الكبير في بيتهما، فتسأله بعض الأسئلة لعلها تعوض بعض ما فاتها من نفحاته الطيبة التي فاز بها أصحابه خلال وجودها في الحبشة، فقالت: يا رسول الله، ألا توصني؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**آتِي إِلَى أُخْتِكِ مَا تُحِبِّينَ أَنْ تَأْتِي إِلَيْكِ**».

ما أعظمها من وصيةٍ تبيِّن الأُسس السليمة للتعامل بين الناس في مجالات حياتهم كافَّةً، وتنظِّم علائقهم بعضهم ببعض!!.

إن هذا النبي الأُميَّ عليه صلوات ربي وسلاماته قد جمع بهذه الوصية الرائعة الموجزة كل معاني الخير، فسبحان من أعطاه هذه القوة في البيان، وجعل خُلُقَه القرآن، واصطفاه على كل إنسان!!.

وتكرَّر زيارات النبي ﷺ لبيت عيَّاش، وما تفتأ النفحات النبوية تغشاهم، فهنيئاً لآل عيَّاش ما أتحفهم به وما حباهم!! فهم به جديرون، لأنهم كانوا على عهده يحافظون، رحمهم الله ولقَّاهم من فضله ما يشاء، إنه خير مسؤول.



94 - السيدة فاطمة بنت علقمة

إسلامها وهجرتها للحبشة

اسمها فاطمة، والدها علقمة بن عبد الله العامري، اعتنقت الإسلام في مكة، وكانت من السابقين الأولين، وكذلك كان زوجها سليط بن عمرو، ولما تمادت قريش في إيذاء أصحاب رسول الله ﷺ، وتفنَّنت في تعذيبهم أذن رسول الله لهم بالهجرة إلى الحبشة ليعبدوا الله عند ملكٍ لا يُظلم على أرضه أحدٌ، فخرجت فاطمة وزوجها سليط مع قافلة المهاجرين.

بيد أن قريشاً لم يعجبها أن يخرج هؤلاء المؤمنون عن سلطانها، لأنها تريد أن تتسلَّى بتعذيبهم وتؤذي بإيذائهم رسولهم ﷺ.

ولذلك عمدت إلى إرسال وفد إلى ملك الحبشة مع هدايا قيِّمة حتى يسلم المهاجرين إلى وفدها، فإذا رجعوا بهم، أنزلت بهم من عقابها، وسقتهم كؤوس العذاب، ولما علم النجاشي من خطيب المهاجرين جعفر بن أبي طالب أنهم خرجوا فراراً من عذاب قومهم لهم لأنهم آثروا عبادة الله الواحد القهَّار، على عبادة أصنامٍ اتَّخذوها من الأخشاب والأحجار، أسلم النجاشي رضي الله عنه، وطرد وفد قريش، وردَّ عليهم هداياهم، فعادوا إلى قومهم مذمومين مدحورين، وبات المهاجرون يعيشون في خير دار، وأحسن جوار.

وأحسَّ المسلمون في الحبشة بالأمان مشمولين بعطفِ مليكها المؤمن، بعد أن اتَّبع دينهم، وأصبح أخاً لهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: 10].

وفي تلك الربوع الآمنة ولدت فاطمة ابنها سليط بن سليط بن عمرو، ولما عاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة كان رسول الله ﷺ قد هاجر إلى

المدينة، فخرجوا مهاجرين إليه، ولما وصلوا المدينة علموا أنه ذهب لفتح خيبر فيمَّموا شطرها، ولما وصلوا إليها، كان الله قد فتحها عليه، فرحَّب بهم أجمل ترحيب، ثم عادوا مع رسول الله ﷺ ليعيشوا بقربه ناعمين، ويكونوا من فيض علمه ناهلين.

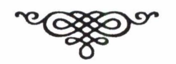
وكان همُّ فاطمة أن تغرس في نفس ولدها سليط مبادىء الإسلام، وحب الجهاد ليكون خلفاً طيباً لأبيه.

شهد سليط بن عمرو مع رسول الله ﷺ غزوة بدرٍ واكتحلت عيناه برؤية زعماء قريش صرعى على أرض بدرٍ، والنصر المبين الذي تحقَّق للمسلمين، وحضر بقية المشاهد، ثم استُشهد في معركة اليمامة التي حضرها ابنه معه أيضاً.

إكرام الخليفة لولدها

وفي خلافة عمر بن الخطَّاب جاءته كُسًى فوزَّعها على الصحابة، وزادت واحدة، فقال: دلُّوني على فتًى هاجر هو وأبواه، فقالوا: ابن عمر!! فقال: ابن عمر، هو حَرِيٌّ بها، ولكن سليط بن سليط!! هو الأجدر بها، فآثره على ابنه، وكساه إياها.

رحم الله عمر!! ورحم الله سليطاً وأمه فاطمة وأباه سليط بن عمرو، وأجزل له المثوبة.



95 - السيدة لُبابة الصُغرى

أم سيف الله المسلول

اسمها لُبابة الصُغرى تمييزاً لها عن لُبابة الكُبرى أختها أم الفضل زوج العباس بن عبد المطَّلب، أما زوج لُبابة الصُغرى فهو الوليد بن المغيرة، وابنها فارس الإسلام سيف الله خالد بن الوليد، ولقبها العصماء.

كان خالد من أشراف قريش في الجاهلية، وقد منح قريش يوم أُحُدٍ نصراً نجم عن ملاحظته ترك رماة المسلمين مواقعهم التي أمرهم رسول الله ﷺ ألَّا يبرحوها، فانقضَّ عليهم خالدٌ من خلفهم وأعمل فيهم القتل حتى تحوَّل النصر عن المسلمين إلى أعداء الله والدين.

وأخذت هند بنت عتبة ونساء المشركين اللواتي خرجن معها يمثِّلن بجثث شهداء المسلمين، وأقدمت هند على بقر بطن حمزة وقطعت أنفه وأُذنيه، وفعلت فعلها الأُخريات، وكانت هزيمة رهيبة لمن عصوا أوامر رسولهم ﷺ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقبل فتح مكة كان ثلاثةٌ من أشداء قريش يقصدون المدينة ليبايعوا رسول الله ﷺ ويسلموا، ولما رأى رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن أبي طلحة قادمين إليه قال لأصحابه: «**رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلاذِ أَكْبادِهَا**» وأسلم الثلاثة.

ولما دخلوا على رسول الله ﷺ سلَّم عليه خالد بن الوليد بالنبوة، ثم قال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**الحَمْدُ لله الَّذي هَدَاكَ، قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ عَقْلاً وَرَجَوْتُ أَلاَّ يُسْلِمْكَ إلا لِخَيْرٍ**» فقال خالد: يا رسول الله، قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك

معانداً عن الحق، فادعُ الله أن يغفرها لي، فأجابه النبي ﷺ: **«إنَّ الإِسْلامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ»** فقال خالد: يا رسول الله وعلى ذلك، فقال النبي ﷺ: **«اللهمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الوَلِيْدِ كُلَّ ما أَوْضَعَ فِيْهِ مِنْ صَدٍّ عَن سَبِيْلِكَ»** وكان لخالد بهذه الدعوة الكريمة رضًى وراحة.

وشهد خالد مع رسول الله ﷺ فتح مكة العظيم، ثم أمره رسول الله ﷺ بالتوجُّه إلى العزَّى لكي يهدمها، ولم يعد خالد يتخلَّف عن مشهدٍ أو غزوةٍ، ولما جُرح يوم حنين عاده رسول الله ﷺ، فنفث في جرحه فشفي.

وفي خلافة أبي بكر الصِّدِّيق بعثه لقتال المرتدِّين، حيث تمكَّن جيشه من دحر جيش مسيلمة الكذَّاب، وقضي على مسيلمة في معركة اليمامة.

وكانت أهم انتصارات خالد في معركة اليرموك مع الروم لفتح بلاد الشام، ولما حضرت خالداً الوفاة، قال: لقد شهدت مئة زحفٍ أو زهاءها، وما في بدني موضع شبرٍ إلاَّ وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء، وما من عملٍ لي أرجى عندي من «لا إله إلا الله» وأنا متترسٌ بها.

يوم موت ولدها البطل

ولما أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب الحج، خرج خالد معه، وفي الطريق نزل به المرض، فقال: خذوني إلى مُهَاجَري، فعادت به أمه العصماء إلى المدينة، ولما عاد عمر من حجِّه توجَّه إلى بيت خالد فوجده قد فارق الحياة، فاسترجع، وقيل له: ألا تنهى النساء عن البكاء عليه؟ قال عمر: وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان، ما لم يكن نَقْعٌ[1] أو لقلقة[2].

---

(1) النَّقع: وضع التراب على الرؤوس حزناً.

(2) اللقلقة: رفع الصوت بالبكاء.

وكان عمر في مكة يوماً فسمع امرأة مُحرمةً تبكيه وتقول:

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ القَوْ ... مِ إذَا مَا كُنْتَ فِي وُجُوهِ الرِّجَالِ

فقال عمر: صدقتِ والله!! إن كان لكذلك، ثم قالت:

أَشُجَاعٌ؟ فَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ لَيْـ ... ـثِ مُرَّةَ بْنِ جِهْمٍ أَبي الأَشْبَالِ

أَجَوادٌ؟ فأَنْتَ أَجْوَدُ مِن سَيْـ ... ـلٍ أَتَى يَسْتَقِلُّ بَيْنَ الجِبَالِ

فقال عمر: من هذه؟ فقيل: أمه، فقال عمر رضي الله عنه: أمه والإله!! أمه والإله!! وهل قامت النساء عن مثل خالد؟!!

وقضى فارس الفرسان، ومجندل الشجعان فكيف لا تتقرَّح الأجفان على من ضنَّ بمثله الزمان؟!!.

رحم الله خالداً، وأم خالد، وجزاهما أوفى الجزاء.



96 - السيدة خليدة بنت قيس

الأنصارية زوجة النقيب

اسمها خليدة، والدها قيس بن ثابت، وزوجها أحد نقباء الأنصار الاثني عشر، إنه البراء بن معرور ﷺ، وقد ولدت له ابنه بشر بن البراء، وكان يقال لها: أم بشر.

أسلمت خليدة وبايعت النبي ﷺ، وروت عنه، وغرست في نفس ابنها بشر حبَّ الإسلام، والجهاد في سبيل رفع راياته، فخرج بشر مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتحها الله على المسلمين، وهناك في خيبر وقع حادثٌ رهيب.

استشهاد ابنها

عن مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو اللَّيْثِيُّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، فَأَهْدَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً فَتَنَاوَلَ مِنْهَا، وتَنَاوَل مِنْهَا بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، ثُم رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذِه تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ**»، فَمَات بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**ما حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ؟**» فَقَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ شَيْءٌ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكاً أَرَحْتُ النَّاسَ مِنكَ، فَقَالَ فِي مَرَضِهِ: «**ما زِلْتُ مِنَ الأُكْلَةِ الَّتي أَكَلْتُ بِخَيْبَر، فَهذَا أَوَانُ انقِطاعِ أَبْهَرِي**»[1].

وأخرج ابن سعد في طبقاته عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ

(1) رواه: الدارمي/ كتاب: المقدمة/ باب: ما أكرم الله به النبي ﷺ من كلام الموتى/ برقم: (67).

أَبِيهِ أَنَّ أُمَّ مُبَشِّرٍ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ في مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: مَا يُتَّهَمُ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَإِنِّي لا أَتَّهِمُ بِابْنِي شَيْئاً إلا الشَّاةَ الْمَسْمُومَةَ الَّتِي أَكَلَ مَعَكَ بِخَيْبَرَ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَأَنَا لا أَتَّهِمُ بِنَفْسِي إلا ذَلِكَ، فَهَذَا أَوَانُ قطع أَبْهَرِي**»[1].

وفي حديث آخر من طريق مُحمَّدِ بنْ إسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشة حَدَّثَتْهُ أَنَّهُ ﷺ حِينَ قَالُوا: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بِهِ ذَاتُ الْجَنْبِ، قَالَ: «**إِنَّها مِنَ الشَّيطَانِ، وَلَمْ يَكُن الله لِيُسَلِّطَهُ عَلَيَّ**»[2].

وفي رواية أخرى عن الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَن بْن عَبْدِ الله بْنِ كَعَب بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُمِّهِ أَنَّ أُمَّ مُبَشِّرٍ دَخلَتْ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَقَالَتْ: بِأَبِي وأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَتَّهِمُ بِنَفْسِكَ؟ فَإِنِّي لا أَتَّهِمُ إلا الطَّعامَ الَّذِي أَكَلَ مَعَكَ بِخَيْبَرَ، وَكَانَ ابْنُهَا مَاتَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ، قال: «**وَأَنَا لا أَتَّهِمُ غَيْرَهُ، هَذَا أَوَانُ قَطْعِ أَبْهَرِي**»[3].

ويرى العديد من المسلمين أن رسول الله ﷺ مات شهيداً عليه أعظم الرحمات، وأطيب الصلوات، وأزكى التحيَّات وعلى من آذاه، أو فكَّر في إيذائه أكبر اللعنات، في الحياة، وبعد الممات.

سعيها للعلم والحفظ

وكانت نساء الأنصار يحببن العلم، وكلما نهلن منه طلبن المزيد، وكانت ينابيعه عند رسول الله ﷺ، وفي بيوت أمهات المؤمنين رضوان الله

---

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الديات/ باب: فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات أيقاد منه/ برقم: (3913)، وهو في الطبقات عند ابن سعد (8/ 314).

(2) رواه: الإمام أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: باقي المسند السابق/ برقم: (25141).

(3) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث امرأة كعب بن مالك/ برقم: (22807).

عليهنَّ، ولا سيما الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق عائشة بنت أبي بكرٍ ﵄، لذلك كانت الأنصاريات يكثرن من التردُّد على بيت عائشة لينهلن من علم رسول الله ﷺ وعلمها.

وكانت خليدة واحدة من المسترشدات الساعيات في طلب العلم، لذلك قامت بينها وبين ابنة الصدِّيق علاقة ودٍّ وطيدة حملت إليها أينع الثمرات، ومنحتها الكثير من الخيرات، فالعلم لا يذهب إلى أحد، ومن أراده سعى إليه في موارده.

وقد روى ابن ماجه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ فُضَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ كَعْباً الوَفَاةُ أَتَتْهُ أُمُّ بَشْرٍ زَوْجُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعرُورٍ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَن، إِنْ لَقِيتَ فُلاناً فَاقْرَأْ عَلَيْهِ مِنِّي السَّلامَ قَالَ: غَفَرَ اللهُ لَكِ يَا أُمَّ بِشْرٍ، نَحْنُ أَشْغَل مِنْ ذَلِكَ، قَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلَقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ؟**» قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَهُوَ ذَاكَ[1].

رحم الله خليدة أم بشر وزوجها وابنها، وجمعهم مع الشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



(1) رواه: ابن ماجه/ كتاب: ما جاء في الجنائز/ باب: ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حُضِرَ/ برقم: (1439)، وهو في الطبقات عند ابن سعد (8/ 313).

97 - السيدة فاطمة بنت اليمان

أخت صاحب سرّ رسول الله

اسمها فاطمة، والدها اليمان، واسمه حُسَيْل بن جابر، وأخوها حذيفة بن اليمان الصحابيُّ الجليل الذي استودعه رسول الله ﷺ أسماء المنافقين.

كان والدها اليمان مع ثابت بن وقش في أحد الحصون مع النساء، وهما شيخان كبيران، فقال أحدهما لصاحبه: لم يبقَ من عمرنا إلاَّ ظِمْءُ[1] حمارٍ، فلنأخذ أسيافنا ونلحق برسول الله ﷺ في أُحُد لعلَّ الله يرزقنا الشهادة، ففعلا ذلك، فلم يلبث ثابت أن قتله المشركون، وأما اليمان فقد اختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه خطأ دون أن يعرفوه، فرآه حذيفة فعرفه، فقال: أبي! أبي!! قالوا: والله ما عرفناه، وصدقوا، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه[2]، فتصدَّق حذيفة بديته على المسلمين، فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً.

المبايعة الصادقة

كانت فاطمة رضي الله عنها واحدة من المسلمات اللواتي بايعن رسول الله ﷺ، وقد استطاعت باجتهادها وحبها لله ولرسوله ﷺ أن تصل إلى مرتبة الرواية لأحاديث النبي ﷺ، وقد ظفرت بشرف زيارته ﷺ في مرضه الذي توفَّاه الله فيه.

---

(1) الظِّمْءُ: ما بين الشربتين، والحمار أقصر الدواب ظمأً، فيرد الماء في الصيف مرتين.

(2) الدِّيَةُ: مبلغ من المال يُدفعُ لأهل القتيل الذي قُتل خطأ.

وقد حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ابْنِ حُذَيْفَةَ - وَهُوَ ابْنُ أَخِيهَا - وَعَنْ رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ، عَنْ امْرَأَتِهِ، عَنْ أُخْتِ حُذَيْفَةَ قَالَتْ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ أَمَا لَكُنَّ فِي الْفِضَّةِ مَا تَحَلَّيْنَ، أَمَا إِنَّهُ مَا مِنْكُنَّ مِنَ امْرَأَةٍ تَلْبَسُ ذَهَباً تُظْهِرُهُ إِلا عُذِّبَتْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

قال منصور: فذكرت ذلك لمجاهد، فقال: قد أدركتهنَّ، وإن إحداهنَّ لتَتَّخذ لكمِّها أزراراً تُواري خاتَمَها[2].

وقد أخرج ابن سعد في طبقاته عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ، عَنْ عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعُودُهُ فِي نِسَاءٍ، فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاؤُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الْحُمَّى، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ دَعَوْتَ اللهَ فَشَفَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[3].

وكان حذيفة محبّاً للجهاد، ولا يتخلَّف عن مرافقة رسول الله ﷺ في غزواته ومشاهده، وقد شهد الخندق بعد أُحُدٍ، وكلَّفه النبي ﷺ بتحسُّس أخبار العدوِّ في ليلةٍ شديدة البرد والظلمة فانطلق غير هيَّابٍ ولا وَجِلٍ، ثم عاد إليه بما يريد.

رحم الله فاطمة، وحذيفة، وأسرة اليمان، إنهم أهل بيتٍ مؤمنين، ولنبيهم ﷺ محبِّين، فرضي الله عنهم أجمعين.



(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ/ برقم: (22291).

(2) طبقات ابن سعد (8/ 326).

(3) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث فاطمة عمة أبي عبيدة وأخت حذيفة/ برقم: (25832)، وذكره ابن سعد في الطبقات (8/ 325، 326).

٩٨ - السيدة البغوم بنت المُعَذِّل

كيد زوجها للإسلام قبل إسلامه

اسمها البغوم، والدها المُعَذِّل خالد بن عمر بن سفيان، وزوجها صفوان بن أُميَّة، كان أُميَّة بن خلف والد زوجها صفوان من شرار سفهاء قريش وأكابر مجرميها، وقد برع في تعذيب مؤذِّن رسول الله ﷺ بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه، وقد قتله يوم بدر بلال وثلة من أصحابه رضي الله عنهم.

كان صفوان بن أُميَّة زوج البغوم قد اتَّفق مع عمير بن وهب الجمحي الذي أُسر ابنه وهب في بدر، أن يحمل عنه دَيْنَهُ، ويرعى أسرته لقاء قتله لرسول الله ﷺ.

وتقلَّد عمير سيفه المسموم ثم انطلق إلى المدينة، حتى إذا بلغ مسجد رسول الله ﷺ رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يربط راحلته بباب المسجد، فقال لمن حوله: هذا عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء إلا لشرٍّ، وهو الذي حرَّش بيننا وحَزَرَنَا للقوم يوم بدر، ثم دخل على رسول الله ﷺ يخبره بقدومه، فأمر بإدخاله، فسأله رسول الله ﷺ: **«فما جاءَ بكَ يا عُمَيْرُ؟»** قال: جئت لهذا الأسير في أيديكم - يعني ابنه - فأحسنوا فيه الفداء فقال رسول الله ﷺ: **«فَمَا بَالُ السَّيفِ فِي عُنُقِكَ؟»** قال عمير: قبَّحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال رسول الله ﷺ: **«أَصْدُقْنِي بِالَّذِي جِئْتَ لَهُ»**، قال عمير: ما جئت إلا لذاك فقال رسول الله ﷺ: **«بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوانُ بْنُ أُمَيَّة فِي الحِجْرِ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ القَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قُلْتَ: لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ وعِيَالٌ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدا، فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بِدَيْنِكِ وَعَيَالِكَ، عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ، وَاللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ»**، قال عمير:

أشهد أنك رسول الله حقاً!! قد كنا يا رسول الله نُكذِّبُك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بقوله: «**فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَأَقْرِئوهُ القُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيْرَهُ**» ففعلوا، وعاد عمير إلى مكة يدعو الناس إلى الإسلام ويؤذي من أباه.

ويوم فتح مكة جاءت البغوم امرأة صفوان مع بعض صواحبها من نساء قريش إلى رسول الله ﷺ فبايعنه وأسلمن، واستأمن عمير لابن عمه صفوان من رسول الله ﷺ فأمَّنه.

إسلامها ورفض زوجها ذلك

حَدَّثَ مَالِك، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ نِسَاءَ كُنَّ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ يُسْلِمْنَ بِأَرْضِهِنَّ وَهُنَّ غَيْرُ مُهَاجِرَاتٍ، وَأَزْوَاجُهُنَّ حِينَ أَسْلَمْنَ كُفَّارٌ مِنْهُنَّ بِنْتُ المُعَذَّل وَكَانَتْ تَحت صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فَأَسْلَمَتْ يَوْمَ الْفَتْحِ وَهَرَبَ زَوْجُهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ مِنَ الإسْلام فَبعثَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ابْنَ عَمِّهِ وَهْبَ بْنَ عَمَيْرٍ بِرِدَاءِ رَسُول الله ﷺ أَمَاناً لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّة، ودَعَاهُ رَسُول الله ﷺ إلى الإسلام وَأَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ فَإِنْ رَضِيَ أَمْراً قَبِلَهُ وإلا سَيَّرَهُ شَهْرَيْنِ، فَلَمَّا قَدِم صَفْوَانُ عَلى رَسُول الله ﷺ بِرِدائِهِ نَادَاهُ عَلى رُؤُوس النَّاسِ، فقال: يا مُحَمَّدُ إنَّ هَذَا وَهْبَ بْنَ عُمَيْرٍ - جَاءَني بِرِدَائِكَ، وَزعَمَ أَنَّكَ دَعَوْتَنِي إِلى الْقُدُومِ عَلَيْكَ، فَإِنْ رَضِيتُ أَمْراً قَبِلْتُهُ، وإلا سَيَّرْتَنِي شَهْرَيْنِ.

فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**انزِلْ أَبَا وَهْبٍ**»، فقال: لا، والله، لا أَنْزِلُ، حَتَّى تُبَيِّنَ لي، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «**بَلْ لَكَ تَسِيرُ أَرْبَعة أَشْهُرٍ**» فَخَرجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِبَلَ هَوَازِنَ بحُنَيْنٍ فَأَرْسَلَ إلى صَفْوان بْنِ أُمَيَّة يَسْتَعِيرُهُ أَدَاةً وَسِلاحاً عِنْدَهُ، فَقَالَ صَفْوانُ: أَطوْعاً أَمْ كَرْهاً؟ فقال: «**بَلْ طَوْعاً**» فَأَعَارَهُ الأَدَاةَ

والسِّلاحَ الَّذِي عِنْدَهُ. ثُمَّ خَرَجَ صَفْوَانُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ كَافِرٌ، فَشَهِدَ حُنَيْناً وَالطَّائف وهُوَ كَافِرٌ وامْرَأَتُهُ مُسلِمَةٌ، وَلَمْ يُفَرِّقْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ حَتَّى أَسْلَم صَفْوَانُ وَاسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ امْرَأَتُهُ بِذَلِكَ النِّكَاحِ.

إسلام زوجها وسعادتها بذلك

وروي عن مالك، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ بَيْنَ إِسْلام صَفْوانَ وَبَيْنَ إِسْلامِ امْرَأَتِهِ نَحْوٌ مِنْ شَهْرَيْنِ، قَال ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّ امْرأَةً هَاجَرَتْ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ وَزَوْجُهَا كَافِرٌ مُقِيمٌ بِدَاء الْكُفْرِ إلا فَرَّقَتْ هِجْرَتُهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا، إلا أنْ يَقْدَمَ زَوْجُهَا مُهاجراً قَبْل أَنْ تَنْقَضِيَ عِدَّتُها[1].

واجتهد صفوان في العبادة حتى غدا واحداً من رواة حديث رسول الله ﷺ، قال صفوان: والله، لقد أعطاني النبي ﷺ وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ، وعاد صفوان وامرأته إلى مكة، وبقيا على إسلامهما حتى وافتهما المنية، رحمهما الله تعالى.



(1) رواه: مالك/ كتاب: النكاح/ باب: نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله/ برقم: (997).

٩٩ - السيدة أروى بنت كُريز

ابنة عمه رسول الله ﷺ

اسمها أروى، والدها كُريز بن ربيعة، والدتها البيضاء بنت عبد المطَّلب عمة رسول الله ﷺ، تزوَّجت أروى من عفَّان بن أبي العاص فأنجبت له عثمان بن عفَّان الخليفة الثالث لرسول الله ﷺ، وزوج ابنتيه رقية، وبعد وفاتها تزوَّج أم كلثوم ولهذا لُقِّب بذي النورين، كما أنجبت له آمنة بنت عفَّان.

ولما توفِّي عَفَّان تزوَّجت أروى من عقبة بن أبي معيط أحد أشقياء قريش المعدودين الذين آذوا رسول الله ﷺ كثيراً، وقد ولدت له الوليد، وعماراً، وخالداً من الذكور، وأم كلثوم، وأم حكيم، وهنداً من الإناث.

إسلامها وكفر زوجها

كان إسلام أروى بنت كريز قد تمَّ في مكة، وشهدت هجرة ابنها عثمان بن عفَّان مع زوجه رقية رضي الله عنهما إلى الحبشة تخلصاً من أذى قريش لكلِّ من تبع رسول الله ﷺ.

وشهدت أروى كلَّ الأحداث التي تعرَّض لها المسلمون إبَّان وجودهم في مكة وكان زوجها يتنافس ويتشاور مع أبي جهلٍ في أفانين إيذاء رسول الله ﷺ، حَدَّثَ وَهْبُ بْنُ جريرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْد الله قال: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا عَلَى قُرَيْشٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يُصلِّي ورهطٌ مِنْ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ وَسَلَى جَزُورٍ قَرِيبٌ مِنْهُ، فَقَالُوا: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّلَى فيُلْقِيَهُ عَلَى ظَهْرِهِ؟.

قَالَ: فَقَال عُقْبَةُ بْن أبي مُعَيْطٍ: أنَا، فأخَذَهُ، فألْقَاهُ عَلى ظَهْرِهِ، فَلَمْ يَزَلْ سَاجداً حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ – صلوات الله عليها – فأخَذَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلأ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْن رَبيعَة، اللَّهُمَّ علَيْكَ بِشَيْبَة بْنِ رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بأَبي جَهْلِ بْن هِشام، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بُعقْبَة بْن أبي مُعَيطٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بأُبَيِّ بْن خَلَفٍ، أَوْ أُميَّةَ بْنِ خَلَفٍ**».

قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ جَميعاً، ثُمَّ سُحِبُوا إلى الْقَلِيبِ، غَيْرَ أُبَيٍّ – أَوْ أُمَيَّة – فَإنَّهُ كَان رَجُلاً ضَخْماً فتَقَطَّعَ[1].

وتوعَّد رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط بقوله: «**لا لَقِيتُكَ خَارجَ مَكَّةِ إلاَّ قَتَلْتُكَ**»، ولما التقى جمع المسلمين يقودهم رسول الله ﷺ بجمع المشركين في بدرٍ، وكان فيهم أبو جهل وابنا ربيعة عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وأُميَّة بن خلف قتلوا جميعاً خلال القتال، أما عقبة فقد جيء به إلى رسول الله ﷺ فأمر بقتله تنفيذاً لوعيده له، فقال عقبة: من للصبية يا محمد؟ فقال له: «**النَّارُ**»، ثم ضُربت عنقه.

هجرتها للمدينة

وكان عثمان بن عفَّان رضي الله عنه شديد الحرص على إسلام أمه، فلمَّا علم بإسلامها قرَّ عيناً بذلك، وجاء إسلامها بعد إسلام ابنتها أم كلثوم بنت عقبة، وكذلك هجرتها إلى المدينة، وأصبح بنوها في المدينة من كبار الصحابة.

وكانت أروى رضي الله عنها من الصحابيَّات الكاتبات، غير أن كتب السنة والسيرة لم تتحدَّث عن رواية لها.

وفي خلافة ولدها ذي النورين رضي الله عنه جاء أجلها، فانتقلت إلى جوار

(1) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكثرين من الصحابة/ باب: مسند عبد الله بن مسعود/ برقم: (3766).

ربها، فواراها ابنها في ثرى البقيع، وقام على قبرها يدعو لها، وكان يدعو لها في سجوده، ويقول: اللهم ارحم أمي، اللهم اغفر لأمي.

وأنا أقول: اللهم ارحم عثمان، وأم عثمان، ومن أحب عثمان، وأجمعنا معهم في رحاب الجنان، يا منَّان.



100 - السيدة سلافة بنت سعد

خروجها لقتال المسلمين في أحد

تزوَّجت سلافة بنت سعد في الجاهلية من طلحة بن أبي طلحة، وأنجبت له عدة ذكور، منهم: مسافع، والحارث، وكلاب، والجلاَّس؛ وأخذت تلك الأسرة على نفسها العهد أن تكون الأشدَّ عداوةً لرسول الله ﷺ، والأكثر حقداً عليه، ولم تكتفِ بذلك بل راحت توغر صدور الناس وتملؤها ضغينة عليه وعلى من اتَّبعه من المسلمين، وقد تجلَّى حقدها بأبشع مظاهره يوم عزت الأسرة بكاملها على الخروج إلى أُحُد للثأر لمن قُتِل يوم بدرٍ من المشركين.

وكانت سلافة قد خرجت مع بعض نساء قريش حتى يشجعن قريشاً على القتال، ويبثن الحماسة في الرجال، كي لا يقعن سبايا في أيدي المسلمين، ومن أبرز النسوة اللواتي رافقنها يومئذٍ هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب، وأم حكيم بنت الحارث امرأة عكرمة بن أبي جهلٍ، وريطة بنت مُنبِّه امرأة عمرو بن العاص، وبرزة - أو برة - بنت مسعود امرأة صفوان بن أُميَّة.

واشتدَّ صليل السيوف، وحمي وطيس القتال، وكانت كفَّة النصر لصالح المسلمين في أول المعركة، ثم ما لبث النصر أن تحوَّل عنهم إلى جهة المشركين، لأن رماة المسلمين خالفوا أوامر رسول الله ﷺ وتركوا مواقعهم التي أمرهم ألَّا يغادروها مهما يكن سير المعركة.

ولمَّا رأى خالد بن الوليد قائد فرسان المشركين ذلك انقضَّ عليهم من خلفهم وأعمل السيف في ظهورهم، وقتل منهم كثيراً، وسدَّد وحشيُّ بن حربٍ حربته إلى صدر حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فأرداه قتيلاً.

واستُشهد يومئذٍ حنظلة الغسيل، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن الربيع، وأنس بن النضر، وعمرو بن الجموح، ومصعب بن عُمَيْر، وعبد الله بن جحش.

نذرها الكيد لعاصم

وكان مصاب سلافة كبيراً حيث قُتِل زوجها وبنوها الأربعة، وقَتَلَ عاصم بن أبي الأقلح ولديها مسافعاً وأخاه كلاباً فكل واحد يأتي أمه حين يصيبه سهم عاصم فيضع رأسه في حجرها، فتقول: يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني يقول: خذها وأنا ابن الأقلح، فنذرت لله إن أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر.

وكان عاصم قد عاهد الله ألَّا يمسَّ مشركاً أبداً و ألَّا يمسَّه مشركٌ، ولما قُتِل عاصم يوم الرجيع، أراد قاتلوه من بني هُذَيل بيع رأسه لسلافة حتى تبرَّ بنذرها فبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّار قُرَيْشٍ إلى عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئاً فَقَالوا: ندعه إلى الليل حتى تذهب النحل عنه، فلما جاء الليل بعث الله سيلاً فحمل جثته ولم يعرف له أثرٌ، ووفى الله بعهد عاصم بعد وفاته كما وفى هو في حياته، وسُميّ عاصم «حَمِيَّ الدَّبْر».

وفاء النبي ﷺ سبب إسلامها

ولما أسلم عثمان بن أبي طلحة طلب منه رسول الله ﷺ أن يأتيه بمفتاح الكعبة من عند أمه سلافة، وكان ذلك يوم فتح مكة، وطلب عليٌّ من النبي ﷺ أن يجمع لبني عبد المطلب السقاية والحجابة لكنه أبى والتزم قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾ [النساء: 58]، ثم

ردَّ المفتاح إلى عثمان، وهو يقول: «**خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ تَالِدَةً خَالِدَةً إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، لا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إلاَّ ظَالِمٌ**».

ولما أعاد عثمان المفتاح إلى أمه سلافة لم تصدِّق عينيها، كما لم تصدِّق أُذنيها يوم قال رسول الله ﷺ لقريش: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**».

ثم صحبت ابنها عثمان إلى رسول الله ﷺ وأعلنت إسلامها، ووفت بعهدها حتى توفَّاها الله، رحمها الله تعالى.

الفهرس